

دراوین غرناطیہ (2)

مظہر النور

جمع
أبي الحسين ابن فركون

إعداد
محمد ابن شریفہ

مُظَاهِرَةُ النَّبِيِّ ﷺ



تقديم

يسعدنا أن نُقدّم إلى معشر القراء هذا الأثر الغرناطي، وهو عبارة عن جزء من المدائح التي قيلت في السلطان النّصري أبي الحجاج يوسف الثالث، ويمثّل هذا الجزء السفر الثاني من مجموع عنوانه : «مظهر التّور الباصر، في أمداح مولانا أبي الحجاج الملك النّاصر» ولا نعرف الآن عدد الأسفار التي كان يتألف منها هذا المجموع، وإذا عرفنا أن هذا السفر يشتمل على الأمداح التي قيلت عام 811هـ وأن الممدوح ظل في الملك عشرة أعوام وذلك من عام 810 إلى 820 هـ فلربما أمكننا القول بأن المجموع كان يتألف من عشرة أسفار، لكلّ عامٍ سفرٌ خاص به، وهي تجزئة ممكنة ومعقولة.

إنّ النسخة الأصلية من هذا المجموع — وإليها ينتمي السفر الثاني الذي وصل إلينا — كُتبت بخطّ جامعها أبي الحسين ابن فُركون شاعر يوسف الثالث وكتب سرّه، وقد جمعها وكتبها بأمر من مولاه، فهي إذن نسخة مُلوكية أو خزانئية كما يقال، ويبدو هذا من جمال خطها وعناوينها المذهبة وكتابة اسم الملك أو لقبه أو كنيته كلما وردت في المدائح بحروف غليظة مع عبارة من عبارات الدعاء بحروف رقيقة فوقها.

ويبدو أن هذه النسخة ظلت في خزائن بني نصر في غرناطة إلى خروج آخر ملوكهم أبي عبد الله إلى فاس، وربّما كانت من الآثار التي حملها هو أو غيره إلى المغرب، وقد دخلت بعد ذلك إلى خزائن السعديين كما تدل على ذلك التملّكات الموجودة في أول وآخر السّفر الثاني، ومن قراءة هذه التملّكات نعرف أن هذا السّفر كان في ملك «الوزير الأعظم» أبي عبد الله محمد بن عبد القادر بن محمد الشيخ السعدي ثم في ملك عمه السلطان أبي محمد عبد الله الغالب بالله ثم في ملك أخيه أحمد الملقب بالمنصور الذهبي فأما الأمير محمد بن عبد القادر السعدي فقد كان وزيرا لعمه السلطان الغالب بالله

وكان أدبيا يقرض الشعر، وله أخبار ونوادر كثيرة وأدبيات مذكورة، ولعله بسبب ذلك أدركته حُرْفَةُ الأدب فتوفي مخنوقاً بأمر مخدمه الغالب بالله سنة 975 هـ ويبدو أن اهتمامه بالآداب الأندلسية كان من طريق صاحبه أبي العباس المنجور الذي كان «يُثني على الأندلسيين وعلى بلادهم الجزيرة ويستحسنها ويتشوق إليها» وقد سجن مدة بعد وفاة صاحبه الأمير المذكور، ونُتبت نص تملكه الموجود آخر الورقة الأخيرة فيما يلي :

«الحمدُ لله وحده، وصلى الله على مَنْ لا نبي بعده.

صارَ هذا التَّأليفُ ملكاً بالهبة من ربه لكاتبه المُقرّر بالإِقامة إلى مولاه، العُني به عمّن سواه، عبيدُ ربه المفتقر إلى رحمة سيّده محمد بن عبد القادر بن مُحمد بن.....».

وثمة صيغة ثانية تملكه توجد أسفل ظهر الورقة الأولى وهذا نصها :

«صارَ هذا السَّفَرُ من ملكِ الوزير الأعظم مولانا محمد بن عبد القادر وصل الله عزته... ورفعته» ثم إن السفر أهدى إلى الغالب بالله وهذا أعطاه إلى أخيه أحمد المنصور الذي سجل تملكه في ظهر الورقة الأولى هكذا :

«الحمد لله وحده.....»

صار لي هذا السفر بالهبة من يد سيدنا عبد الله أيده الله ونصر ألويته العلية وكتب بخط يده عبد ربه السلطان أحمد بن محمد الشيخ الشريف الحسني عامله الله بلطفه وحلمه».

وقد قرأ المنصور هذا السفر ووقّف على بعض أبياته أي علم عليها بكلمة «قف» وحدها أو مع عبارة : «انظره وتأمله» أو «رحم الله قائله» أو «قف وتأمل» وقد علق مرة على أبيات فيها غلو في المدح بقوله : «لا ينبغي لعاقِل أن يُخلّد بمثل هذا القول السّفْساف».

ولا نعرف بعد هذا عدد الأسفار التي كانت بيد هؤلاء السعديين من هذا المجموع الغرناطي، كما أننا لا نعرف ماذا صنع الله به وبغيره بعد الفتن الناشبة في أواخر العهد السعدي، وكل ما نعرفه أن كتباً من الخزائن السعدية تسرّبت إلى جنوب المغرب حيث حفظ بعضها في خزائن بسوس ودرعة وغيرهما وقد ظهر عدد منها الآن، ويبدو أن

هذا السفر الذي تَبَقَّى لنا من «مظهر النور الباصر» كان في إحدى هذه الخزائن قبل أن يصبح من جملة خزانة الباشا الجللاوي التي توجد اليوم في الخزانة العامة بالرباط. هذه باختصار هي قصة هذا السفر الباقي من أسفار أخرى — لَعَلَّها تسعة — عَدَّت عليها عوادي الزمن.

وَأنتقل الآن إلى الكلام على مؤلف المجموع وعلى السلطان مخدومه ثم على مضمون هذا السفر وشعرائه.

فأما مؤلف المجموع فهو أبو الحسين بن أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن هشام المعروف بابن فركون. وأبو الحسين اسمه لا كنيته، وابن فركون شهرته وشهرة أبيه أحمد وعمّه أبي الطاهر وجده سليمان وجدّ أبيه أحمد قاضي الجماعة، وبنو فركون هؤلاء أصلهم من المرية، وكان انتقال جدّ الأسرة أحمد بن محمد إلى غرناطة وولايته قضاء الجماعة فيها بداية لشهرة هذه الأسرة ومشاركة عدد من أعلامها في الحياة السياسية والعلمية والأدبية بمملكة بني نصر، فقد كان أحمد ابن فركون والد جامع «مظهر النور» قاضياً فقيهاً وأديباً شاعراً، وكان عمّه أبو الطاهر فقيهاً قاضياً، وأدرك هو مكانة كبيرة في عهد يوسف الثالث إذ كان كاتب سره وشاعر دولته ومؤرخ أيامه، ولد أبو الحسين حوالي 781هـ بغرناطة ونشأ في حجر والده القاضي الأديب ودرس على أعلام العلم بالحضرة النصرية يومئذ ومن طبقتة الشريف أبو المعالي والشريف أبو العباس ولدا الشريف أبي القاسم السبتي الغرناطي وأبو القاسم ابن قُطْبَة وأبو الفضل ابن أبي جماعة والفقيه الشّرّان وأبو يحيى ابن عاصم وغيرهم، وبعد أن أكمل دراساته واستكمل أدواته دخل ديوان الإنشاء النصري في عهد محمد السابع «وارتسم في كتاب المقام العلي في اليوم الرابع والعشرين لصفر من عام ثمانية وثمانين مائة» وترقى في عهد يوسف الثالث فكلفه أوّل الأمر في عام 811هـ بتنفيذ النفقات المخصّصة للغزاة والمجاهدين المتطوعين «بحضرته العلية وسائر البلاد النصرية» ثم اختارهُ لتولّي كتابة سره عام 814هـ وظل في هذا المنصب إلى وفاة يوسف الثالث عام 820هـ وبعد هذا التاريخ لا نعرف عنه شيئاً، وأغلب الظن أنه أصيب في غمرة الفتن التي حصلت بعد وفاة يوسف الثالث.

أما آثار أبي الحسين ابن فركون فتتمثل أولاً في ديوانه الذي وصل إلينا السفر الثاني منه، وقد نشرناه منذ سنوات، وتتمثل ثانياً في المجموع الشعري الكبير المسمى «مظهر النور الباصر، في أمداح الملك الناصر» وهو المجموع الذي لم يصل إلينا منه مع الأسف إلا هذا السفر، ونحن نقدر أن أبا الحسين بصفته كاتب سر السلطان كان يححر رسائل ديوانية في مختلف الأغراض السلطانية ولكنها ضاعت فيما ضاع من آثار الحقبة الغرناطية الأخيرة، وإن فيما بلغنا من ديوانه ومجموعه لفائدة أي فائدة، وقد بينّا في المقدمة التي وضعناها بين يدي الديوان قيمته التاريخية مع إشارات خفيفة إلى قيمته الأدبية.

وأما الملك الناصر الممدوح فهو أبو الحجاج يوسف بن أبي الحجاج يوسف بن أبي عبد الله محمد الغني بالله. ولد عام 778 هـ (1376م) ونشأ في البلاط النصري بغرناطة على عهد جده السلطان الغني بالله ووالده السلطان المستغني بالله. وقد تعلم كتاب الله وسنة رسوله على أبي عبد الله الشريشي ودرس العلوم والآداب على أبي عبد الله محمد ابن جزري وأبي عبد الله محمد ابن علاّق وأبي مهدي ابن الزيات وغيرهم، وولع بقراءة الشعر وحفظه وكان معجباً بابن زمرك شاعر الحمراء في وقته وهو الذي جمع شعر ابن زمرك في ديوان أسماه: «البقية والمدرّك، من شعر ابن زمرك». ولثقافته وكفاءته اختاره السلطان والده لولاية عهده غير أن هذا أغضب أخاه الأمير محمّد فثار في حياة والده وأُخمدت ثورته في الحين ولكنه استطاع بعد موت السلطان عام 794 هـ (1392م) أن يستولي على الملك ويسجن كبيره الوريث الشرعي في قلعة شلوبانية، وقد ظلّ يوسف في السجن إلى أن مات أخوه عام 810 هـ (1408م) وكان أمراً — وهو يُحتَضَر — بقتل أخيه يوسف ولكن هذا نجا من الموت بأعجوبة تشبه أن تكون أسطورة، وخلاصتها فيما تذكر المصادر المسيحية أن الأمير السجين كان يلعب الشطرنج مع قائد القلعة عندما وصل الأمر بإعدامه فرغّب إلى القائد أن يُرجىء التنفيذ إلى أن يتم الدور المبدوء فوافقه على ذلك ولعلّ الدور طال فأتاح الوقت الكافي لوصول أنصار الأمير يوسف الذين أنقذوه وكان على رأس هؤلاء — حسب المصادر المسيحية — القائد العُلبج أبو السُرور مُفرّج قائد رُنْدَة، وقد كافأه يوسف الثالث بعد أن اعتلى العرش بأن أنعم عليه وتزوّج ابنته وغدا من أقرب المقرّبين إليه ولما استشهد في قلعة مُنتَفريد عام 813 هـ (1410م) رثاه بشعر يوجد في ديوانه.

لقد ظلّ يوسف الثالث في الملك عشر سنوات من سنة 810هـ إلى 820هـ وقد فصلنا الكلام على عهده في مقدّمة ديوان ابن فركون ولا نريد أن نكرّر ما قلناه هناك، ولهذا فإننا سنقتصر هنا على إشارات إلى مناسبات القصائد التي يتضمّن هذا السفر وأولها وأبرزها ولادة أول مولود للسلطان ووفاته والدته إثر الولادة مباشرة وكان هذا «في آخر محرّم عام اثني عشر وثمانمائة» وهذه الفقيدة هي «بنت القائد المعظم المرحوم أبي يزيد خالد مولى نعمتهم الكريمة» زقد أورد أبو الحسين في البداية خمس قصائد قالها الملك الشاعر في رثاء سكنه، وهو رثاء يجمع بين التفجّع على الفقيدة والقلق على حال الوليد مع التجلّد أمام الخطب الأليم، ومثال ذلك قوله في إحدى القصائد المذكورة :
لئن أودعوها في الثرى فمحلّها من القلب محمّي بطول حياته
وهيات يحو الدهر ثابت ودّها وما رست أيدي الهوى في حصاته
وقوله :

وفي المهد مبغوم النداء كائنه يقول وأين الفهم من كلماته
يشير فنذري ما يريد توهماً ونفهم شرح الحال من لحظه
وفي هذه القصيدة نجد الفخر إلى جانب الرثاء ولكنه فخر ينتهي بالاستسلام أمام الموت فبعد أحد عشر بيتاً :

ولكنني لم ألف للموت مدفعاً يرّد الذي قد خيف من سطواته
وإذا كانت قصائد السلطان تفيض حزناً وتقطر ألماً على فقدان إلفه وسكنه فإن الشعراء الذين قالوا في هذه المناسبة وقفوا عند حدّ التهئة بالمولود والتعبير عن الفرحه بمقدّمه، وهؤلاء هم أبو بكر بن عاصم وولده أبو يحيى وأبو العباس ولد الشريف السبتي وأبو عبد الله الشّرّان وأبو الحسين بن فركون وأبو القاسم بن سالم، وهذا الأخير هو الوحيد الذي شفع آلتّهنّية بالتعزية وما نظنّ أنه كان موفقاً عندما قال :
فقلّ جذلاً به أهلاً وسهلاً ولا تأسف على إلف فقيد

وفي يوم الأربعاء 5 صفر كانت العقيقة وكان يومها في غرناطة يوماً مشهوداً وموسماً مقصوداً أُجريت فيه عوائد الكرم ووُزعت خلاله جوائز الجود وأنشد شعراء الحضرة يومئذ مطوّلات خلّدت هذه المناسبة إذ أنّ العقيقة كانت لمولود موعود لولاية العهد،

وأصحابُ هذه المطولات هم : أبو بكر بن عاصم وولده أبو يحيى والشَّريف أبو العباس وأحمد بنُ فُركون وأبو محمد بن مَليح وأبو الحسن علي بن هُذَيل وأبو عبد الله محمد الشَّران وأبو الحسين بن فُركون، وقد ذهبوا بعيدا في التنبؤ بمستقبل الوليد وتعددت سينُ الاستقبال وكثُرَتْ في عباراتهم «سيكون» و«سوف يكون» و«كأنِّي به يكون» ولكن ما يشاء الله هو الذي يكون، يقول أبو الحسين بن فركون «كان من مشيئة الله عز وجل على إثر وفاة الوالدة، ومصيرها إلى اللطاف الله ورحمته المعاهدة، أن استأثر الله بهذا المولى الأمير وضمه لحده، وجاء مولانا والده من أجل مصابه بما لا يُخصيه القول من الإبداع ولا يُحده» وقد وقعت وفاة الأمير الوليد «ثاني يوم من عقيقته» أي يوم الخميس 6 صفر عام 812هـ وفيه يقول يوسف الثالث :

بَعْدَ لَيُّومِ الحَمِيسِ مِنْ صَفَرٍ لَمَّا جَرى فِيهِ سَابِقُ القَدْرِ

ويقول أيضا :

إِنَّ لِلّهِمَّ حَمِيسَ ثَارٍ فِي يَوْمِ الخَمِيسِ

وقد جرى ابن فُركون على الترتيب المرسوم له في «مَظهر النور الباصِر» فصَدَّرَ بمرثيتين للسلطان في ولده ثم أورد مرثيته هو في الموضوع.

ومن المناسبات التي خُلِّدت بالشعر في هذا السَّفر عيد الفطر لعام 811هـ وفيه قصيدة لأبي الحسين وعيد الأضحى للعام نفسه وفيه قصيدتان إحداهما لأبي الحسين والثانية لأبي بكر محمد بن عاصم الذي كان رئيس الكتاب يومئذ.

وثمة قصيدة قالها الفقيه الخطيب أبو القاسم بن سالم المالقي بمناسبة زيارة السلطان مالقة عام 811هـ، وقصيدة رفعها الفقيه أبو القاسم العرّادي إلى السلطان أيضا يشير فيها إلى وفادة سفير المغرب عليه، وقصيدة قِيلَتْ بمناسبة احتفال السلطان بإملاك أحد إخوته وهي من مرفوعات الفقيه القاضي أبي القاسم بن حاتم قاضي جبل طارق.

تلكم هي القصائد التي استطعنا معرفة مناسباتها وتحديد تواريخها وثمة قصائد ومقطعات أخرى ليس فيها ما يدلّ على مناسبة أو يشير إلى تاريخ وإن كنا نقدر أنها مما قيل خلال عامي 811هـ — 812هـ.

ومما ذكرناه نعرف أن هذا السفر يعتبر مكملًا لديوان ابن فركون وديوان يوسف الثالث، وذلك أن أشعار هذين الديوانين تكاد تغطي أهم المناسبات في السنوات العشر التي ملك فيها يوسف الثالث، أما أشعار هذا السفر التي يبلغ عددها 76 بين قصيدة وقطعة وموشحة، فإنها تتعلق كما عرفنا بسنة أو سنتين من هذه السنوات العشر، ومع ذلك فإن قيمته التاريخية واضحة، إذ عرفنا بواسطته أعلاما لم نكن نعرف عنهم شيئا وزادنا معرفة بأعلام آخرين. ونثبت فيما يلي أسماء هؤلاء الأعلام وأمام كل شاعر عدد قصائده :

12	— يوسف الثالث
13	— أبو الحسين بن فركون
12	— أبو جعفر بن فركون
3	— أبو بكر بن عاصم
4	— أبو يحيى بن عاصم
4	— أبو عبد الله الشَّران
2	— أبو القاسم بن حاتم
3	— أبو زكرياء يحيى بن السَّراج
2	— أبو الحسن علي بن هذيل
2	— أبو القاسم بن سالم
2	— أبو القاسم العرَّادي
2	— أبو محمد بن مَليح
2	— أبو عثمان آلِئُري
3	— أبو عامر المكي
1	— أبو الحسن الغافقي
1	— أبو جعفر العُربِّي

وقد عرفنا بكل واحد منهم في حواشي هذا الديوان وأحلنا على المصادر القليلة التي ورد فيها ذكرهم، وتجدر الإشارة إلى أنها شحيحة جدا كما أن بعض هؤلاء الأعلام لم

يذكروا فيها أصلاً ولهذا فإن قصائدهم التي اشتمل عليها هذا الديوان هي كلّ ما يعرف عنهم. وقد ضبطنا الأشعار وشكلناها بالشكل التام وشرحنا بعض المفردات الغريبة واقتصرنا في التعليقات على ما لا بد منه كالإشارة إلى بعض التضمينات والاقتباسات والمعارضات، وسوف نقوم إن شاء الله بعد الانتهاء من نشر الموجود من شعر هذه الحقة الغرناطية بدراسته دراسة فنية تكشف عن قيمته الأدبية، وسنرى أن شعر هذه الحقة المضطربة لا ينزل مستواه عن مستوى ما قبله وأن طبقة أبي يحيى بن عاصم وأبي الحسين بن فركون وأبي عبد الله الشّرن ليست دون طبقة ابن الجيّاب أو طبقة ابن الخطيب أو طبقة ابن زمرك.

الثاني من كتاب منظم النور الباطني
 في كرامات مولانا الفاضل الفاضل
 يفرق بين الدنيا والآخرة
 الناصر ولي الله
 فَيُؤَيِّدُهَا : وَأَنْ يَكُونَ هَذَا الْبَوَاقِ سَائِرًا : مُجْتَبِيَةً
 زَيْدٌ جَمْعُ اللَّهِ وَجُودُهُ : وَغُلِي فِي مَعَالِمِ الْإِيمَانِ
 وَجِبْ
 الْمَوَاقِفِ الشَّاءِ عَلَيْهِ نَفْسًا وَشَرًّا : وَأَنْ تَقِفَ كَأَقْرَبِ الْمَرَامِ

تَحْلِي بِدَاحِ لَعْلَةٍ ، نَهَابَهُ لَيْلٌ حَجَّاجٌ مَمْرَجٌ
 نَعْدُ الْبَاقِيْنَ تَنْزِي حَمَامَةٍ ، وَتَسْقُطُ نَزْكَى جَاجًا مَثَا حَجَا
 تَرَارٍ مَرَارٍ الْغَمَامِ انْسِكَابُهُ إِذَا مَا تَرَى الْبَارِ وَالْمُتَوَهَّجَا
 مَلَأَ مَلَأَ تَنْفَعُ لَيْلٌ قَبْرُهُ ، نَسَامَتَا يَبْرُؤُا نَجْمًا مَتَقَرَّ جَا
 كَانَتْ تَبَاهِي رَافِعُهُ صَحِيحَتُهُ ، يَرَى بِهَا الْكَلْبُ خَدَا مَتَبَّحَا
 وَكَانَتْ تَغْنِي السُّعُودَ كَ مُوَضَّحٍ ، وَضَوْجُ النُّجُومِ الْفُتُوحُ وَالْبَاقِ نَجَا
 الْبَلَدُ يَفْرِي كَأَنَّ مَرَضُ اللَّهِ ، وَجَاحُ عَجْرٍ الْفُتُوحُ وَالْبَلَدُ نَجَا
 أَمَّ حَيَّةٌ أَجْدَامُهُ يَفِي نُوْرُهُ الْبَرْقُ وَالْبَرْقُ نَجَا
 عَجَا عَجْرُكَانَ مَقْلُ مَقْلًا مَحِيَا وَهَاجَ دَاكِيَّةً لَنْجَا
 مَلَأَ مَلَأَ رَافِعُهُ فَنَّهُ ، فَالْقَلْبُ الْغَرَاءُ ضَمِيحًا تَبَلَجَا
 لَنْفِيلُ الْعَلَا يَنْزِلُ رَاجَةً ، يَفُوقُ نَدَا مَا الْإِخْرَاقُ مَتَوَهَّجَا
 رَجَا أَمَّا قَبْلُ كَبْكَبًا أَمَلًا أَكُوْرُ إِلَى شَيْءٍ مَرْدُودٍ مَتَوَهَّجَا
 مَلَأَ مَلَأَ رَافِعُهُ نَفْصَنَ ، وَقَدْ كَانَتْ بَابُ الْفُتُوحِ مَتَوَهَّجَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

يَقُولُ الْعَبْدُ الَّذِي شَرَّفَهُ مَوْلَانَا النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ — أَيْدِ اللَّهِ مَقَامَهُ، وَنَصَرَ أَعْلَامَهُ —
بِجَمْعِ أُمْدَاحِهِ عَلَى اخْتِلَافِ فُنُونِهَا، وَأَنْ⁽¹⁾ يَكُونَ هَذَا الدِّيوانُ سَافِراً عَنْ مُحْتَاجِهَا
وَمَصُونِهَا، وَإِنَّهُ حَفِظَ اللَّهَ وَجُودَهُ، وَأَعْلَى فِي مَعَالِمِ الْجِهَادِ أَعْلَامَهُ وَبُنُودَهُ، أَوْجَبَ أَنْ
تُسْتَفْتَحَ الْمَقَاصِدُ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ نَظْماً وَنَثْراً، وَأَنْ تَسْتَقْبَلَ الْأَبْصَارُ مَدَائِحَهُ اسْتِقْبَالَهَا
لِلرُّوضِ الرَّائِقِ نَضَارَةً وَنُوراً، وَأَنْ يَكُونَ كُلُّ سِفَرٍ مِنَ الْمَجْمُوعِ الزَّاهِي بِاسْمِهِ وَذِكْرِهِ،
مُفْتَتِحاً بِالْمُعْجَبِ مِنْ خَطِّهِ وَشِعْرِهِ، وَبِمَا يُشْرِفُ بِهِ عِبِيدَهُ مِنْ مُنْتَظَمِ دُرِّهِ، فَلْيَدِهِ
الْكَرِيمَةِ السُّلْطَانِيَّةِ حُسْنُ خَطٍّ لَا يُجَارَى مَدَاهُ، وَلِفِكْرِهِ عَجَائِبُ تُنْصَحُهَا فِي مَجَالِي
الطُّرُوسِ يَدَاهُ.

فَمِنْ ذَلِكَ [قوله] خَلَدَ اللَّهُ مُلْكَهُ،
وَجَعَلَ كُلَّ مَلِكٍ مُلْكَهُ⁽²⁾،

وَمِمَّا يُهَيِّجُ⁽³⁾ الشَّوْقَ مِنِّْي وَالْبُكَاءَ وَمِيزُ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ يَلُوحُ
تَعَرُّضَ⁽⁴⁾ مِنْ دُونِ الْمُصَلَّى وَدُونَهُ مَجَالٌ لِأَيْدِي النَّاعِجَاتِ فَسِيحُ
بَلِيلٍ كَانَ الشُّهْبَ فِيهِ فَوَارِسُ يُسَلُّ عَلَيْهَا لِلْبُرُوقِ صَفِيحُ
فَمَا بَيْنَ ثَاوٍ قَدْ تَكَدَّرَ أَوْ خَفَى⁽⁵⁾ وَآخِرُ خَفَّاقُ الْفُؤَادِ جَرِيحُ

(1) جاء في طرّة المخطوط بخط مغاير حديث ما يلي : «قوله : وأن يكون الخ لم يظهر ما هو المعطوف عليه لأنه لم يُسبق أن قبل هذه حتى تعطف هذه عليها. فتأمل وأنصف، والكمال لله».

(2) هذه القصيدة موجودة في ديوان ملك غرناطة : 21 — 22 الطبعة الثانية.

(3) في الدِّيوان : وَمِمَّا أَهَاجَ.

(4) في الأصل : تَفَرَّضَ.

(5) في الدِّيوان : فمن بين هاوٍ قد تكدّر واحتفى.

فَإِنْ يَكُ لَيْلُ الْهَجْرِ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ
يُرِيكَ التَّبَاشِيرَ الَّتِي قَدْ تَأَلَّقَتْ
فِيحْسِبُهَا مَنْ يَهْتَدِي بِسَنَائِهَا
وَأَنْ إِفْنَتِ الرُّومُ (7) يَنْقَادُ خَاضِعاً
سَيَرْضَى بِحُكْمِ السِّيفِ مِنْهُ مُسَوِّفٌ
وَذَلِكَ سَهْلٌ فِي مَشِيئَةِ قَادِرٍ
أَمَّا نَحْنُ وَاللَّهُ الْعَلِيمُ بِقَصْدِنَا
بِأَفْئِدَةٍ لَا يَسْتَقِرُّ قَرَارُهَا
أَنَا الْيُوسُفِيُّ النَّاجِحُ السَّعْيِ كُلِّمَا
أَنَا الْيُوسُفِيُّ النَّاصِرُ اللَّقْبِ الَّذِي
يُصْرِّحُ مَلِكُ الرُّومِ جَهْراً (9) بِصُلْحِهِ
وَهَلْ لِي إِلَى غَيْرِ الْحُرُوبِ تَطْلُعُ
وَأِنْ مَقَامِي لَا مُقَامٌ يَرُوقُهُ

فَلِلْوَصْلِ وَجْهٌ بِالصَّبَاحِ صَبِيحُ (6)
فَرَأَى مِنْ الْفَجْرِ الْأَغْرُ وَضُوحُ
عَزَائِمَ تَعْدُو فِي الْعَدَى وَتَرُوحُ
كَمَا انْقَادَ مِنْ بَعْدِ الْإِبَاءِ جَمُوحُ
وَيَسْمَحُ بِالْمَالِ الْعَرِيضِ شَحِيحُ
يُنِيلُ مَرَاماً مُرْتَجًى وَيُتِيحُ
نُهْجَرُ فِي نَصْرِ الْهُدَى وَنُريحُ
وَهَلْ بِمُثَارِ النَّفْعِ تَهْدَأُ رِيحُ
تُذَوِّكِرَ قَصْدٌ لِلْمُلُوكِ نَجِيحُ (8)
أَيُّدُ ذَرَارِي الْعَدَى وَأَيُّحُ
وَبُرْهَانُ مَقْصُودِي لَدَيْهِ صَرِيحُ
وَهَلْ لِي إِلَى غَيْرِ الْجِهَادِ طُمُوحُ
فَلَيْسَ فُتُورُ (10) أَنْ تَقْلَ فُتُوحُ

وَمِنْ مَقَاصِدِهِ الشَّرِيفَةِ (11)

رَضِيْتُ بِمَا يَقْضِي الْجَمَالَ وَيَحْكُمُ
أَنَا النَّاصِرُ السَّامِي إِلَى كُلِّ مُرْتَقَى
وَلِي فِي الْمَعَالِي هِمَّةٌ يُوسُفِيَّةٌ
وَإِنْ كَانَ سَيْفِي فِي الْعَدَى يَتَحَكَّمُ
بِي الْحَطْبُ يَصْحُو جَوْهُ الْمُتَعَيِّمُ
تَسَامَى بِهَا فَوْقَ الْكَوَاكِبِ مَعْلَمُ

(6) فصيح كذا في الأصل، وفي الديوان : صبيح.

(7) افنت هي الكلمة القشتالية Infante أي الولد، وتعني ولي العهد.

راجع ما كتبه في دوان ابن فركون : 60، 157، 345.

(8) هذا البيت غير موجود في الديوان.

(9) في الديوان : جهدا.

(10) في الديوان : فليس فتوراً.

(11) توجد القصيدة في الديوان : 121 وفيه : «ومن نظمنا في التضمين، وطريقة سحره المبين».

فَيَا ثَاوِيًّا حَيْثُ الْحِمَى وَعُهْدُهُ
«أَلَيْسَ عَجِيْبًا أَنْ نَكُونَ بِلَدَةٍ
إِلَى كَمْ تُنَاجِينَا كَوَاكِبُ لَيْلِنَا
أَلَيْسَتْ لِي النَّفْسُ الَّتِي مِنْ صِفَاتِهَا
تَقْسَمُهُمْ فِكْرِي وَذِهْنِي وَخَاطِرِي
وَعَهْدِي بِالْعُدَالِ لَا دَرَّ دَرُّهُمْ
وَأَمَّا وَقَدْ فَازَ الْقِدَاحُ فَدَهْرُنَا
وَطَلَعَةُ سَلَمَى فِي حِمَانَا كَأَنَّهَا
يَقُولُونَ أَقْصِرْ عَنْ هَوَاهَا فَإِنَّهَا
أَعِيدُ مُحْيَاهَا مِنَ الْجَفْوَةِ الَّتِي
أَتَمَكَّنِي الرُّجْعَى وَخَيْلُ ارْتِيَاخَتِي
أَنَا عِنْدَهَا لِلْوَصْلِ كَيْفَ أَرِيدُهُ
وَهَاتِيكَ سَلَمَى لَا عِدْمَتُ قَبُولَهَا
يُشِيرُ مُحْيَاهَا الْجَمِيلُ صَبَابَتِي
وَتَرْتَاخُ عِطْفَاهَا فَأَحْسِبُ أَنَّهَا
أَهْنَأُ بِالْيَوْمِ الْأَغْرَّ وَأَجْتَلِي
وَأَسْتَقْبِلُ الْعِيدَ السَّعِيدَ بِدَوْلَةٍ

تُرَوِّقُ بُدُورَ فِي عُلاَهُ وَأُنْجِمُ
كِلَانَا بِهَا ثَاوٍ وَلَا تَتَكَلَّمُ» (12)
وَنُخْفِي أَحَادِيثَ الْعَرَامِ وَنَكْتُمُ
سُهَادَ جُفُونٍ وَالْأَحْبَةَ نُومُ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَنِ الْقَلْبُ مِنْهُمْ
تُعَوِّرُهُمْ مِنْ عِبْرَتِي تَتَبَسَّمُ
كَمَا يَقْتَضِيهِ السَّعْدُ (13) فَتَحْ وَمَوْسِمُ
عَلَى أَفْقِ الْعَلْيَاءِ بَذَرُ مُتَمِّمُ
إِذَا سَنَحَتْ تُصْمِي مِنَ اللَّحْظِ أَسْنَهُمُ
يُخَيِّلُهَا الظَّنُّ الْكَذُوبُ الْمَرْجَمُ
سَوَابِقُهَا فِي سَاحَةِ الْأُنْسِ تُقَدِّمُ
أَمْتَعُ فِيمَا شِئْتُهُ وَأُحْكَمُ
مُنَايَ إِذَا مَرَّتْ وَعَادَتْ تُسَلِّمُ
فَيُعْرِى فُوَادَ بَيْنَ جَنْبِي مُعْرَمُ (14)
مِنْ الْعُصْنِ الْمُرتَاحِ قَدْ مُنْعَمُ
مِنْ الصَّنْعِ مِيقَاتًا بِهِ اللَّهُ يُنْعِمُ
رِسُومَ مَعَالِيهَا تُحْطُ وَتُرْسَمُ

وَمِمَّا سَمَحَتْ بِهِ فِكْرُهُ

الْكَرِيمَةُ وَأَنْعَمَهُ الْعَمِيمَةُ (15)

كَفَى شَجَنًا (16) أَنْ لَا أَرَى وَجْهَ حِيلَةٍ
لَطَارِقِ طَيْفٍ أَوْ لِبَعَثِ كِتَابٍ
وَلَا أَمَلٍ إِلَّا وَظَلَّ يَرُوعُهُ
صُدُودُ مَلَالٍ لَا صُدُودُ عِتَابٍ

(12) هذا البيت مضمّن، وهو من شعر عمر بن أبي ربيعة وفي الديوان : أليس كثيراً.

(13) في الديوان : الشعر.

(14) هنا تنتهي القصيدة في الديوان.

(15) هذه الأبيات في الديوان : 6.

(16) في الديوان : كَفَى حَزْنًا.

وَمَحْجُوبَةٌ بِالْقَصْرِ لَمْ تَذَرِ مَا الْهَوَى
مُنْعَمَةٌ رِيًّا الرُّوَادِفِ أُودِعَتْ
أُخَادِعُ فِيهَا النَّفْسَ بِالْوَعْدِ وَالْمُنَى
سَامِلٌ إِعْسَارَ الْهَوَى أَنْ يُدِيلَهُ
وَلَا سَهَرَتْ يَوْمًا لِذِكْرِ تَصَابِ
جَمَالَ رُؤَا فِي بَهَاءِ شَبَابِ
وَقَدْ بَخِلْتُ حَتَّى بَرَدَ جَوَابِ
بُسْرٍ حَبِيبٍ بِالْوِصَالِ يُحَابِي

وَمِمَّا شَرَّفَ بِهِ عَبْدُهُ (17)

مَدَّتْ تُصَافِحُنَا (18) أَنَا مِلْ سَوْسَنِي
فِي رَوْضَةٍ لَوْلَا الْحَيَاءُ مَعَ الْحَيَا
أَوْ مَا يُعِيدُ الْأَنْسَ يَسْحَبُ عَظْفُهُ
أَوْ مَا يُجِيلُ قِدَاحَ لَذَاتِ الْهَوَى
أَمَا صِفَاتُ الْمَلِكِ فَهِيَ قَدْ اقْتَضَتْ
وَتُظَلِّلُ الْأَعْلَامُ يَوْمَ الْمُلتَقَى
وَقِسِيَّتُهُ فِي النِّقَمِ تُنْشِدُ حِزْبَهُ
هَذَا وَأَمَّا الْيُوسُفِيُّ إِذَا رَمَى
وَمَقَامُ مَظْهَرِي الرِّفِيعِ مَكَانَهُ
الْقَى بَنِي الْأَمَالِ بِالْوَجْهِ الَّذِي
وَأَفِضُ فِي شَأْنِ الصَّبَاةِ وَالصَّبَا
وَاللَّهُ ثُمَّ اللَّهُ مَالِي مَطْمَحُ
وَإِذَا أَرِيحُ النَّفْسَ فَهِيَ سَجِيَّةُ
وَالْمُلْكِ مِلْكِي وَالْإِلَاهُ وَفَضْلُهُ
حَتَّى أَهَزَّ الْعَضْبَ وَهُوَ مُشْهَرُّ
وَرَنْتُ تُعَازِلُنَا عُيُونُ التَّرْجِسِ
لَدَعُوا لِنَاصِرِكُمْ صَرِيحَ الْأَكُوسِ
وَالرَّوْضُ يُرْفُلُ فِي ثِيَابِ السُّنْدُسِ
وَيَلُوحُ مَنْصُورًا بِأَرْفَعِ (19) مَجْلِسِ
أَنْ أَلِيسَ الْأَبْطَالُ أَشْرَفَ مَلْبَسِ
وَجْهًا يُفْدِي بِالنَّهَارِ الْمُشْمَسِ
نَحْنُ الْأَهْلَةُ فِي ظِلَامِ الْجِنْدِسِ
فَالنَّصْرُ يَنْزِعُ عَنْ سِهَامِ مُقْرَطِسِ
أَسْنَى مَقَامٍ فِي نَدَى وَتَأْسِ
تَحْكِيهِ أَوْصَافِ الْكَرِيمِ الْمُعْرِسِ (20)
وَأَجُودُ جُودَ الْعَارِشِ الْمُتَبَجِّسِ
إِلَّا طِمَاحِي لِلْجَنَابِ الْأَقْدَسِ
تُرْضِي إِخَائِي فِي الْعَلَاءِ وَمُونِسِي
يَأْتِي بِظَنِّي مُنْعَمًا وَتَفَرُّسِي
فَأَرَاهُ يَزْهِي بِالنَّجِيعِ وَيَكْتَسِي

(17) القصيدة موجودة في الديوان : 156 — 157.

(18) في الديوان : تُصَفِّحُنَا.

(19) في الديوان : بِأَشْرَفِ.

(20) في الديوان : الْمُعْرِسِ.

مِثْلُ ذَلِكَ أَيَّدَهُ اللَّهُ (21)

يَوْمَنَا يَوْمَ صَبَاحٍ مُشْرِقٍ فَأَجِيبُوا يَا نُجُومَ الْأُفُقِ
يُوسُفِيًّا قَدْ أَقَامَ سُنَّةً نُظِمَتْ أَشْرَافُهَا فِي نَسَقِ
فِي رِيَاضٍ حُسْنُهَا مُتَّحِدٌ شَائِعٌ فِي مَغْرِبٍ وَمَشْرِقِ
وَأَنَا يُوسُفُهَا مِنْ دَوْلَةٍ أَطْلَعُ الْأَنْجُمَ مِلْءَ الْحَدَقِ
بَيْنَ أَبْطَالٍ جِهَادٍ تَمْتَطِي لِلْوَعَى غُرَّ الْجِيَادِ السُّبْقِ
وَوُفُودُ الْمُلِكِ قَدْ حَفُّوا بِهِ دُرَّرَ الْعِقْدِ وَتَاجَ الْمَفْرِقِ
بَذَلْتُ يُمْنَايَ مَا شَاءَ النَّدَى وَعَلَى اللَّهِ جَزَاءُ الْمُنْفِقِ
هَذِهِ - يَوْمَ احْتِفَالِ الْمُنتَدَى يَا حُمَاةَ الدِّينِ - أُسْنَى خُلُقِي
وَحَقِيقُ أَنْ أَرَى مُعَوِّذًا فِي جَمَى الْمُلِكِ بَايَ الْفَلَقِ
وَإِذَا شِئْتُمْ ثَنَائِي فَأَنَا قَازِفٌ بِاللُّوْلُؤِ الْمُتَسِقِ
لُجَّةٌ مُلْقِيَةٌ جَوَاهِرًا تُنْتَقَى لِلْحَضَرِ أَوْ لِلْعُنُقِ
يُوسُفِيٍّ مَطْمَحِي مِلْءَ الْعُلَى نَاصِرِي هَازِمٌ لِلْفِرَقِ
أَسْأَلُ اللَّهَ لِرِوَاءٍ خَافِقًا سَالِكًا لِلْقَصْدِ أَهْدَى الطَّرُقِ

وَمِمَّا يُشِيرُ إِلَيْهِ مَمْلُوكُ هَذَا الْمَوْلَى
النَّاصِرِ أَعْلَى اللَّهِ أَمْرُهُ، وَأَعْظَمَ أَجْرُهُ

أَنَّ هِلَالَ آفَاقِهِ، وَالْمُرْتَقَبَ طُلُوعاً مُحَرِّزاً الشَّرَفَ الْمُلْكِي بِاسْتِحْقَاقِهِ، وَالنَّاجِمَ مِنْ
مَطْلَعِ الْكَمَالِ السَّيِّئِ، وَالْمَقَامِ الْيُوسُفِيِّ حَيْثُ الْعِزُّ قَدْ مَدَّ ظِلَّ رِوَاقِهِ، وَالْمَشَارِقُ
وَالْمَغَارِبُ قَدْ رَاقَهَا بَهْجَةُ زَمَانِهِ، فَتَسَحَّبَتْ فِي بَدَائِعِ إِشْرَاقِهِ، نَجَلُهُ السَّيِّدُ الْمَوْلَى
... (22) فَتَوَجَّهَتْ وَجُوهُ الْأَمَالِ، وَانْتَضَمَتْ لِلْسَّاعَةِ عُقُودُ رَائِقَةِ الْجَمَالِ، وَصَدَرَتْ

(21) توجد في الديوان : 148 مع تمهيد في مناسبتها هذا نصه : «ووجهنا ارتجالاً إلى مجلس علماء حضرتنا
في وليمة شرعية اخذنا صنيعها بالرياض من قصورنا على ما اقتضته عنايتنا بمجلسهم وتحفينا بالمزيد
من تأتسهم».

(22) تُرِكَ بعدها في الأصل بياضٌ، ولعله مخصص لاثبات اسم المولود وفي سياق الكلام نقصٌ أو اضطراب.

الْمَقْطُوعَاتُ كَأَنَّهَا قَطَعَ الرَّوْضُ الْمُتَعَاهِدِ بِالْبَلِيلِ مِنْ مَهَبِّ الْقَبُولِ وَالشَّمَالِ، وَحَلَّ نَصْرُهُ
 اللَّهُ مِنَ الْمَجْلِسِ الْخَاصِّ لِلتَّهْنِئَةِ مَحَلَّ الْمُشْرِقِ النَّيِّرِ مِنْ هَالَتِهِ، وَتَنَاهَى إِلَى الْعَايَةِ الْمَعْهُودُ
 مِنْ قَبُولِهِ وَعِزُّ سُلْطَانِهِ وَجَلَالَتِهِ، حَسَبًا نُشِيرُ إِلَى مَا هُنَّى بِهِ مَقَامُهُ الْكَرِيمُ أَسْمَاهُ اللَّهُ
 عَلَى بَدِيهِ وَارْتِجَالِ، وَتَنَقَّلُهُ إِلَى هَذَا الْمَجْمُوعِ مَعَ مَا جَرَى فِي الْيَوْمِ مِنْ مُجْمَلِ الْحَالِ،
 وَمَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ انْتِقَالِ الْمُوجِدَةِ⁽²³⁾ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهَا إِلَى الرَّحْمَةِ الْوَارِفَةِ
 الظَّلَالِ، وَالْعِنَايَةِ الْإِلَهِيةِ الَّتِي أَوْفَدَتْهَا عَلَى مَا تَقَدَّمَ لَأَمْثَالِهَا مِنْ صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ،
 فَعَظَمَ مِنْ مَوْلَانَا عَلَى صَبْرِهِ وَتَحَمُّلِهِ مَكَانُ هَذَا الْخَطْبِ الْعَظِيمِ، وَوَقَفَ وَاللَّهُ يُحْسِنُ
 عَزَاءَهُ، وَيُطِيلُ بِكُلِّ فَتْحٍ هِنَاءَهُ، مَوْقِفَ الرُّضَى وَالتَّسْلِيمِ، وَأَجْرَى فِي اخْتِفَالِ الْمِيلَادِ
 عَادَةً سَنَهَا وَشَرَعَهَا النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى الْكَرِيمِ، وَمِنْ بَعْضِ صِفَاتِهِ الَّتِي أَنْافَتْ وَسَمَتْ،
 وَفِي رُسُومِ الْمَعَالِي وَالْمُسْتَنَدَاتِ الْعَوَالِي صَحَّتْ وَارْتَسَمَتْ، أَنَّهُ أَيَّدَهُ اللَّهُ أَخَذَ نَفْسَهُ
 الْعِلْمِيَّةَ الْعَلِيَّةَ بِإِيضَاحِ الْمُجْمَلِ، وَأَحْكَمَ مِنْ مَنْظُومِهِ فِي التَّأْيِينَ عِقْدًا يَرُوقُ لَحْظَ مَنْ
 تَأَمَّلَ، وَجَاءَ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِأَزَاهِرِ أَذْوَاحِ، وَقُوتِ أَرْوَاحِ، نُقَدَّمُهَا صَبَاحًا
 مُلَقِيًا أَشِعَّةَ جَمَالِهِ، ثُمَّ نَعْطِفُ عَلَيْهَا بِالْمُرْتَجِلِ عِنْدَ طُلُوعِ السَّيِّدِ الْمُؤَلَّى وَسَاعَةَ
 اسْتِهْلَالِهِ، ثُمَّ نَأْتِي بِمَا أَثْنَدُ فِي الصَّنِيعِ السَّعِيدِ وَمِيقَاتِ اخْتِفَالِهِ.

مقاصد مولانا نصره الله

وإبداعه، وما اقتضاه إعجابه واختراعه⁽²⁴⁾

أَحَقًّا يَعُودُ الشَّمْلُ بَعْدَ شَتَاتِهِ جَمِيعًا وَيَحْيَى الْأُنْسُ بَعْدَ مَمَاتِهِ
 وَيَنْعَمُ بِالسُّلُوانِ قَلْبٌ مُقَلَّبٌ وَيَأْلُفُ جَفْنُ الْعَيْنِ بَعْضَ سِنَاتِهِ
 هُوَ الدَّهْرُ قَدْ يُبْدِي الْجَمِيلَ وَإِنَّمَا مَسَرَّتْهُ مَقْرُونَةٌ بِمَسَاتِيرِهِ⁽²⁵⁾
 فَوَاسَفَا أَنْ أَنْجَمَ الرَّوْضُ يَانِعًا وَلَمْ أَجْنِ مَا قَدْ رَاقَ مِنْ زَهْرَاتِهِ

(23) في الطرة : أي الوالدة، ولو عبّر به كان أوضح وأسلم.

(24) القصيدة في الديوان : 15 — 17 وفيه انها «في رثاء من عز علينا فقده».

(25) أي بمساعته.

كَمَا قَدْ طَوْتُ قَلْبِي عَلَى حَسْرَاتِهِ
 أَجَالَ الْحَيَادِ الْحُمْرِ مِنْ عِبْرَاتِهِ
 ثَقَلْتُ فِي الْمَشُوبِ مِنْ جَمَرَاتِهِ
 سَرَى رَكْبُهَا وَالْمَوْتُ بَعْضُ حُدَاتِهِ
 يَضِيقُ نِطَاقُ الصَّبْرِ عَنْ زَفَرَاتِهِ
 مِنَ الْقَلْبِ مَحْمِي بِطُولِ حَيَاتِهِ
 وَمَا رَسَمْتُ أَيْدِي الْهَوَى فِي حَصَاتِهِ
 فَيُطْلِعُ صُبْحُ الْوَصْلِ نُورَ إِيَاتِهِ
 وَهَلْ طَمَعْتُ بَعْدَ الرَّدَى فِي ثَبَاتِهِ
 إِذَا لَمْ يَزَلْ الْفَوْتُ بِي عَنْ صِفَاتِهِ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ صَرَفُ الرَّدَى مِنْ جُنَاتِهِ
 تَبَّهَ جَفْنُ الدَّهْرِ مِنْ غَفَلَاتِهِ
 يَقُولُ وَأَيْنَ الْفَهْمُ مِنْ كَلِمَاتِهِ
 وَتَفْهَمُ شَرَحَ الْحَالِ مِنْ لَحَظَاتِهِ
 فَكُلُّ كَنَى عَنْ شَوْقِهِ بِلُغَاتِهِ
 فَيَا عَجَبًا وَالْمَوْتُ فِي صَفَحَاتِهِ
 وَنَحْنُ نُقِيلُ الدَّهْرَ مِنْ عَثَرَاتِهِ
 وَقَدْ هَدَّ رُكْنَ الصَّبْرِ فِي وَثَبَاتِهِ
 وَلَمْ يَخْشَ صَرَفُ الدَّهْرِ مِنْ عَزَمَاتِهِ
 وَقَدْ جُعِلَتْ طُرًّا فِدَاءً لِدَاتِهِ
 وَتَخْشَى أَسْوَدُ الْحَرْبِ حَدَّ شَبَاتِهِ
 وَيَرْتَأَعُ مِنْهُ اللَّيْثُ فِي أَجْمَاتِهِ
 وَيُلْفَى الرُّضَى فِي حِلْمِهِ وَأَنَاتِهِ

لَقَدْ نَشَرْتُ أَيْدِي الْبِعَادِ صَبَابَتِي
 وَجَفَنِي كَأَنَّ الْحَدَّ مِيدَانُهُ وَقَدْ
 فَيَا مَنْ لِقَلْبٍ لَيْسَ يَهْدًا بَعْدَمَا
 وَيَا مَنْ لِدَمْعٍ (26) لَيْسَ يَرْقًا عِنْدَمَا
 إِذَا جَالَتْ الذِّكْرَى بِقَلْبِي بَعْدَهَا
 لَئِنْ أَوْدَعُوهَا فِي الثَّرَى فَمَحَلُّهَا
 وَهَيْهَاتَ يَمْحُو الدَّهْرُ ثَابِتَ وَدَّهَا
 أَلَا لَيْتَ هَلْ أَرْجُو لِمَا فَاتَ عَوْدَةً
 وَهَلْ فَائِثٌ فِي الدَّهْرِ يُرْجَى مَعَادُهُ
 فَهَذَا أَلِيمُ الْخَطْبِ وَالصَّبْرِ عَادَتِي
 وَهَذَا عَظِيمُ الذَّنْبِ وَالْجَلْمِ شِمَتِي
 وَلَكِنَّهَا رُجِعَى إِلَى اللَّهِ كُلَّمَا
 وَفِي الْمَهْدِ مَبْعُومُ النَّدَاءِ (27) كَأَنَّهُ
 يُشِيرُ فَنَدْرِي مَا يُرِيدُ تَوْهُمًا
 نُجِيبُ نِدَاءَهُ رَافَةً وَتَعَطُّفًا
 خَلِيلِي لَمْ يَخْشَ الرَّدَى حَدَّ مُرْهَفِي
 وَكَيْفَ يُقِيلُ الدَّهْرُ لِلْمَوْتِ عَثَرَةً
 وَإِنِّي مَنْ يُرْدِي الْكُمَاةَ ثَبَاتُهُ
 وَإِنِّي مَنْ يَخْشَى الْمُلُوكُ نِزَالَهُ
 وَإِنِّي مَنْ تَهْوَى الْخَلَائِقُ أَنْ تُرَى
 وَإِنِّي مَنْ تَرْجُو الْعُقَاةَ نَوَالَهُ
 وَمَنْ تَرْهَبُ الْأَيَّامُ سَطْوَةَ بَأْسِهِ
 وَمَنْ يُتَّقَى فِي بَطْشِهِ بَعْدَاتِهِ

(26) في الديوان : ويا من لقلب.. وهو سبق قلم نَبَّه عليه سيدي عبد الله كنون.

(27) هذا من قول ابن درّاج القسطلّي : وفي المَهْدِ مَبْعُومُ النَّدَاءِ صَغِيرُ. ديوانه : 298.

وَمَنْ إِنْ دَجَا لَيْلٍ وَأَظْلَمَ حَدَثٌ تَطَّلَعَ نُورُ الصُّبْحِ مِنْ قَسِمَاتِهِ
وَمَنْ رَأَتْ الشُّهْبَانَ رِفْعَةً قَدَرِهِ وَمَنْ زَهَتْ الدُّنْيَا بِغُرِّ شِيَاتِهِ
وَمَنْ يَعْمُرُ الْأَنْدَاءَ تَرْدَادُ ذِكْرِهِ وَمَنْ يُعْجِزُ الْمُدَّاحَ بَعْضُ صِفَاتِهِ
وَلَكِنِّي لَمْ أَفِ لِلْمَوْتِ مَدْفِعاً يَرُدُّ الَّذِي قَدْ خِيفَ مِنْ سَطَوَاتِهِ
عَسَى اللَّهُ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ يُعِينُنَا وَيَمْنَحُهَا الرِّضْوَانَ بَعْضَ هِبَاتِهِ

وَفِي مِثْلِ ذَلِكَ (28)

تَشْتَاقُكُمْ نَفْسُ الْمَشُوقِ الْوَالِهِ لَوْ تُسْعِفُونَ عَمِيدَكُمْ بِسُؤَالِهِ
مَا ضَرَّهُ إِلَّا التَّشْيِيعُ (29) فَيْكُمْ فَسِوَاكُمْ مَا إِنْ يُمُرُّ بِبَالِهِ
بِالْقَلْبِ (30) شَيْعَكُمْ غَدَاةَ أَحْلَكُمْ حَادِي رِكَابِ الْخَيْفِ بَيْنَ حِلَالِهِ
مُضْنَى الْجَوَانِحِ وَجْدُهُ لَا يَنْقُضِي فِي حَلِّهِ أَبَداً وَلَا تَرْحَالِهِ
يُخْفِي الْهَوَى وَكَأَنَّمَا جَمْرُ الْأَسَى تُهْدِي الرِّكَابُ بِاشْتِعَالِ ذُبَالِهِ
إِنْ أَنْتُمْ يَا رَاحِلِينَ ظَنَنْتُمْ مَهلاً بِصَوْبِ الدَّمْعِ وَاسْتِرْسَالِهِ
لَا تَحْسِبُوا دَمْعَ الْجُفُونِ عَلَيْكُمْ إِلَّا جَوَاداً سَابِقاً بِمَجَالِهِ
مَاذَا يَقُولُ مَنْ اغْتَدَى مُتَفَكِّراً فِيمَا يُبَيِّنُهُ فَصِيحُ مَقَالِهِ
مَاذَا يَحْدُثُ إِنَّمَا يُغْنِيكُمْ عَنْ شَرْحِ مَا يُخْفِيهِ (31) مُجْمَلُ حَالِهِ
يَلْقَى هَجِيرَ فِرَاقِكُمْ وَرِكَابِكُمْ فِي دَوْحِ نَوْمَتِهِ وَفَيْءِ ظِلَالِهِ
أَفَلْتَ أَشِيعْتُكُمْ وَكَأَنْتَ مَطْلِعاً يُلْقِي لَدَيْنَا النُّورَ بِدُرِّ كَمَالِهِ
مَالَتْ بِغُصْنِ الدَّوْحِ نَسْمَتُهُ فَهَلْ طَمَعْنَا لَنَا مِنْ بَعْدُ فِي اسْتِقْبَالِهِ
أَفَلَا نَفِي بَعُودِكُمْ وَمَقَامُنَا مُتَقَبِّلُ الْحَسَنَاتِ مِنْ أَعْمَالِهِ

(28) الديوان : 94 — 95 وفيه : «ومن منظومنا في الرثاء للسكن».

(29) في الديوان : التشوق.

(30) من هنا إلى قوله : ذباله، غير موجود في الديوان.

(31) وردت في أصل الديوان : ما يغنيه، وصوبها المحقق كما يلي ما يضيئه.

أَنَا مَنْ عَلِمْتُمْ حَافِظٌ لِذِمَامِكُمْ
وَالْمُلْكُ مِلْكِي لَوْ يُتَاحُ فِدَاؤُكُمْ
مَا كُنْتُ مِمَّنْ لِلْوَفَاءِ بَعْدِهِ
مَا كُنْتُ مِمَّنْ فِي الصَّدِيقِ وَحْبِهِ
وَأَنَا الْكَرِيمُ بِمَا مَلَكَتُ لِأَجْلِهِ
وَلَقَدْ وَقَفْتُ مُسَائِلًا طَلَّلَ الْحَمَى
وَأَقُولُ يَا نَسَمَاتِ هَبَّاتِ الصَّبَا
أَسْفَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَغْرَّ تَحَجَّجَتْ
لَمَّا اسْتَهَلَّ وَلِيَّ عَهْدِي نَاجِمًا
فَالرُّبْعُ حَسْبِي أَنْ أُرَى مُتَأَنِّسًا
لَا زِلْتُ أَمْنَحُهُ الرِّضَى حَتَّى يَرَى

حَفِظًا أَجَلَ الْمُلْكِ عَنْ إِغْفَالِهِ
لَمْ يَخْتُمْ الْمَذْخُورَ مِنْ أَمْوَالِهِ
يُتَعَرَّفُ الْإِعْرَاضُ مِنْ إِقْبَالِهِ
يُصْغِي بِمَسْمَعِهِ إِلَى عُدَالِهِ
كَرَمَ الْجَوَادِ بِرُوحِهِ وَبِمَالِهِ
أَرْجُو جَوَابَ قَبُولِهِ وَشِمَالِهِ
هَلْ رَاحَةٌ فِي الرُّبْعِ أَوْ تَسَالِهِ
عَنِّي بِحُكْمِ اللَّهِ غُرَّ خِلَالِهِ
أَخْفَى مُحْيَاكُمْ ظُهُورَ هِلَالِهِ
بَطْلُوعَ بَدْرِي فِيهِ وَاسْتِهْلَالِهِ
مُلْكِي بِهِ مَا شَاءَ مِنْ آمَالِهِ

وَفِي مِثْلِ ذَلِكَ (32)

جَفَا أَجْفَانِ مُقْلَتَي السُّهَادِ
فَاسْتَجَلِي الْمُحْيَا رَاقٍ حُسْنًا
أَمَّا وَرِكَابُهَا إِذْ حَثَّ سَيْرًا
تَوَادَعْنَا فَعَزَّ بِهَا لِقَاءُ
فَوَاسْفَا عَلَى سَكَنِ صَفِيٍّ
عَلَى سُلْطَانِي الْأَعْلَى وَمُلْكِي
بَذَلْتُ لَهَا الْفِدَاءَ (34) بِكُلِّ شَيْءٍ
فَغُيِّبَ فِي الثَّرَى نَجْمُ الثُّرَيَّا

فَهَلَّا سَاعَدَتْ يَوْمًا سَعَادُ
وَيَهْدَا مِنْ تَقْلِبِهِ الْفُؤَادُ
لَقَدْ ظَفَرَ الْحُدَاةُ بِمَا أَرَادُوا
وَأَحْكَمَ عَقْدَ فُرْقَتِهَا (33) الْبِعَادُ
سَجِيَّتُهُ خُلُوصٌ وَاعْتِقَادُ
وَفَاءُ بَعْدَ ذِكْرِ يُسْتَعَادُ
مِنَ الدُّنْيَا يُنَالُ وَيُسْتَفَادُ
وَأَقْفَرَتِ الرَّوَابِي وَالْوَهَادُ

(32) الديوان : 55 وفيه : «ومن ذلك في غرض الرثاء عند وفاة سَكَنٍ عَزَّ عَلَيْنَا فَقْدَهُ».

(33) في الديوان : فرقتنا

(34) في الديوان : البراء.

وَأَكْبَرُ حَادِثٍ مَنْ خَلَفْتُهُ وَمِنْ حَجَرٍ⁽³⁵⁾ الْعَلَاءِ لَهُ مَهَادُ
صَغِيرُ السِّنِّ تُكْبِرُهُ الْمَعَالِي وَطَوَّعَ مَدَاهُ تَسْتَبِقُ الْجِيَادُ

وَفِي مِثْلِ ذَلِكَ⁽³⁶⁾

أَحَقًّا أَنْ رَحَلْتَ فَلَا إِيَابُ وَأَنَا إِنْ سَأَلْنَا لَا نُجَابُ
أَوْحَشْتَنَا بِهَا قَضَتِ اللَّيَالِي أَفْرَقْتَنَا بِهَا سَبَقَ الْكِتَابُ
لَنَا فِي الْخُطْبِ صَبْرٌ يُوسُفِي عَلَى أَنْ لَا يُرَى مِنْكُمْ خِطَابُ
وَلَوْ كَانَ الرَّحِيلُ إِلَى إِيَابِ لَكَانَ الْعَوْدُ يُرْقَبُ وَالْمُتَأَبُّ⁽³⁷⁾
وَلَكِنْ سَارَتْ الْأَطْعَانُ سِيرًا حَيْثُ دُونَهُ الْحَيْلُ الْعِرَابُ
وَفِي الْخَذِرِ الْمُمنَعِ مَنْ تَنَاهَى بِأَرْحُلِهَا انْتِزَاحٌ وَاعْتِرَابُ
أَحْلَتْهَا النَّوَى مَرْمَى بَعِيدًا وَمَثْوَى زَادَهَا فِيهِ الثَّوَابُ
وَهَا أَنَا يُوسُفِي قَدْ دَعَانِي لِذِكْرَاهَا الدُّعَاءُ الْمُسْتَجَابُ
لِفِرْعٍ خَلَفْتُهُ أَمِيرَ مُلْكٍ رَفِيعٍ مِنْ مَعَالِيهِ الْجَنَابُ
لَنْ حُجِبْتُ فَإِنَّ رِضَايَ عَنْهُ يُفْتَحُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْهُ بَابُ⁽³⁸⁾

وَفِي مِثْلِ ذَلِكَ⁽³⁹⁾

نَأْتُ سَلَمَى وَشَطَطُ بِهَا الْمَزَارُ فَأَوْحَشَتِ الْمَنَازِلُ وَالْدِّيَارُ
وَرَامَ الصَّبْرَ عَنْهَا مَنْ شَكَاهَا بِقَلْبٍ لَا يَقْرُ بِهٍ قَرَارُ

(35) في الديوان : حجر، وهو تصحيف مطبعي.

(36) الديوان : 6 وتقديمها كما يلي : «ومن نظمنا في الرثاء عند فقد من عز علينا فقد».

(37) في الديوان : والإياب.

(38) جاء في الديوان بعد نهاية القصيدة ما يلي : «إشارتنا إلى السكن الذي قضى الله بوفاته وإن استأثر الله عز وجل على الإثر بابنه، والأمر لله سبحانه من قبل ومن بعد».

(39) الديوان : 73 — 74 والتقديم فيه كما يلي : «ونظمنا في الإشارة إلى سكن قربت وفاته من وفاة ولدنا على أثره».

تَحْيَلَهَا وَجِنَحُ اللَّيْلِ رَاجٍ
وَمِنْ عَجَبِ مُنَاجَاةِ الْأَمَانِي
تُحْنِي إِذْ أُحَادِثُهَا بِرُكْبٍ
أَقَمْتُ وَلَا مَقَامَ لِمُسْتَهَامٍ
وَإِنِّي الْيُوسُفِيُّ أَبَا وَجَدًا
وَأَنْتَ لِي بِسُكْنَى حَيِّ لَيْلَى
نَظَرْتُ إِلَى ابْنِ مَنْ سَكَنْتَ ثَرَاهَا
فَقُلْتُ رِضَايَ عَنْهُ وَفَضْلُ رَبِّي
فَكَادَ اللَّيْلُ يَفْضَحُهُ النَّهَارُ
وَأَكْثَرُهُنَّ زُورٌ وَاعْتِرَارُ
وَأَهْلٍ وَدَّعُوا سَحَرًا وَسَارُوا
تَصْبُّرُهُ اضْطِرَّارٌ لَا اخْتِيَارُ
مُلُوكٌ لَا يُضَامُ لَهُمْ جُورُ
وَلَمْ يَسْكُنْ لِفَرْقَتِهَا أُوَارُ(40)
صَغِيرًا لِلْكَبِيرِ بِهِ اعْتِبَارُ
وَسَائِلُ لَا يَخِيبُ بِهَا انْتِصَارُ

من المُرْتَجَلِ والمنظوم، في الهنَاءِ
بِالسَّيِّدِ الْأَمِيرِ عَلَى عَجَلٍ،
فَمِنْ ذَلِكَ مَا ارْتَجَلَهُ الْوَزِيرُ الرَّئِيسُ
أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَاصِمٍ وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَهُ(41)

طَلَعَ الْيَوْمَ فِي سَمَاءِ الْمَعَالِي
وَتَجَلَّى مِنْ مَطْلَعِ الْمُلْكِ تَبْدُو
مَرَحَتْ إِذْ بَدَا الْعِيَادُ ارْتِيَا حَاً
وَالْوَرَى مِنْهُ يَبْنَى بَشَرٌ وَبُشْرَى
فَهَنِيئاً مَوْلَايَ مِنْهُ بِنَجْلٍ
بَدُرٌ هَدَى لَهُ صِفَاتُ الْكَمَالِ
مِنْ سَنَا وَجَنَّتِيهِ سِيمَا الْجَلَالِ
وَتَنَنَّتْ زَهْوًا صُدُورُ الْعَوَالِي
حَالُهُمْ فِي السُّرُورِ أَحْسَنُ حَالِ
لِلْمَعَالِي يَسْمُو سُمُو الْهَلَالِ

(40) هذا البيت غير موجود في الديوان.

(41) هو أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن عاصم الفقيه الأديب المعروف، وهو ناظم «التحفة» المشهورة وغيرها من الأراجيز التعليمية، ومن مؤلفاته المطبوعة كتاب الحداثق، ويشتمل هذا المجموع على جملة من قصائده ومقطعاته، ولد ابن عاصم الوالد بعد عام 760 هـ وتوفي عام 829 هـ وقد ولى عدداً من الخطط منها الكتابة السلطانية والوزارة وقضاء الجماعة، ترجمته واخباره في شرح التحفة لولده (مخطوط) وفي جنة الرضى 2 : 258، 3 : 57 - 58، ونيل الابتهاج : 289 - 290 وتوشيح الدياج : 126 - 127 وكفاية المحتاج : 229 - 230.

وَارْتَجَلَ الشَّرِيفُ الْمُعَظَّمُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْحَسَنِيُّ وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَهُ (42)

مَوْلَايَ قَدْ عَمَّتِ الْأَرْضَ الْبِشَارَاتُ بِمَنْ لَهُ فِي الْعُلَى مِنْكَ الْإِشَارَاتُ
وَلِيَّ عَهْدٍ أَتَى وَالنَّصْرُ يَقْدُمُهُ لَهُ عَلَى ذَاكَ لَا تَخْفَى عَلَامَاتُ
فَاهُنَّا بِهِ بَدَرَ تَمَّ فِي سَمَاءٍ عَلَى لَهُ بِسَعْدِكَ فِي آلَافِ آيَاتُ
وَالْعُذْرُ لِلْعَبْدِ فِيهِ إِنَّهُ كَلِمٌ جَاءَتْ بِهِ فَرَحاً مِنِّي الْبُدَاهَاتُ
فَدُمْتُ فِي دَوْلَةٍ غَرَاءَ لَيْسَ لَهَا فِي كُلِّ مَا تَبْتَغِي حَدٌّ وَغَايَاتُ

وَارْتَجَلَ الْفَقِيهُ الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ بَنِ مَلِيحٍ (43)

بُشْرَى أَتَتْ ضَاءَتْ بِهَا الْأَقْطَارُ تَهْتَزُّ عِنْدَ سَمَاعِهَا الْأَمْصَارُ
فَبِكُلِّ نَادٍ فِي الْبُسَيْطَةِ بَهْجَةً وَلِكُلِّ وَجْهِ فِي الدُّنَا اسْتِبْشَارُ
بِطُلُوعِ بَدْرِ فِي سَمَاءٍ خِلَافَةٍ قَدْ أَثَلَتْ عَلَيْهَا الْأَنْصَارُ

(42) هو أبو العباس أحمد ولد أبي القاسم الشريف السبتي الغرناطي المشهور، وترجمة أبي العباس هذا وأخباره في الكتيبة الكامنة : 301، ونيل الابتهاج : 76 ونفح الطيب : 5 : 198 — 199 وجنة الرضى : 1 : 173 — 174، 2 : 280 والمعيار : 3 : 32 — 35 وديوان ابن فركون : 250 — 251، 290.

(43) ورد ذكر أبي محمد بن مليح في شرح التحفة لأبي يحيى بن عاصم، وذلك عند قول الناظم : وفي الأداء عند قاضٍ حل في غير محل حُكْمُهُ الْخُلْفُ افْتُفِي قال الشارح ولد الناظم : «وعلى ما ذهب إليه فقهاء طليطلة العمل عند قضاة الجماعة بالحضرة إلا الشيخ أبا محمد بن مليح رحمه الله فإنه لما ولي قضاء الجماعة في عام اثنين وثلاثين وثمانمائة تخرج من ذلك ومنع القضاة من تعريفه بما يرد عليهم من مستخلفيهم» وثمة القاضي أبو عبد الله ابن مالك الأليري شهر بابن مليح، وقد ورد ذكره أيضاً في المصدر المذكور وفي نيل الابتهاج : 291 ويبدو من اسمه أنه غير من قبله، ومن هذه الأسرة فيما يبدو أبو القاسم المليح الذي كان له دور في تسليم غرناطة ويرد اسمه كثيراً في المصادر القشتالية، ومن هذه الأسرة أيضاً أبو الحسين محمد بن القاضي أبي الحسين بن مليح الذي خرج من غرناطة بعد استيلاء النصارى عليها وكان مرافقاً لأحمد البلوى الوادى آتى في الهجرة، انظر الثبت ص 382.

وَلَكَ الْبِشَارَةُ يَا مُخَبَّرُ فَاحْتَكِمِ فِيهَا بِمَا تَهْوَى وَمَا تَخْتَارُ
هُنْتُ يَا مَوْلَايَ أَسْعَدَ قَادِمِ سَتَقُرُّ مَا شَاءَتْ بِهِ الْأَبْصَارُ
فَكَأَنَّ بِهِ قَدْ حَارَ كُلَّ فَضِيلَةٍ تَحْدُو بِطِيبِ حَدِيثِهَا السَّيَّارُ
وَتَرَاهُ بَيْنَ يَدَيْكَ مَعَ أَعْمَامِهِ صَدَرَ الْجُيُوشِ تَهَابُهُ الْكُفَّارُ
لَا زِلَتْ دَهْرَكَ بِالسُّعُودِ مُهْنًا مَا امْتَدَّتِ الْآصَالُ وَالْأَسْحَارُ

وَلِلْفَقِيهِ الْخَطِيبِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ سَالِمٍ (44) فِي ذَلِكَ

أَضَاءَ الْقُطْرُ بِالْقَمَرِ السَّعِيدِ بَنَجَلٍ فِي الْعُلَى مُبْدٍ مُعِيدِ
فَصُبْحُ الْحُسْنِ وَضَاحُ الْمُحْيَا وَدُرُّ الْيَمَنِ مُنْتَظَمُ الْعُقُودِ
لَقَدْ وَافَاكُمْ فِي خَيْرِ شَهْرٍ وَأَطْلَعَهُ الزَّمَانُ بِلَا نَدِيدِ
وَمَنْ يَكُ لِلْإِمَامِ الْفَذُّ نَجْلًا سَيَعْلُو هِمَّةً بَذَرَ السُّعُودِ
وَيُخْرِزُ كُلَّ مَكْرَمَةٍ وَفَضْلٍ وَيُذَرِّكُ كُلَّ مَأْمُولٍ بَعِيدِ
أَلَيْسَ أَبَوْهُ أَفْضَلَ مَنْ تَرَدَّى رِذَاءَ الْفَضْلِ وَالْفَخْرِ الْعَتِيدِ
فَقَدْ مِلْتُ بِهِ الدُّنْيَا أَمَانًا وَقَدْ سُرَّتْ بِهِ كُلُّ الْوُجُودِ
وَأَصْبَحَ فِي الدُّنْيَا فَذًّا فَرِيدًا بَسِيطَ الْفَخْرِ بِالْجُودِ الْمَدِيدِ
صِفَاتُ مَا حَوَاهَا الدَّهْرَ مَلَكٌ فَمِنْ عَدْلٍ وَمِنْ شَرَفٍ عَدِيدِ
وَمِنْ فَضْلٍ وَمِنْ عَمَلٍ وَعِلْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ وَرَعْيٍ لِلْعُهُودِ
فَقُلْ جَذَلًا بِهِ أَهْلًا وَسَهْلًا وَلَا تَأْسَفْ عَلَى إِلْفِ فَقِيدِ
فَحُكْمُ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ مَرْدٌ وَلَا دَفْعُ بَيَاسٍ أَوْ بِجُودِ
وَذَلِكَ مَوْرِدٌ فَرَضٌ وَحْتَمٌ عَلَى كُلِّ الْخَلَائِقِ بِالْوُرُودِ

(44) هل هو أبو القاسم محمد بن محمد بن محمد بن سمالك بن عبد المنعم بن سالم ؟ لا نستطيع تأكيد ذلك، لأن أبا القاسم المذكور يعرف بابن سمالك، وإن كان اسم سالم موجوداً في أجداده الأعلين كما رأينا. وأبو القاسم هذا هو مؤلف كتاب «الخلل الموشية» وكتاب «الزهرات المنشورة» وله ترجمة في الكتيبة الكامنة : 299 — 301. راجع في مقدمة الزهرات لحققها الدكتور محمود علي مكي.

هُوَ الْمَوْتُ الَّذِي لَا بَدَّ مِنْهُ لِأَخْرَارِ الْخَلَائِقِ وَالْعَبِيدِ
وَمِثْلُكَ مَنْ حَوَى دِينًا وَعِلْمًا يُسَلِّي النَّفْسَ بِالصَّبْرِ الْحَمِيدِ
بَقِيَتْ مُبْلَغًا فِي النَّفْسِ أَسْنَى مُرَادٍ ثُمَّ فِي النَّجْلِ السَّعِيدِ
وَأُجْزِلَتْ الثَّوَابَ عَلَى فَقِيدٍ وَعَوَّضَ دَارَهَا دَارَ الْخُلُودِ
أُمُولَانَا إِلَيْكَ نَفِيسَ حُبِّي وَصَدَّقَ الْحُبَّ تَكْمِلَةُ الْقَصِيدِ

وَفِي ذَلِكَ لِلْقَائِدِ الْمُرْفَعِ أَبِي يَحْيَى ابْنِ الْوَزِيرِ الرَّئِيسِ أَبِي بَكْرٍ بَنِي عَاصِمٍ⁽⁴⁵⁾

اللَّهُ أَكْبَرُ وَجْهَ النَّصْرِ قَدْ سَفَرَا وَثَوْرُهُ لِضِيَاءِ الْعَقْلِ قَدْ بَهَرَا
فَلْيَهْنِ دِينَ الْهُدَى نَجْلٌ لِتَاصِرِهِ فِي طَالِعِ الْيَمَنِ وَالْإِسْعَادِ قَدْ ظَهَرَا
وَلْتَهْنِنَا مَعَشَرَ الْإِسْلَامِ طَلْعَتُهُ فَإِنَّ مِنْ بَشَرِهَا نَسْتَوْهِبُ الدُّرَرَا
بُشْرَى تَعْمُ حَمِيعَ الْخَلْقِ نِعْمَتُهَا يَتْلُو الرِّمَانَ عَلَيْهَا آيَهَا سُورَا
تَهْتَرُ بِيضُ سَيْوِفِ الْهِنْدِ مِنْ فَرَحٍ لِكَفِّ مَنْ جُودُهُ قَدْ أَحْجَلَ الْمَطَرَا
وَتَمْرُحُ الْحَيْلِ شَوْقًا فِي مَرَاتِعِهَا لِمَنْ أَبَوْهُ حِمَى الْإِسْلَامِ قَدْ نَصَرَا
كَأَنَّ بِنَجْلِكَ يَا مَوْلَايَ قَدْ بَلَغَتْ بِهِ صِفَاتُ الْمَعَالِي الْأَنْجَمِ الزُّهْرَا
كَأَنَّ بِكَفِّهِ بِالْإِنْعَامِ قَدْ وَكَفَتْ فَعَمَّ صَوْبُ نَدَاهَا الْبَدْوَ وَالْحَضْرَا
كَأَنَّ بِهِ وَجُيُوشُ الرُّعْبِ تَقْدُمُهُ يُزِيلُ مِنْ ظَلَمِ الْإِشْرَاكِ مَا غَمَرَا
كَأَنَّ بِهِ يَقْتَفِي آثَارَ أُسْرَتِهِ بِالْحَقِّ مُقْتَدِيًا لِلَّهِ مُؤْتَمِرَا
كَأَنَّ بِهِ وَمُلُوكُ الْأَرْضِ قَاطِبَةً تَرْجُوهُ مُصْطَنَعًا تَخْشَاهُ مُقْتَدِرَا

(45) هو ولد القاضي ابن عاصم ناظم التحفة المذكور آنفاً، وله ترجمة في مصادر متعددة، وقد طبع كتابه «جنة الرضا» أخيراً في الأردن، وله شرح مخطوط على تحفة والده، وتأليف «مفقود» هو «الروض الأريض»، وينبغي أن يكون ابن عاصم قال هذه القصيدة وهو صغير السن لأننا نجد عندنا سجن والده عام 814 هـ يقول: «وكنيت إذ ذاك في زمن الحداثة وعدم استحكام العقل» جنة الرضا 2 : 204 راجع في ابن عاصم هذا مقالة عن بني عاصم للأستاذ لويس سيكودي لوئينا ومقدمة محقق جنة الرضا الدكتور صلاح جرار.

كَأَنَّ بِهِ فِي جَمِيعِ الْمَكْرُمَاتِ وَقَدْ
 مَوْلَايَ هُنْتُ هَذَا النَّجْلَ إِنَّ بِهِ
 هِلَالٌ سَعْدٍ يُتَمُّ إِلَهُ بِهِجَتِهِ
 فَأَنْتَ شَمْسُ الْهَدَى وَالْمَلِكُ مَطْلَعُكُمْ
 أَنْسَى سَمَاحَكَ مَأْمُونًا وَمُعْتَصِمًا
 كَالْعَيْثِ إِنْ طَلَعْتَ بِالسَّعْدِ أَنْجُمُهُ
 كَاللَّيْلِ يَزْدَادُ بِالْأَشْبَالِ وَهِيَ بِهِ
 لَأَزِلَّتْ وَالْفَتْحُ قَدْ قَسَمْتَ أَرْزَمُهُ
 فَهَذِهِ نِعْمَةٌ قَدْ جَلَّ مَوْقِعُهَا
 فَاشْكُرْ إِيَّاهُ حَقَّ الشُّكْرِ مَجْتَهِدًا

جَلَّ آغْتِلَاءً عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالنُّظَرَا
 تَجْنِي مِنَ الْفَتْحِ غَضًّا يَانِعًا ثَمَرَا
 حَتَّى تَرَاهُ بِحَوْلِ اللَّهِ مُقْتَدِرَا
 لَا غَرَوُ أَنَّ أَتَجَتِ أَنْوَارُكَ الْقَمَرَا
 وَبَأْسُ سَيْفِكَ مَنْصُورًا وَمُنْتَصِرَا
 هَمَى عَلَى الْخَلْقِ مِنْهُ الْجُودُ وَانْهَمَرَا
 بَأْسًا وَإِنْ لَمْ يَزَلْ بِالْبَأْسِ مُشْتَهَرَا
 فَمَاضِيًا ثُمَّ حَالًا ثُمَّ مُنْتَظَرَا
 وَمِنَّةٌ عَظُمَتْ مَرَأَى وَمُخْتَبَرَا
 فَاللَّهُ يُؤْتِي الْمَزِيدَ الْعَبْدَ إِنْ شَكَرَا

وَارْتَجَلَ الْكَاتِبُ الْأَبْرَغُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّرَّانُ (46)

هِلَالٌ بِأَفْقِ الْمُلْكِ لَاحَتْ سُعُودُهُ
 تَطَّلَعَ فَرَعًا فِي الْخِلَافَةِ يَانِعًا
 وَأَقْبَلَ وَالْإِقْبَالَ يَقْدُمُ ذَاتُهُ
 وَهَلْ هُوَ إِلَّا نَجْلٌ سَعْدٍ بِنَجْمِهِ
 وَهَلْ هُوَ إِلَّا شَيْلٌ بَأْسٍ قَدْ انْتَمَى
 عَجِبْتُ إِذَا يُهْدَى إِلَى الْمَهْدِ بَدْرُهُ
 أَمْوَلَايَ أَمَّا دَهْرُنَا بِوُجُودِكُمْ
 مَوَاسِمُ عَنْ ثَغْرِ السُّرُورِ بَوَاسِمُ
 فَبَشِّرَاكَ بِالنَّجْلِ الْكَرِيمِ الَّذِي غَدَا

سَتَنْجِزُ مِنْ أَمْنِ اللَّيَالِي وَغُودُهُ
 تُغْذِيهِ أَخْلَافُ الرِّضَى وَتَجُودُهُ
 وَيُورِدُ مَأْمُولَ الْفُتُوحِ وَرُودُهُ
 يُجَدِّلُ مِنْ حِزْبِ الضَّلَالِ مَرِيدُهُ
 لِمُلْكِ وَقْتُ صَرْفِ الزَّمَانِ أُسُودُهُ
 وَمَا غَيْرُ آفَاقِ السُّرُوجِ مُهُودُهُ
 فَعِيدٌ سَعِيدٌ لَيْسَ يَنْلِي جَدِيدُهُ
 وَجُودٌ إِلَى حَيْثُ اتَّجَهْنَا وَجُودُهُ
 بِهِ الدَّهْرُ يُبْدِي بِشْرُهُ وَيُعِيدُهُ

(46) هو محمد بن إبراهيم الشَّرَّانُ الفقيه الكاتب الشاعر الغرناطي. كان حيًّا سنة 837 هـ له أرجوزة في
 الفرائض شرحها القلصادي قديمًا وشرحها سيدي محمد العلمي حديثًا. توجد ترجمته وأخباره في
 نيل الابتهاج : 311 وأزهار الرياض : 1، 116، 133، 145 ورحلة القلصادي : 43 وجنة الرضى
 3 : 70 وشجرة النور الزكية : 248 وروضة الاعلام : 172 مخطوط الخزانة الحسينية.

هَمَّتْ دِيْمَةُ التُّعْمَى بِهِ فَوْقَ رَوْضِنَا فَرَاقَتْ مَجَالِيهِ وَأَوْرَقَ عُرْدُهُ
فَبُلَّغَتْ فِيهِ قُرَّةَ الْعَيْنِ مِثْلَمَا تُرِيدُ فَكُلُّ الْخَيْرِ فِيمَا تُرِيدُهُ
وَصَفَحَكَ يَا مُوَلَايَ عَنِ عَبْدِكَ الَّذِي لَصَفَحَكَ عَنْهُ فِي الْقُصُورِ قُصُودُهُ
أَتَيْتُ بِهَا مِنِّي بَدِيهَا وَقَلَمًا أَرَى لِقُصُورِي فِي النُّظَامِ أَجِيدُهُ

وَارْتَجَلَ مَمْلُوكُ مُوَلَانَا نَصْرَهُ اللَّهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ فَرْكُونٍ كَاتِبُ هَذَا (47)

هَنِيئًا بِهِ مِنْ عَالَمِ الْكَوْنِ وَافِدًا فَقَدْ بَلَغَ الْإِسْلَامَ فِيهِ الْمَقَاصِدَا
فَلَا زَالَ رَبُّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ يُرِيكَ مِنَ الصَّنْعِ الْجَمِيلِ عَوَائِدَا
لَقَدْ سُلِّ فِي الْأَعْدَاءِ مِنْهُ مُشَهَّرٌ تَرَاهُ بِسَيْفِ اللَّهِ فِيهِمْ مُجَاهِدَا
يُجَدِّلُ عَبَادَ الصَّلِيبِ مُوَيَّدًا وَيَعْمُرُ لِلدِّينِ الْحَنِيفِ مَسَاجِدَا
وَيُرْسِلُهَا فِي الْقَاصِدِينَ مَوَاهِبًا فَتَعْمُرُ مِنْهُمْ الْعُهُودَ الْمَعَاهِدَا
وَنَحْنُ الْعَبِيدُ الْكَاتِبُونَ جَمِيعُنَا يُنَظِّمُ فِيهِ مِنْ حُلَاهُ فَرَائِدَا
وَنَبْلُغُ مِنْ أَوْصَافِهِ كُلَّ غَايَةٍ يَنَالُ بِهَا الْمَدْحُ الْمَدَى الْمُتَبَاعِدَا
أَمَّا لَوْلِيَّ الْعَهْدِ مِنْكَ شَمَائِلُ لَهَا صِلَةٌ بِالْجُودِ تُعْقِبُ عَائِدَا
أَمَّا لَوْلِيَّ الْعَهْدِ غُرٌّ مَحَائِلُ تُؤَمِّنُ مُرْتَاعًا وَتُسَعِّفُ رَائِدَا
بَشَائِرُ ظِلِّ الْعِزِّ تُضْفِيهِ سَجَسَجًا (48) وَتُصَفِّي لِقُصَادِ النَّوَالِ مَوَارِدَا
بَقِيَتْ لِأَمْلَاكِ الزَّمَانِ مُوَمَّلًا وَمُتَعَتَّمًا بِالْمُلْكِ نَجْلًا وَوَالِدَا

(47) راجع ما كتبناه عن أبي الحسين بن فركون في مقدمة ديوانه الذي حققناه ونشرته أكاديمية المملكة المغربية.

(48) في الحديث : ظَلَّ الْجَنَّةَ سَجَسَجَ أَي لَا ظِلْمَةَ فِيهِ وَلَا شَمْسَ.

وَفِي يَوْمِ الْمَوْسِمِ الْمَشْهُودِ
وَأَجْرَاءِ عَوَائِدِ الْكَرَمِ وَالْجُودِ
وَعَقِيقَةِ هَذَا الْمَوْلُودِ
أَشَدَّ الْوَزِيرِ الرَّئِيسُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَاصِمٍ
وَصَلَّ اللَّهُ عِزَّتَهُ وَوَالِي مَبْرَتَهُ وَرَفَعَتَهُ (49)

هَنَاءٌ كَمَا رَاقَ الْعُيُونَ سَنَى الْفَجْرِ
وَبُشْرَى يَسُرُّ الْعَالَمِينَ سَمَاعُهَا
بِفَرْعٍ سَمَا فِي دَوْحَةِ الْمَجْدِ وَالْعَلَا
بِبُعْيَةِ نَفْسِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ وَالتَّقَى
تَهَلَّلَتِ الدُّنْيَا سُرُورًا بِكُونِهِ
وَأَنَّ زَمَانًا سَرَّنا بِوُجُودِهِ
أَنَّا بِهَا نُعْمَى تَعَاظِمَ قَدْرُهَا
أَلَّذُ مِنْ الْمَاءِ الزُّلَالِ عَلَى ظَمَا
فَلِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا ارْتِيَاخٌ وَبَهْجَةٌ
وَمَا هُوَ إِلَّا الْبَدْرُ بَدْرٌ هِدَايَةٍ
تَقَرُّ بِهِ عَيْنُ الْخَلِيفَةِ يَوْسُفٍ
كَمَا قَرَّ عَيْنُ الدِّينِ مِنْهُ بِنَاصِرٍ
مَلِيكَ تَسَامَى قَدْرُهُ عَنْ مُشَابِهِ
بِهِ عَادَ شَيْئِلٌ عَلَى النَّيْلِ مُرِيًّا
أَقَامَ مَقَامَ الْمُلْكِ بِالْبَاسِ وَالنَّدَى
وَأَظْهَرَ حُكْمَ الْعَدْلِ عَنْ صِدْقِ نِيَّةٍ

وَالْأَمْ كَمَا افْتَرَّ الْكِمَامُ عَنِ الزَّهْرِ
وَتَضَحَّى بِهَا الْأَيَّامُ وَاضِحَةَ الْبَشْرِ
وَبَدَّرَ بَدَا مِنْ مَطْلَعِ الشَّرَفِ النَّصْرِي
وَقَرَّةَ عَيْنِ الْمُلْكِ وَالْمَجْدِ وَالذَّهْرِ
وَأَصْبَحَ مِنْهُ الدِّينُ مُبْتَسِمَ الثَّغْرِ
لِمُسْتَاهِلِ الْإِكْرَامِ مُسْتَوْجِبِ الشُّكْرِ
كَمَا عَظُمَتْ فِي جَنْسِهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ
وَأَعْدَبُ مِنْ وَصَلِ مُتَاحٍ عَلَى هَجْرٍ
بِطُلْعَتِهِ الْعَرَّا وَمَقْدَمِهِ الْبَرِّ
تَجَلَّى إِلَى الْأَبْصَارِ فِي أَفْقِ النَّصْرِ
أَعَزَّ سُلَاطِينَ الْبَسِيطَةِ وَالْعَصْرِ
بِهِ أَمِنَ الْإِسْلَامُ مِنْ صَوْلَةِ الْكُفْرِ
وَأَوْصَافُهُ جَلَّتْ عَنْ الْعَدِّ وَالْحَصْرِ
وَعَرْنَاطَةُ الْعَرَاءِ تُزْهِى عَلَى مِصْرٍ (50)
وَشَادَ عِمَادَ الْمُلْكِ بِالْبَيْضِ وَالسُّمْرِ
قَدْ أَخْلَصَهَا لِلَّهِ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ

(49) تقدّم ذكره.

(50) شنيل Genil نهر متفرع من الوادي الكبير تسقى به الجنات الواقعة خارج غرناطة، وقد تغنى به الشعراء وذهبوا إلى تفضيله على النيل مستغلين حرف ش التي تساوي ألفا من العدد، فكان شنيل ألف نيل. انظر مقدمة الإحاطة.

وَحَارَ صِفَاتِ الْحِلْمِ وَالْعِلْمِ وَالتَّقَى
لَهُ شَيْمٌ كَالرَّوْضِ بَاكَرُهُ الْحَيَا
وَأَفْعَالٌ بِرٍّ خَالِصَاتٍ لِرَبِّهِ
مَنَاقِبُهُ الْغُرُ الثُّجُومُ لِمُهْتَدٍ
يُرِيكَ ابْتِسَامَ الزُّهْرِ فِي غَسَقِ الدُّجَى
وَكَمْ مِنْ غَرِيبٍ قَدْ تَاهَلَ عِنْدَهُ
فَأَمَّنَ مِنْ خَوْفٍ وَأُنْجَى مِنَ الرَّدَى
وَكَمْ مِنْ قِبَابٍ لِلِسَّمَاحِ أَعَدَّهَا
تُلُوحُ بِهَا نَارُ الْهِدَايَةِ وَالْقَرَى
وَيَقْصِدُهَا مَنْ يَتَّبِعِي الْعِزَّ وَالتَّوَدَى
وَهَلْ هُوَ إِلَّا رَحْمَةُ اللَّهِ لِلْوَرَى
وَمَاوَى لِمَطْرُودٍ وَمَنْجَى لِحَائِفٍ
نَمَتْهُ لِنَصْرِ نِسْبَةً خَزَرْجِيَّةٌ
عَلَيْهِ مِنَ الْأَنْصَارِ سَيِّمَا جَلَالَةٍ
وَمَا شَيْتَ مِنْ حِلْمٍ وَمَا شَيْتَ مِنْ تَقَى
وَهَيْبَةٍ مُلْكٍ فِي سَمَاحَةٍ رَافَةٍ
هَنِئًا لِمَوْلَانَا طُلُوعُ ابْنِهِ الرِّضَا
تَشْتَتُ لَهُ سُمْرُ الْقَنَا فَرَحًا بِهِ
وَأَبْدَتْ إِلَيْهِ الصَّافِنَاتُ⁽⁵²⁾ اِرْتِيَاحَهَا
فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ سَوْفَ يَرْقَى سُرُوجَهَا

وَأَوْضَحَ سُبُلَ الْحَقِّ وَالرُّشْدِ وَالْبِرِّ
وَذَكَرَ جَمِيلَ دُونِهِ نَفْحَةَ الزُّهْرِ
تُخَلِّدُ فِي الدُّنْيَا لَهُ أَجْمَلَ الذِّكْرِ
وَفِيهِنَّ أَحْيَانًا رُجُومٌ لِمُعْتَرٍّ
وَيُنْسِيكَ عَرْفَ الزُّهْرِ فِي أَثَرِ الْقَطْرِ
وَمِنْ مُعْسِرٍ مِنْ جُودِهِ عَادَ ذَا يُسْرِ
وَأَطْعَمَ مِنْ جَوْعٍ وَأَغْنَى مِنَ الْفَقْرِ
تُسَامِي عُلوًّا مَطْلَعِ الْأَنْجَمِ الزُّهْرِ
لِإِرْشَادٍ مُسْتَهْدٍ وَإِطْعَامٍ مُسْتَقَرٍّ
فَيَحْظَى بِمَا يَنْبَغِي مِنَ الْجَاهِ وَالْوَفْرِ
أَمَانًا لِمَدْعُورٍ وَغَوْنًا لِمُضْطَرٍّ
وَلَيْشًا لِمُعْتَرٍّ وَغَيْشًا لِمُعْتَرٍّ
فَأَوْرَثَ نَصْرَ الْحَقِّ وَالْخَلْقِ مِنْ نَصْرِ⁽⁵¹⁾
يَلُوحُ بِهَا نُورُ الطَّلَاقَةِ وَالْبِشْرِ
وَمِنْ هِمَّةٍ عَلِيًّا وَمِنْ شَيْمٍ غُرٍّ
كَإِيْمَاضِ بَرْقٍ عِنْدَ مُنْهَمِلِ الْقَطْرِ
هَلَالًا لِمُسْتَجَلٍ وَنَجْمًا لِمَنْ يَسْرِي
كَأَيَّتَشَى مَعْطَفُ الْغُصْنِ النَّصْرِ
كَذِي طَرَبٍ مَالَتْ بِهِ نَشْوَةُ الْخَمْرِ
فَتَمْتَازُ بِالْعِزِّ الْمُؤْمِلِ وَالْفَخْرِ

(51) هو الجد الأعلى للنصريين وهو نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري من ولد أمير الأنصار سعد بن عباد. قال ابن الخطيب في اللمحة البدرية والإحاطة : «وقد صَنَّفَ الناس لهم في اتصال بيتهم بقبس ابن سعد بن عباد رضي الله عنه غير ما تصنيف».

(52) الصَّافِنَات جمع صافن، وهو الفرس الذي يقوم على ثلاث قوائم، وفيه يقول الشاعر :
أَلِفَ الصُّفُونُ فَلَإِيزَالَ كَأَنَّهُ مِمَّا يَقُومُ عَلَى الثَّلَاثِ كَسِيرًا

وَقَدْ أُيَقِنْتُ أَنَّ سَوْفَ يُدْنِي مَحَلَّهَا
كَأَنِّي بِهِ تُعْنَى الْمُلُوكُ بِقَصْدِهِ
كَأَنِّي بِهِ يَغْزُو بِلَادَ عُدَاتِهِ
كَأَنِّي بِهِ تَأْتِي الرِّكَابُ لِبَابِهِ
كَأَنِّي بِهِ تَعْشَى الْوُفُودُ مَحَلَّهُ
يَمِينًا بِمَا قَدْ حَازَ مِنْ بَاهِرِ السَّنَا
لَقَدْ شَرَّفَ اللَّهُ الْوَرَى بِوَجُودِهِ
وَلَمَّا حَبَاكَ اللَّهُ مِنْ عِلْمٍ غَيْبِهِ
قَرَّرْتَ بِهِ عَيْنًا كَمَا شَاءَتْ الْعُلَى
وَوَفَّيْتَ مِنْ صُنْعِ الْعَقِيقَةِ سُنَّةً
وَأُولَيْتَ كُلَّ النَّاسِ فِيهَا مَوَاهِبًا
أَمْوَلًا يَ قَدْ حُزَّتِ الْكِمَالُ فَمَا يَفِي
أَنَا عَبْدُ نُعْمَاكَ الَّتِي أَنْطَقْتَ فَمِي
فَإِنْ أَنَا وَفَّيْتُ امْتِدَا حَكَ حَقَّهُ
وَأِنْ لَمْ يُوفَّ النَّظْمُ مَا تَسْتَحِقُّهُ
فَدُمُ فِي أَمَانٍ وَاتِّصَالَ مَسَرَّةٍ
وَسَيْفُكَ سَيْفُ اللَّهِ فِي مُلْتَقَى الْوَعَى

لِيَوْمِ طَرَادٍ أَوْ جِهَادٍ أُولَى الْكُفْرِ
تَخَافُ وَتَرْجُو حَالِي النَّفْعِ وَالضَّرِّ
وَيَشْمَلُ مَنْ فِيهِنَّ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ
لِتَقْبِيلِ كَفِّ الْجُودِ وَالْيَمْنِ وَالْيُسْرِ
وَتَصْدُرُ عَنْهُ فِي ثَنَاءٍ وَفِي شُكْرِ
وَمِنْ شَيْمِ الرَّحْمَى وَمِنْ رِفْعَةِ الْقَدْرِ
وَعَمَّ بِهِ التَّأْمِينُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
بِمَا شَاءَ مِنْ مَنَحٍ خَطِيرٍ وَمِنْ دُخْرِ
وَقَابَلْتَ نُعْمَى اللَّهِ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ
وَقَصْدُكَ إِحْرَازُ الْمُثُوبَةِ وَالْأَجْرِ
هِيَ الْقَطْرُ لَا تُحْصَى بَعْدُ وَلَا حَصْرُ
بِمَدْحِ حُلَاكَ الْغُرِّ نَظْمِي وَلَا ثَرِي
وَلَكِنَّهَا مَعَ ذَاكَ قَدْ أَعْجَزْتُ شُكْرِي
فَإِنَّا نُعْمَى أَنْطَقْتَنِي بِالشُّعْرِ
فَإِنَّ الَّذِي قَرَّرْتُهُ مُوضِحُ عُذْرِي
وَمُلْكُ عَزِيزٍ نَافِذُ النُّهْيِ وَالْأَمْرِ
كَفِيلُ لِدِينِ اللَّهِ بِالْعِزِّ وَالنَّصْرِ

وَأَنْشَدَ الشَّرِيفُ الْمُعَظَّمُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْحَسَنِيُّ وَصَلَ اللَّهُ سَعَادَتَهُ، وَحَفِظَ مَجَادَّتَهُ (53)

أَمَانٌ وَيُؤْمِنُ فِي الْبَسِيطَةِ قَدْ بَدَا
وَمَا الْهَدْيُ إِلَّا هَدْيُ يُوسُفَ إِنَّهُ
أَنْصَارَ دِينِ اللَّهِ وَالْمَلِكِ الَّذِي
وَهْدِي بِهِ دِينُ الْهُدَى قَدْ تَمَهَّدَا
إِمَامٌ إِلَى سُبُلِ السَّعَادَةِ أَرْشَدَا
لَهُ الْعَزَمَاتُ الْمَاضِيَاتُ عَلَى الْعِدَى

(53) تقدّم ذكره.

لَكَ اللَّهُ مِنْ مَوْلَى أَنْفَ عَلَى السُّهَى
 أَعَزَّ بِهِ اللَّهُ الْبِلَادَ وَأَهْلَهَا
 وَبُشْرَى لَأَوْطَانِ الْجِهَادِ فَإِنَّهَا
 فَلِلْكَفْرِ قَلْبٌ خَافِقٌ مِنْ حُسَامِهِ
 يُجَاهِدُ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ بِنَفْسِهِ
 وَيُعْطِي الْعَطَاءَ الْجَزَلَ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
 يَمِينًا بِمَنْ حَطَّ الرِّكَابَ بِطَيْبَةٍ
 لَقَدْ صَارَ فِي الْأَمْلاَكِ (54) وَاللَّهُ شَاهِدُ
 وَلَوْ لَمْ تَكُنْ إِلَّا الْعُلُومُ فَإِنَّهَا
 أَفَادَ وَلَمْ يَمُنْ جَوَاهِرَ حِكْمَةٍ
 إِلَيْهِ انْتَهَى صَيْتُ الْمُلُوكِ وَعِزُّهَا
 وَمَنْ كَأَبِي الْحَجَّاجِ فِيهِمْ خَلِيفَةٌ
 وَمَنْ كَأَبِي الْحَبَّاحِ بَدْرُ خِلَافَةٍ
 وَمَنْ كَأَبِي الْحَجَّاجِ لِلْقَطْرِ رَحْمَةٌ
 وَمَنْ كَأَبِي الْحَجَّاجِ لِلْخَلْقِ حَافِظٌ
 وَمَنْ كَأَبِي الْحَجَّاجِ مَظْهَرُ سُودَدٍ
 لِيَقْفُو نَهْجَ الْغُرِّ مِنْ آلِ خَزْرَجٍ
 هُمْ الْقَوْمُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ وَنَصْرُهُمْ
 كِرَامُ الْمَسَاعِي خَزْرَجِيُّونَ طَالَمَا
 وَلَا مِثْلَ مَنْ أَنْجَبَتْ نَجْمَ هِدَايَةٍ
 فَيَهْنِكَ مَوْلُودًا إِلَيْكَ أَتَتْ بِهِ
 عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَافَاكَ مُقْبِلًا

(54) الاملاك : الملوك.

(55) يقصد سعد بن عبادة سيد الخزرج.

بِأَعْظَمَ مِمَّا قَدْ عَلِمْنَا وَأَزِيدَا
 وَأَعْلَى بِهِ الدِّينَ الْحَنِيفَ وَأَيَّدَا
 تَسَامَتْ بِهِ قَدْرًا وَطَالَتْ بِهِ يَدَا
 يُقَلِّبُ ذُعْرًا كُلَّمَا رَاحَ وَاعْتَدَى
 فَيَصْدُرُ مِنْصُورَ اللِّوَاءِ مُؤَيَّدَا
 فَكَفَّاهُ لِلْعَافِينَ بَحْرَانِ لِلنَّدَى
 لِيَحْظَى بِأَنْ زَارَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا
 بِمَا نَالَ مِنْ شَتَّى الْمَكَارِمِ أَوْحَدَا
 لَوَقَّفَ عَلَى مَا حَازَ مِنْهَا مِنَ الْمَدَى
 عَلَى كُلِّمَا تَنَالَتْ مَثْنَى وَمَوْحَدَا
 وَعَنْهُ حَدِيثُ الْفَخْرِ رَوْوَهُ مُسْنَدَا
 يَرُوحُ وَيَعْدُو نَاصِرًا مِلَّةَ الْهُدَى
 بِهِ فِي الدِّيَاغِي الْمُدْلِهَمَاتِ يُهْتَدَى
 أَقَالَ بِهَا اللَّهُ الْعِثَارَ مِنَ الرَّدَى
 يَسُوسُهُمُ بِالْعِلْمِ وَالدِّينِ سَرْمَدَا
 إِذَا مَا بَدَا لَمْ يُبْقِ لِلْغَيْرِ سُودَدَا
 وَحَسْبُكَ مِنْ سَعْدٍ (55) إِمَامًا وَسَيِّدَا
 أَيْ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُؤَيَّدَا
 سَمَا لِلْمَعَالِي طِفْلُهُمْ مُذْ تَوَلَّدَا
 مُنِيرًا بِآفَاقِ الْخِلَافَةِ قَدْ بَدَا
 مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى سَعُودَكَ وَفَدَا
 بِطَالِعِ سَعْدٍ مُتْبَعًا بَعْدَ أَسْعَدَا (56)

(56) أسعد جمع سعد والمقصود بالأسعد الكواكب العشرة التي يقال لكل واحد منها سعد كسعد السعود

مثلا.

لَأَمْثَالِهِ مَوْلَايَ قَدْ جَاءَ رَائِدًا
تُلُوحٌ عَلَيْهِ مِنْ غُلَاكَ مَشَابِهَةٌ
تَعَاظَمَتِ الْبُشْرَى بِأَكْرَمِ وَارِدٍ
تَقَرُّ بِهِ عَيْنُ الْخِلَافَةِ وَالْعُلَى
وَيَنْهَضُ فِي شَأْنِ الْجِهَادِ مُقَدِّمًا
يُعَادِرُ هَامَاتِ الْعَدَى غَرْبُ سَيْفِهِ
وَدُونُكَهَا مَوْلَايَ دُرًّا مُنْظَمًا
قَضَيْتُ بِهَا حَقَّ الْهَنَاءِ وَإِنَّهَا
بَقِيَتْ كَمَا تَهْوَى الْمَعَالِي وَتَرْضَى
وَدَامَ لَكَ النُّصْرُ الْعَزِيزُ مُوَازِرًا
فَبُورِكَ مَوْلُودًا وَبُورِكَ مَوْلِدًا
فَيَمْلِكُ أَخْرَارًا وَيُعْتِقُ أَغْبَدًا
أَلَمْ تَرَهُ لِلْعِزِّ وَالشَّرَفِ ارْتَدَى
وَيَجْرِي إِلَى الْغَايَاتِ بِالسَّبْقِ مُفْرَدًا
لَمَّا رَامَهُ مِنْهُ رِضًا مِنْكَ مُنْجِدًا
مُعَفَّرَةً فِي أَبْطَحِ الْأَرْضِ سُجَّدًا
تَرْفَعُ قَدْرًا حِينَ عَزَّ مُقَلَّدًا
لَتَطْلُبُ صَفْحًا لَمْ يَزَلْ مُتَعَوَّدًا
لَأَنْدَلُسِ دَارِ الْجِهَادِ مُمَهَّدًا
وَدَامَ لَكَ الْمُلْكُ الرَّفِيعُ مُحَلَّدًا

وَأَنْشَدَ عَبْدُ مَقَامِهِ الْكَرِيمِ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ فَرْكُونِ الْقُرَشِيُّ (57)

مَنْ لِلْخِلَافَةِ وَاقْتَبَالَ زَمَانَهَا
النَّاصِرُ الْمَلِكُ الْمُهَنَّا مُلْكُهُ
حَيْثُ الصَّبَا تَهْفُو فَتَفْعَلُ بِالْعَدَى
بِكَ أَيُّهَا الْمَوْلَى وَبِالنَّجْلِ الرِّضَا
فَرُغَ الْإِمَامَةِ فِي الْهِدَايَةِ يَقْتَدِي
فَكَانَ بِهِ يُعْطَى الْإِمَارَةَ حَقَّهَا
وَيَرَى مُجَاهِدَةَ الْفَوَارِسِ نَزْعًا
لَا تُثْنِي عَنْ أَنْ تُجَاوَزَ حَدَّهَا
إِلَّا الْكَفِيلُ لَهَا بِعِزَّةٍ شَانَهَا
بِمُجِيلِ خَيْلِ اللَّهِ فِي مِيدَانَهَا
فِعْلَ الرِّيَّاحِ الْهُوجِ فِي كُتُبَانَهَا
أَبْطَالُهَا تَرْتَّاحُ مِلءَ عِنَانَهَا
بِالْمُحْكَمِ الْمَثْلُوِّ مِنْ فُرْقَانَهَا
بِأَدْلَةٍ تُغْنِيكَ عَنْ بُرْهَانَهَا
تُلْقِي لَدَيْهِ الْجُهْدَ مِنْ إِمْكَانَهَا
أَثْنَاءَ مُرْهَفِهَا وَحَدِّ سِنَانَهَا

(57) هو والد أبي الحسين جامع هذه الأمداح وصاحب الديوان الذي قمنا بنشره، وأحمد بن فركون هذا هو حفيد قاضي الجماعة أحمد بن فركون، اشتغل بالكتابة في البلاط النصري منذ عهد الغني بالله، وولي القضاء في الأقاليم، ترجمته في الإحاطة 1 : 220 والكتيبة الكامنة : 305 ونفع الطيب :

وَالصَّافِنَاتُ الْغُرَّ يُكْفِي عَذُوهَا
لَكَ أَيُّهَا الْمَوْلَى الْمُؤَيَّدُ يَنْتَمِي
وَضَحَّتْ لَهُمْ فِي الْخَافِقِينَ مَآثِرُ
وَمُبْلَغُ النَّبَاِ الْيَقِينِ مُصَدِّقُ
مُتَوَقِّلًا⁽⁵⁸⁾ دَرَجَاتِ آفَاقِ الْهُدَى
حَتَّى الْمُلُوكُ بِمَغْرِبٍ وَبِمَشْرِقٍ
لَا يَسْكُنُ الرُّوْعُ الْمِلْمُ بِأَرْضِهِمْ
وَالْحَاسِرَاتُ عَنِ الْوُجُوهِ تَلْهُبًا
وَجَرَى نَجِيعُ الْمُلْحِدِينَ مَوَارِدًا
وَالنَّاصِرِيَّةُ دَوْلَةٌ قَدْ جَدَلَتْ
وَعَلَيْهَا السَّامِيُّ الْعَلَاءِ وَأَحْمَدُ⁽⁵⁹⁾
وَعَقَائِلًا صَدَقَتْ لَهُنَّ فِرَاسَةٌ
وَلْيُوسُفُ مَلِكُ الْجِهَادِ مَلَامِحُ
وَمَعَاقِلُ الْكُفَّارِ قَدْ كَلِفَتْ بِهِ
مُنْقَادَةً مِنْ حِينَهَا لِلسَّيْفِ مِنْ
يَا يُوسُفِيًّا نَاصِرِيًّا مَدْحُهُ
يُزْهِى بِهَا زَهْوُ التُّجُومِ بِبَدْرِهَا
مَنْ حَادَ عَنْ فَهْمِ الْحَقَائِقِ فِكْرُهُ
مَاءُ السَّمَاءِ أَفَادَ جَدَّكَ دَوْحَةً
أَوْ لَيْسَتْ الْأَنْصَارُ خَيْرَ قَبِيلَةٍ
بِهِمْ تَيَمَّنْتَ النُّبُوَّةُ وَانْتَهَى
أَنْصَارُ دِينِ الْمُصْطَفَى فِي مَكَّةِ

(58) متوقلاً : صاعداً، وشهبان جمع شهاب.

فَيْتَةُ الْغُرُورِ وَمُقْتَضَى عُدْوَانِهَا
فِي نِسْبَةِ الصُّرَحَاءِ مِنْ قَحْطَانِهَا
آثَارُهَا قَامَتْ مَقَامَ عِيَانِهَا
أَنَّ الْعُلَى بِكَ فِي أَعَزِّ مَكَانِهَا
مُسْتَصْحَبًا مَا رَاقَ مِنْ شُهْبَانِهَا
أَنْتَ الْمُجَلِّي يَوْمَ حَصْلِ رَهَانِهَا
حَتَّى تَرَى الْإِسْلَامَ مِنْ سُكَّانِهَا
قَدْ جَفَّ مَاءُ الدَّمْعِ فِي أَجْفَانِهَا
تَتَوَارَدُ الظُّمَأَى عَلَى جَرَيَانِهَا
أَعْدَاءُهَا بِضِرَابِهَا وَطِعَانِهَا
يَسْتَقْبِلَانِ الْعِزَّ مِنْ سُلْطَانِهَا
بِتَعَرُّفِ الْإِزْدَافِ مِنْ فُرْسَانِهَا
تُلْقِي الْبُدُورُ لَهَا يَدَيَّ إِذْعَانِهَا
كَلَفَ الْقُلُوبِ تَحِيدُ عَنْ سُلُوكِهَا
فَتَّاحِهَا وَالْحُسْنِ مِنْ فِتْنَانِهَا
دُرَّرَ تَعَالَى الدَّهْرُ فِي أَثْمَانِهَا
وَالزَّهْرُ بِالنَّفَحَاتِ مِنْ بُسْتَانِهَا
فَلْيَسْأَلِ السُّكَّانَ عَنْ أَوْطَانِهَا
أَلَقَتْ أَزَاهِرَهَا عَلَى أَفْنَانِهَا
ضَمِنَتْ فَجَاءَ النَّصْرُ وَفَوْقَ ضَمَانِهَا
فَضْلُ الْمَدَى الْأَقْصَى إِلَى إِيْمَانِهَا
أَعْظَمَ بِهِمْ مِنْ نَاسِخِي أَذْيَانِهَا

(59) يشير الشاعر إلى أخوي الممدوح الملك الناصر يوسف الثالث وهما : علي أبو الحسن الملقب بعز

الدولة وأبو العباس أحمد. انظر فيهما : ديوان ابن فركون : 33 — 34 (المقدمة) 180، 195،

358، 361 (الديوان).

أَمَسَتْ رِيَاحُهُمْ بِهَا تَسْفِي الثَّرَى (60) حَتَّى اسْتَقَلَّ عِمَادُهَا بِعَمِيدِهَا
شَرَفُ الْوُجُودِ مُتَمِّمُ الثَّوْرِ الَّذِي وَبَهَذِيهِمْ يَا نَاصِرًا دِينَ الْهُدَى
شَادُوا بِأَيَّوَاءِ الرَّسُولِ مَعَالِمًا وَتَبِعَتْهُمْ خَلْفًا أَصِيلَ خِلَافَةٍ
وَكَانَ يُمْنِي نَجْلِكَ الْمَوْلَى الرِّضَا بِالضُّحَاةِ الْعَرَاءِ مِنْ مِيلَادِهِ
لَا زِلْتُ تَمْنَحُهُ رِضَاكَ مَوَاهِبًا تَقْضِي سُعُودَكَ بِاتِّصَالِ زَمَانِهَا

وَفِي ذَلِكَ لِلْفَقِيهِ الْوَزِيرِ
أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ مَلِيحٍ وَصَلَّ اللَّهُ
عَزَّتْهُ، وَوَالِي رَفَعَتْهُ (62)

[مَلِكُ الْحُبِّ] الْعَتِيقُ فُؤَادِي وَأَرَى طِبَاعِي لَا تَحِيدُ عَنِ الْهَوَى
وَأَرُومُ أَكْتُمُ وَالتَّحُولُ يَنْمُ بِي وَلَكُمْ أَلْحَ الْعَاذِلُونَ وَفَنَدُوا
قَالُوا : أَتَضْبُوا وَالشَّبَابُ قَدْ انْقَضَى (63) قُلْتُ اكْفُفُوا فَالَّذِ أَوْقَاتِ الْكَرَى
أَوْ مَا دَرَوْا أَنَّ الْوَفَاءَ سَجِيَّتِي وَتَمَلَّكَ الْحُسْنُ الْبَدِيعُ قِيَادِي
وَأَرَى التَّعَالِي فِيهِ عَيْنَ رَشَادِي وَمَدَامَعُ تَهْمِي كَصَوْبِ عَهَادِ
حَشَدُوا عَلَيَّ كَتَائِبَ الْأَنْقَادِ وَعَدَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَشِيبِ عَوَادِ
مَهْمَا يُنَادِي بِالصَّبَاحِ مُنَادٍ سَيَّانٍ فِي الْإِدْنَا وَفِي الْإِبْعَادِ

(60) تسفي الثرى : تذروه.

(61) يقصد أبا سفيان بن حرب زعيم قريش.

(62) تقدم ذكره.

(63) البيت الأول مأخوذ من قول ابن عميرة المخزومي :

وَقَالُوا أَتْلَهُو وَالشَّبَابُ قَدْ انْقَضَى وَعُمْرُكَ قَدْ وَلَّى وَلَمْ يَبْقَ طَائِلُ

والبيت الثاني من قول ابن شاطر :

فَقُلْتُ لَهَا كَفَيَّ عَنِ الْعُتْبِ وَاعْلَمِي بِأَنَّ أَلَذَّ التَّوَمِ إِغْفَاءُ الْفَجْرِ

أَرْعَى الْعُهُودَ وَلَا أَحُلَّ وَثَاقَهَا
لِي فِي الْمَحَبَّةِ نَزْعَةٌ عُذْرِيَّةٌ
فَسَبَقْتُ كُلَّ مُنَافِسٍ وَمُعَانِدٍ
بِأَبِي غَزَالٍ فَاتِكَ بِلِحَظِهِ
أَمَلْتُ مِنْهُ الْعَدْلَ فِي أَحْكَامِهِ
وَلَقَدْ قَنَعْتُ بِزُورَةٍ مِنْ طَيْفِهِ
قَالُوا أَطَلَّتْ دَعِ الْهَوَى لَأَنَاسِهِ
قُلْتُ التَّعْزُلُ صُعْتُهُ سَبَبًا إِلَى
مِلْكٍ أَنَافٍ (65) عَلَى الْكَوَاكِبِ قَدْرُهُ
فَخَرُّ الْمُلُوكِ عَمِيدُهُمْ وَإِمَامُهُمْ
هُوَ يُوسُفُ شَمْسُ الظَّهِيرَةِ وَالضُّحَى
لَمَّا حَبَاهُ اللَّهُ خَيْرَ خِلَافَةٍ
فَتَمَهَّدَتْ أَرْجَافُهَا وَتَلَالُاتُ
مَنْ أَمَّهُ لِلرُّفْدِ فَارَ بِكُلِّ مَا
وَإِذَا أَتَى مُتَظَلِّمٌ مُسْتَنْصِرًا
بِيَدَيْهِ بَحْرٌ نَدَى وَبَاسٍ جُمَعَا
عَزَّ الْإِلَاهُ بِمُلْكِهِ دِينَ الْهُدَى
وَلَهُ الْفَصَاحَةُ وَالسَّمَاحَةُ وَالْعُلَا
وَشَمَائِلُ تُتْلَى عَجَائِبُ آيَهَا
بِالْهَدْيِ وَالتَّقْوَى لَدَيْهِ وَطَالَمَا
جُمِعَتْ لَدَيْهِ مَحَامِدٌ وَمَحَاسِنُ
بِيَلَادٍ أُنْدَلُسٍ غَدَا وَفَخَّارُهُ

وَأَصُونُهَا وَأَجِيدُ حِفْظَ وَدَادِي
مِيدَانُهَا أَجْرِيَتْ فِيهِ جِيَادِي
أَرْغَمْتُ فِي طُرُقِ الْهَوَى حُسَّادِي
فَنَكَ الصَّوَارِمِ فِي جُسُومِ أَعَادِي
فَأَشَبَّ نَارَ الْهَجْرِ فِي أَكْبَادِي
لَوْ أَنَّهُ أَبْقَى عَلَيَّ رُقَادِي
وَأَسْأَلَ سَبِيلَ إِلِي (64) نُهَى [وَرَشَادٍ]
مَدَحِ ابْنِ نَصْرِ سَيِّدِ الْأَجْوَادِ
وَسَمَا عَلَى النُّظَرَاءِ وَالْأُنْدَادِ
وَهُمَا مَهُمٌ طُرّاً وَبَذَرُ النَّادِي
هُوَ نَاصِرٌ دِينَ النَّبِيِّ الْهَادِي
عَادَتْ بِهِ الدُّنْيَا لِأَجْمَلِ عَادٍ (66)
أَضَحَتْ لِسَاكِنِهَا وَثِيرَ مِهَادٍ
يَنْغِيهِ فِي الْإِصْدَارِ وَالْإِيرَادِ
أَلْفَى نَصِيرًا مِنْهُ بِالْمَرْصَادِ
فَلْتَعَجَّبُوا لِتَأَلُّفِ الْأَضْدَادِ
وَأَذَلَّ أَهْلَ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ
وَمَنَاقِبُ جَلَّتْ عَنِ التَّعْدَادِ
وَمَا ثَرُّ يَشْدُو بِهِنَّ الشَّادِي
هُوَ رَائِحٌ يَنْغِي الثُّمُورَ وَغَادٍ
مِنْ كُلِّ نَوْعٍ طَارِفٍ وَتِلَادٍ
قَدْ طَارَ فِي شَامٍ وَفِي بَعْدَادٍ

(64) كذا في الأصل، والمراد : أولي.

(65) أناف : ارتفع.

(66) عاد : جمع عادة.

بِشَائِهِ تَسْرِي الْقَوَافِلُ فِي الْفَلَاحِ
وَرِثَ الْخِلَافَةَ وَالْإِمَامَةَ وَالْعُلَى
مِنْ آلِ نَصْرِ مِنْ سُلَالَةِ خَزْرَجٍ
هُمْ أَتَلُّوا دِينَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
مَاذَا أَقُولُ وَفِي الْكِتَابِ ثَنَاؤُهُمْ
مَوْلَايَ يَا أَعْلَى الْمُلُوكِ وَمَنْ عَدَا
أَنْتَ الْإِمَامُ الْفَاضِلُ السَّيِّرُ الَّتِي
أَنْتَ الْمُقِيمُ شَعَائِرَ الدِّينِ الَّتِي
يَهْنِيكَ يَا مَوْلَايَ أَفْضَلُ نِعْمَةٍ
بَذَرُ سَعِيدٍ قَدْ تَأَلَّقَ نُورُهُ
فَاهْنَأْ بِهِ وَيَاخُوهُ يَتْلُوْنَهُ
لَا زَالَ مُلْكُكَ سَامِيًا وَمُهَنْئًا

وَبِمَدْحِهِ يَحْدُو الرِّكَابَ الْحَادِي
عَنْ خَيْرَةِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
أَسَدُ الْكِفَاحِ وَنُجْعَةِ الْمُتَرَادِ
هُمْ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادٍ
يُتْلَى مَدَى الْأَعْصَارِ وَالْآبَادِ
لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا أَجَلٌ عِمَادٍ
هِيَ حَلِيَّةُ الْعُلَمَاءِ وَالْعِبَادِ
تُبْتَهُنَّ بِأَوْثَقِ الْأَوْتَادِ
أَعْطَاكَ رَبُّ الْخَلْقِ وَالْإِبْجَادِ
وَكَمَالُهُ فِي أَفْقِ مُلْكِكَ بَادٍ
كُلُّ بِسْعٍ مُبْدَأٍ وَمُعَادٍ
وَبَلَغْتَ أَوْفَى مَقْصِدٍ وَمُرَادٍ

وَأَنْشَدَ الْقَائِدُ الْمَرْفَعُ أَبُو يَحْيَى ابْنُ الْوَزِيرِ الرَّئِيسِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَاصِمٍ⁽⁶⁷⁾

لَقَدْ بَلَغَ الْمُلْكُ أَقْصَى الْأَمَلِ
يَبْدُرُ تَجَلَّى بِأَفْقِ الْمَعَالِي
يَنْجُلُ الْإِمَامُ الْكَرِيمُ الَّذِي
كَأَنِّي بِهِ قَدْ هَمَى جُودُهُ
كَأَنَّ بَنَدَاهُ وَأَمْدَاحَهُ

وَطَابَ الزَّمَانُ لَنَا وَاعْتَدَلْ
كَمَا حَلَّتِ الشَّمْسُ بَرْجَ الْحَمَلِ
بَنَى مَعْلَمَ الْمَجْدِ حَتَّى اسْتَقْلَ
عَلَى مُعْتَقِي رِفْدِهِ وَانْهَمَلْ
يَسِيرَانِ فِي النَّاسِ سَيْرَ الْمَثَلِ

(67) تقدم ذكره في قصيدة سابقة، وذهبنا إلى أنه ربما كان المقصود به ولد القاضي أبي بكر بن عاصم، ويمكن أن يراد به عمّه أبو يحيى الذي استشهد في وقعة انتقيرة عام 813 هـ أي بعد التاريخ الذي قيلت فيه هذه القصيدة وسابقتها وهو عام 811 هـ وقد يرجح الإمكان الأخير قوله :
أمولاي عادات فضلك قد أعدن نشاطي بعد الكسل
فهذا مما لا يصدر عن شاب في مقتبل العمر.

كَأَنِّي بِهِ قَدْ سَمْتُ نَفْسُهُ
فَنَحْنُو اشْتِيَاقاً عَلَيْهِ الْقُلُوبُ
وَتَنَائِي اخْتِيالاً عِتَاقُ الْجِيَادِ
صِفَاتُ كَبِيرٍ وَإِنْ كَانَ طِفْلاً
وَمَنْ كَانَ قُطْبُ الْهُدَى أَصْلُهُ
إِمَامٌ عَلَى الْحِلْمِ وَالْعِلْمِ وَالْبَذْلِ
بَخِيلُ الْيَدَيْنِ بِعَرَضٍ وَجَارٍ
مُبِينُ الرُّشَادِ مُقِيمُ الْجِهَادِ
وَبَحْرُ النَّوَالِ وَشَمْسُ الْمَعَالِي
فَكَمْ مِنْ عَزِيزٍ وَكَمْ مِنْ ذَلِيلٍ
تَرَاهُ لَدَى السَّلَامِ مَحْيَا الْعِبَادِ
وَكَالْعَيْثِ وَاللَّيْثِ بَأْساً وَجُوداً
لَهُ رَاحَةٌ بَيْنَ نُعْمَى وَبُؤْسٍ
وَفِيهَا تَلَاقَى الْمُنَى وَالْمَنَى
أَيَا قَاتِلِ الْأُسْدِ يَوْمَ الْوَغَى
سَتَفْتَحُ أَرْضَ الْعِدَى عَنُودَةً
تُفَرِّقُ جَمْعَهُمْ بِالْفَنَاءِ
لَأَنَّكَ مِنْ أُسْرَةٍ شَيِّدَتْ
هُمْ الْقَوْمُ أَمَامَعَالِيهِمْ
إِذَا ذَكَرَ النَّاسُ كَانُوا أَعَزَّ
فَهَمَّتُهُمْ فِي اقْتِنَاءِ الثَّنَاءِ
وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى أَنْ بِهِمْ

لِمَا لَمْ تَنْلُهُ الْمُلُوكُ الْأَوَّلُ
وَتَرْتَنُوا ابْتِهَاجاً إِلَيْهِ الْمُقْلُ
وَتُرْهِى انْتِشَاءً صُدُورُ الْأَسْلُ
يُلَازِمُ مِنْهَا الْمُلُوكُ الْحَجْلُ
فَيَأْمَا أَعَزَّ وَيَأْمَا أَجْلُ
وَالْبَذْلِ وَالْفَضْلِ وَالْمَكْرُمَاتِ اشْتَمَلُ
وَإِنْ كَانَ لَمْ يَدْرِ مَعْنَى الْبَحْلُ
مُفِيدُ الْأَيْدِي مُبِيدُ النَّحْلِ
وَمَعْنَى الْكَمَالِ وَسِرُّ الدُّوَلِ
أَعَزَّ شَبَاباً رُمُوحِهِ أَوْ أَذْلُ
وَيَوْمَ الْجِلَادِ مَمَاتِ الْبَطْلُ
إِذَا مَا سَطَا وَإِذَا مَا بَذَلَ
بِهَا الصَّابُ مُجْتَمِعٌ وَالْعَسَلُ
وَمِنْهَا الْحَيَاةُ وَمِنْهَا الْأَجْلُ
وَيَا مُحْجِلَ الْعَيْثِ مَهْمَا هَمَلُ
وَتُبْدِلُهَا الْأَمْنَ بَعْدَ الْوَجَلِ
وَتَجْمَعُ سَيِّئُهُمْ فِي التَّفَلِ (68)
أَوَاخِرُهَا مَا بَنَتْهُ الْأَوَّلُ
فَقَدْ صَحَّ إِسْنَادُهَا وَاسْتَقْلُ
مَكَاناً وَأَسْمَى حُلًى وَأَجْلُ
وَبُعِيتُهُمْ فِي سُمُورِ الْمَحَلِ
جِيُوشُ الْعِدَى وَظُبَاهُمْ ثَقْلُ (69)

(68) النفل : الغنيمة.

(69) هذا كقول النابغة :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ
بَيْنَ قُلُوبٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

مَآثِرُ أُعِيَتْ عَلَى النَّظْمِ وَصَفَاً
فَيَادِينُ يَهْنِيكَ مِنْهُمْ إِمَامٌ
وَلَوْلَا نَدَى كَفِّهِ مَا اسْتَقَامَ
فَلَا تَسْئَلِ الدِّينَ عَنْ حَالِهِ
وَلَمَّا رَأَى نَجْمُ أَغْدَائِهِ
تَرَى الْأُسْدَ مِنْ بَاسِهِ كَالْتَقَادِ
أَيُّدِكَ شَأَوُ غُلَاهُ الْكِرَامِ
أَيَّا جُمْلَةِ الْفَضْلِ هُنَّيْتُ نَجْلًا
هِلَالٌ سَعِيدٌ كَرِيمُ الْقُدُومِ
وَبَذَرُ كَسَا الدَّهْرِ نُورُ سَنَاهُ
سَمَا لِلْمَكَارِمِ طِفْلاً صَغِيراً
سَيِّدِي أَمَامَكَ يَوْمَ الْوَعَى
يُخَالُ صَبَاحاً فَلَا غُرُوْ أَنْ
أَقَمْتُ الْعَقِيقَةَ مِنْ أَجْلِهِ
حَفِظْتُ بِهِ سُنَّةَ الْمُصْطَفَى
فَإِنَّكَ أَسْمَى وَأَكْرَمُ مَنْ
لَدَى مَصْنَعٍ بَاهِرٍ حُسْنُهُ
دَنْتُ لِلسُّرُورِ بِأَرْجَائِهِ
وَحَفَّ بِهِ السَّعْدُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ
إِذَا أَبْصَرَ الْبَدْرُ سَاحَاتِهِ
وَإِنْ لَمْ حَتُّهُ ذُكَاءٌ (72) اغْتَدَتْ
مَنْحَتَ الْعُقَاةِ (73) بِهِ مُنْعِمًا

(70) التَّقَاد : صغار الغنم، والخول : العبيد.

(71) مثل : غاب.

(72) ذُكَاء : الشمس.

(73) العقاة : السائلون.

فَمَا لِيْلِيغٍ فِيهَا مِنْ قَبْلِ
أَقَامَ عِمَادَكَ بَعْدَ الْمَيْلِ
وَلَوْلَا هُدَى عَذْلِهِ مَا اعْتَدَلَ
وَلَكِنَّ عَمَّنْ حَمَاهُ فَسَلَ
طُلُوعَ نُجُومِ السُّعُودِ أَفَلَ
وَصَيْدِ الْمُلُوكِ لَهُ كَالْخَوْلِ (70)
أَيُّنْقَاسُ بَحْرِ النَّدَى بِالْوَشْلِ
يُفَسِّرُ بِالْجُودِ ذَاكَ الْجَمَلِ
أَهْلٌ بِهِ النَّصْرُ لَمَّا اسْتَهْلَ
وَمَرَّاهُ أَسْنَى الْحُلَى وَالْحُلُلِ
فَكَيْفَ يَكُونُ إِذَا مَا اكْتَهَلَ
حُسَاماً بِكَفِّ عِلَاكَ اسْتَقْلَ
يُجَلِّي دُجَى الشَّرِّ مَهْمَا يُسَلِّ
وَنَاهِيكَ مِنْ مَشْهَدٍ مُحْتَفَلِ
فَحُزْتُ بِهَا رُبَّةً لَمْ تُنَلِّ
أَطَاعَ أَوَامِرَهُ وَامْتَثَلَ
يَرُوقُ ابْتِهَاجاً سَنَاهُ الْمُقْلِ
قُطُوفُ الْمُنَى فِي رِيَاضِ الْجَذَلِ
وَسِتْرُ الْأَمَانِ عَلَيْهِ انْسَدَلَ
يَوَدُّ لَوْ أَنَّ فِي ذُرَاهُ مَثَلِ (71)
تَلَوْنَ مِنْ حَسَدٍ أَوْ خَجَلِ
بِرُوضِ الْأَمَانِي جَنِّي الْأَمَلِ

أَمْوَلَايَ عَادَاتُ فَضْلِكَ قَدْ أَعْدَنَ نَشَاطِي بَعْدَ الْكَسَلِ
وَطَوَّقَنَ جِيدِي عُقُودَ اللَّهَِا (74) فَرَفَعْنِي عَنْ صِفَاتِ الْعَطَلِ
بَقِيَتْ لِنُصْرَةِ دِينِ الْهُدَى وَأَمْرُكَ بَيْنَ الْوَرَى مُمَثَّلِ
وَلَا زِلْتَ مَا عِشْتَ مُسْتَأْثَرًا بِخَفْضِ الزَّمَانِ وَرَفْعِ الْمَحَلِ

وَفِي ذَلِكَ لِلْفَقِيهِ الْمُرْفَعِ

أَبِي الْحَسَنِ بْنِ هُذَيْلٍ وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَهُ وَرَفَعَتْهُ (75)

بَدَا فِي سَمَاءِ الْمُلْكِ بَذْرٌ مُتَمِّمٌ تَلَاَقَتْ بِهِ فِيهَا بُدُورٌ وَأَنْجُمٌ
بَدَا فَمُحْيَا الدَّهْرِ طَلَقَ وَثَغْرُهُ سُورًا بِهِ عَنْ أَشْنَبٍ يَتَبَسَّمُ
وَزَادَ بِهِ مَرَاهُ حُسْنًا وَبَهْجَةً وَلَوْلَا شَنِيبُ الثَّغْرِ مَا قُبِلَ الْفَمُ
وَأَقْبَلَ وَالْإِقْبَالَ وَالْيَمْنُ تِلْوُهُ وَقَبْلَ ذُكَايَ نُورَهَا يَتَقَدَّمُ
تَقَلَّدَ مِنْهُ عَاتِقُ الْمُلْكِ صَارِمًا لَهُ مَضْرِبُ عَضْبِ الْغَرَارَيْنِ مُحْذَمٌ (76)
وَأَشْرَقَتِ الْآيَامُ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ وَبِالْغُرَّةِ الْعَرَاءِ يُمْدَحُ أَذْهَمُ
وَلَيْدُ غَدَاهُ لِلْهِدَايَةِ عُصْرٌ مَخَائِلُهَا مِنْ خَلْقِهِ تُتَوَسَّمُ
وَأَنْجَبَهُ مِنْ آلِ نَصْرِ خَلِيفَةً كَرِيمُ السَّجَايَا وَالْخِلَالِ مُعْظَمُ
وَقَدْ شَدَّ أَزَرَ الْمُلْكِ مِنْهُ مُهَنْدٌ طَرِيرُ الشَّبَا عَضْبٌ وَأَسْمَرُ لَهْدَمُ
وَلَمْ يُغْذِهِ إِلَّا الْمَكَارِمُ وَالْعَلَى لَهُ مَشْرَبٌ مِنْهَا نَمِيرٌ وَمَطْعَمُ
وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا الْمُرْهَفَاتِ تَمَائِمًا تُعَوِّدُهُ مِنْ شَرِّ مَا يُتَوَهَّمُ

(74) اللَّهَُا : العطايا.

(75) هو أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل بن محمد بن هذيل، هكذا ورد اسمه في ديباجة تأليفه المخطوط : صفات الحسن والجمال. ولا توجد ترجمة لهذا المؤلف الأديب، وإنما توجد له مؤلفات منها المؤلف المذكور، وهو مخطوط ومنها «حلية الفرسان» و«عين الأدب والسياسة» وهما مطبوعان وله مؤلفات أخرى.

(76) عضب ومخزم : قاطع.

(77) طرير الشبا : محدد.

وَعَايَنْتِ الْأَبْصَارُ فِي قَسَمَاتِهِ
رَأَتْ مِنْهُ سِيَمًا سُودِدٍ حَكَمَتْ بِأَنْ
وَيَفْتَحُ أَمْصَارَ الْعِدَى وَوَرَاءَهُ
شَوَاهِدٌ قَدْ قَامَتْ بِهِذَا صَوَادِقُ
وَمَنْ لِبَنِي نَصْرِ يَكُونُ انْتِمَاؤُهُ
أَمْوَلَايَ خُذْمَدَحِي بِذِكْرِكَ عَزُّهُ
بَشَائِرُ عَمَّتْ كُلَّ بَادٍ وَحَاضِرٍ
عَلَى مِثْلِهَا نُعْمَى وَيَامَا أَجَلَّهَا
فَقُلْنَا بِشُكْرِ اللَّهِ عَوْدًا وَبِدَاةً
عَلَى أَنَّهَا جَلَّتْ فَلَسْنَا نَفِي بِهَا
سَأْبُدُّ نَفْسِي لِلْبَشِيرِ بِشَارَةً
وَلَمْ لَا وَقَدْ أَوْلَيْتَنِي مِنْكَ نِعْمَةً
كَأَنَّكَ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ مُرَكَّبُ
وُجُودِكَ فِي الدُّنْيَا جَمَالٌ وَزِينَةٌ
فَلَا نُورَ إِلَّا مِنْ جَبِينِكَ يُجْتَلَى
إِذَا قِيلَ مِنْ رَبِّ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى
فِيهِنِيكَ نَجْلًا سَعِيدًا مُوَفَّقًا
وَبَاتَ بِهِ أَمْرُ الْأَنَامِ مَشِيدًا
وَيَكْفِيهِ مِنْ نَيْلِ السَّعَادَةِ أَنَّهُ
فَسَلَ بِهِ سَيْفَ احْتِكَامٍ عَلَى الْمُنَى
وَدُمَ لِلْمُنَى كَهْفًا وَدَهْرُكَ كُلَّهُ
وَعِشَ فِي أَمَانٍ مَا تَرْنَمَ طَائِرُ

سِمَاتٍ هُدًى عَنْ كُلِّ يُمْنٍ تُتْرَجَمُ
تُمْلِكُهُ رِقَّ الْوَرَى قَبْلَ يُقْطَمُ
خَمِيسٌ كُلِّجَ الْبَحْرِ مَجْرَرٌ عَرْمَرُمُ (78)
تَجَلَّى بِهَا سِرٌّ مِنَ الْغَيْبِ مُبْهَمُ
أَسِرُّ غُلَاةٍ فِي الْوُجُودِ مُكْتَمُ
كَمِثْلُ فَتَيْقِ الْمِسْكِ (79) إِذْ يُتَنَسَّمُ
بِهَا أَنْجَدُ الرُّكْبَانِ وَصَفَاً وَأَنْهَمُوا
طُيُورُ الْأَمَانِي مِنْ قَدِيمٍ تُحَوِّمُ
فَأَسْهَبَ مَحْصُورٌ وَأَطْنَبَ مُفْحَمُ
بَشَرٍ يُرَوَّى أَوْ بِشَعْرِ يُنْظَمُ
أَفْرُقُهَا فِي حَقِّهِ وَأَقْسَمُ
أَنَا بَعْضُ مَا تُبْدِي بِهَا وَتُتَمُّ
فَحُبُّكَ فِي كُلِّ الْقُلُوبِ مُخْتَمُ
وَجُودُكَ فِيهَا صَيِّبُ الْقَطْرِ مُسْجَمُ
وَلَا رِزْقَ إِلَّا مِنْ يَمِينِكَ يُقْسَمُ
فَأَنْتَ الَّذِي يُبْدَا بِهِ ثُمَّ يُخْتَمُ
بِهِ ازْدَانٌ بُرْدٌ بِالْإِمَارَةِ مُعْلَمُ (80)
وَأَرْكَائُهُ مَرْصُوصَةٌ لَا تُثَلَّمُ
وَأَيَّاكَ فِي التَّحْقِيقِ شَيْلٌ وَضِعْمُ
يُسَاعِدُكَ فِيهِ السَّعْدُ إِذْ تَتَحَكَّمُ
كَمَا تَشْتَهِي الْأَمَالَ عِيدٌ وَمَوْسِمُ
وَمَا اشْتَقَّ وَصَلَ الْحَبِّ صَبٌّ مُتِمُّ

(78) مجر، عرمرم : كثير.

(79) فتقيق المسك : رائحته.

(80) بُرْدٌ مُعْلَم : ثوب مخطط.

وَأَنشَدَ الْكَاتِبُ الْبَارِعُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّرَّانُ⁽⁸¹⁾

سِرَاجُ الْهُدَى مِنْ أَفْقِ مُلْكِكَ أُطْلِعَا
وَدُرُّ الْمَعَالِي عَنْ نَدَى بَحْرِكَ ارْتَمَى
وَوَرَدَ الْمُتَى أَعْدَدْتَ لِلْهُدَى مَشْرَعًا
فَأَسْعِدْ بِدَهْرٍ حَلَّ بِدُرِّكَ أَفْقَهُ
كَأَنَّ حُلَاهُ مِنْ سَنَّاكَ تَضَوَّاتُ
أَرَانَا مِنَ الْحُسْنَى بِبُقْيَاكَ لِلدُّنَا
فَلَا يَوْمَ إِلَّا وَالتَّمَاْحُكَ قَدْ أَتَى
رَعَى اللَّهُ فِي الْأَمْلاَكِ مِنْكَ خَلِيفَةً
وَأَمْنَعَ مِنْكَ الْمُلْكَ بِالنَّاصِرِ الَّذِي
وَهْنَتْ بِالنَّجْلِ الْكَرِيمِ الَّذِي سَمَا
حُسَامٌ يَصُولُ الْحَقُّ مِنْهُ عَلَى الْعِدَى
تُحَدِّثُنَا عَنْهُ الْمَخَائِلُ أَنَّهُ
وَنَاهِيكَ شَمْسٌ مِنْ سَمَائِكَ أَشْرَقَتْ
سَيِّئُشًا فِي حَجَرِ السَّعَادَةِ حَيْثُ قَدْ
وَيُطْلِعُ أَفْقَ الْمَهْدِ مُشْرِقُ بَذَرِهِ
أَيُنْزِلُ إِلَّا فِي بُرُوجِ سُرُوجِهِ
لَقَدْ أَصْبَحَتْ شَوْقًا لَهُ الْخَيْلُ تَرْتَمِي
وَقَدْ أَكْسَبَ السَّمَرِ ارْتِيَا حَمْرَهُ

وَرَوْضُ الرِّضَا فِي ظِلِّ عَدْلِكَ أَيْنَعَا
وَسِرْبُ التَّهَانِي فِي حِمَى يُمْنِكَ آرَتَعَى
وَرُمَحَ الرَّدَى سَدَدْتَ لِلْكَفْرِ مُشْرَعَا
فَأَمْسَى لِشُهْبَانِ السَّعَادَةِ مَطْلَعَا
وَعَرَفَ صِبَاهُ مِنْ ثَنَّاكَ تَضَوَّعَا
وَلِلدِّينِ مَا يَمْحُو لَهُ الذَّنْبُ أَجْمَعَا
بِعِيدِ هِلَالِ السَّعْدِ مِنْهُ تَطْلَعَا
بِأَكْلَاءِ⁽⁸²⁾ عَيْنِ الْخَلِيفَةِ قَدْ رَعَا
غَدَا سَيْفُهُ بِالنَّصْرِ لِلْمُلْكِ مُمْتَعَا
عَلَى النَّجْمِ فِي عَلَيَّائِهِ وَتَرَفَّعَا
بِأَسْطَى مِنَ الْعُضْبِ الْيَمَانِيِّ وَأَسْطَعَا
سَيِّسْلُكَ مِنْ آثَارِكَ الْغُرْمَهَيْعَا⁽⁸³⁾
وَحَسْبُكَ فَرَعٌ عَنْ عُلاكَ تَفَرَّعَا
تَعْدَى لِبَانَ الْعِزِّ صِرْفًا وَأَرْضِعَا
وَلَمْ أَرْ مَهْدًا قَبْلَ اللَّبْدْرِ مُطْلَعَا
وَهَيْهَاتَ أَنْ يَهْوَى سِوَاهُنَّ مَوْضِعَا
نَشَاطًا وَتُلْقِي لِلْبَشَائِرِ مِسْمَعَا
بُشْرَاهُ فَاهْتَرَّتْ إِلَى الصُّفْرِ شُرْعَا⁽⁸⁴⁾

(81) تقدم التعريف به.

(82) أكلاء جمع كلاء.

(83) المهيح: الطريق.

(84) السمر يقصد بها: الفناء، والصفر هم الروم.

وَأَذَكَّى جُفُونَ الْبَيْضِ⁽⁸⁵⁾ جَمْرًا كَأَنَّهَا
وَزَادَ الْبُودَ الْحُمْرَ حُسْنًا كَأَنَّمَا
وَعَمَّتْ تَهَانِيهِ الزَّمَانِ وَأَهْلَهُ
فَلَا تَغُرُّ إِلَّا عَادَ بِالْبِشْرِ بِاسِمًا
فَحْيَا الْحَيَا دَهْرًا قَضَى بِطُلُوعِهِ
وَقُدْسَ شَخْصٍ كَانَ أُودِعَ حَمْلُهُ
وَمَا صَرَعَتْهَا غَيْرُ كَاسِ سُورِهَا
وَهَلْ هِيَ إِذْ أَلْقَتْ لَنَا ذَاتَهُ سِوَى
أَوْ الصَّدْفِ الْمَكْنُونُ قَدْ صَانَ دُرَّهُ
نَعَمْ هُوَ دُرٌّ نَضَّدَ الْحُسْنَ عِقْدُهُ
تَلَالًا بِالسَّعْدِ الْحَقِيقِيِّ نَجْمُهُ
فَكَمْ تَارِحَ الْآلُوطَانِ أَشْرَعَ عَزْمُهُ
وَكَمْ مَوْرِدٍ أَغْدَبَتْ فِي الْمَوْلِدِ الَّذِي
صَنِيعَ سَمَا الْأَشْرَافِ نَحْوَ سَمَائِهِ
حَدَّثَهُمْ دَوَاعِي الْعِزِّ نَحْوَكِ سُرْعَا
فَدُمَ لِصِلَاتٍ مِنْ تَوَالِكَ لَا تَرَى
وَطَارِدَ بِخَيْلِ الْيَمَنِ طَيْرَ الْمُنَى فَقَدْ
أَلَّا إِنَّكَ الْمَوْلَى الَّذِي بِوُجُودِهِ
إِمَامٌ أَعَادَ الْأَمْنَ لِلْأَمْرِ إِذْ حَمَا
فَلِلَّهِ مَا أَسْمَاهُ مِنْ مَلِكٍ رَضَى
عَفَافٍ وَإِقْدَامٍ وَحَزْمٍ وَنَائِلٍ⁽⁸⁷⁾
لَهُ غُرَّةٌ لَوْ أَلْبَسَ اللَّيْلُ نُورَهَا

(85) البيض : السيوف.

(86) جيد أطلع : طويل.

(87) هذا شطر بيت للمعري، وأوله : ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل.

(88) برهان يوشع عليه السلام في رد الشمس له معروف.

إِلَى لَثَمِ يُمْنَاهُ تَهِيمُ تَوَلَّعَا
بِهَا شَفَقَ مِنْ شَمْسٍ مَرَّاهُ أَطْلَعَا
فَكُلُّ بِإِذْرَاكِ الْمُنَى قَدْ تَمَتَّعَا
وَلَا قُطِرَ إِلَّا صَارَ لِلْيَمَنِ مُرْتَعَا
فَأَحْيَى بِهِ الدُّنْيَا وَسَاكِنَهَا مَعَا
فَأَضْحَى لَهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ مُودَّعَا
وَكَمْ فَرَحٍ لَاقَتْ بِهَا النَّفْسُ مَصْرَعَا
سَحَابٍ سَقَانَا غَيْثُهُ ثُمَّ أَقْلَعَا
فَعِنْدَ انْفِصَالِ الدَّرِّ عَنْهُ تَصَدَّعَا
فَحَلَّ بِهِ جِيدًا لِمَلِكِكَ أَتْلَعَا⁽⁸⁶⁾
عَلَيْكَ فَدَغَّ سَعْدَ النُّجُومِ وَمَا ادَّعَى
سُرُورًا وَبِالْبُشْرِ لِبَابِكَ أُسْرَعَا
وَرَدَّنَا بِهِ حَوْضَ الْمَسْرَةِ مُتْرَعَا
فَأَبْصَرْتُ أَفَقَ الْأَنْجُمِ الْغُرَّ مَصْنَعَا
فَقَدْ أَصْبَحُوا فِي بَحْرِ جُودِكَ شُرْعَا
لَهَا كَافِيًا مِنَّا سِوَى عَائِدِ الدَّعَا
تَعَاهَدَنَ فِي أَشْرَاكِ سَعْدِكَ مَوْقَعَا
تَرَوَّضَ بُسْتَانُ الْوُجُودِ وَأَمْرَعَا
هُمَامٌ أَجَابَ النَّصْلَ بِالنَّصْرِ إِذْ دَعَا
غَدَا لِلدُّنَا وَالْدِّينِ كَهْفًا وَمَفْرَعَا
تَرَكَّبْنَ فِي الْعُلْيَا طَبَائِعَ أَرْبَعَا
لَلَاخِ لَدَيْنَا فِيهِ بُرْهَانُ يُوشَعَا⁽⁸⁸⁾

وَسَمْتُ وَقَارٍ لَوْ تَجَلَّى لِيَذْبُلْ
 وَصُوبُ أَيَادٍ لَوْ سَقَى الرُّوضُ لَمْ يَزَلْ
 إِلَى كَنْفٍ لَوْ حَلَّهُ النَّجْمُ لَمْ يَكُنْ
 إِلَى خُلُقٍ لَوْ أَشْرَبَ الْبَحْرُ عَذْبَهَا
 حُلَى مَلِكٍ مَا الزَّهْرُ غَبَّ سَمَائِهِ
 وَهَلْ فِي مُلُوكِ الْأَرْضِ مِثْلُ لِيُوسُفَ
 يَرَى قَطَعَ أَعْنَاقِ الْكُمَاةِ وَلَمْ يَكُنْ
 وَيَجْمَعُ شَمْلَ الْمَعْلُوتِ وَلَمْ يَكُنْ
 وَيَمْنَعُ خَطْبَ الدَّهْرِ عَنَّا وَلَمْ يَكُنْ
 أَنْصَرَ دِينَ اللَّهِ إِذْ خُذِلَ الْوَرَى
 أَيَادِيكَ أُمَّا فَوْزْنَا بِاجْتِنَائِهَا
 فَإِنْ كَانَ لِي يَوْمًا لَوْصَفَكَ مَطْمَحٌ
 وَمَنْ لِي بَانَ أَقْضَى مَدَائِحَ مَنْ غَدَا
 أَشَدَّتْ بِذِكْرِي فِي الْوُجُودِ وَشِدَّتْ لِي
 وَلَمْ أَفْتَحِرْ إِلَّا بِأَنِّي نَشَأْتُ فِي
 فَدُونِهَا خُودًا تَهَادَتْ كَأَنَّمَا
 أَفَاضَ عَلَيْهَا جُودُ كَفِّكَ جُودَهُ
 وَصَيَّرَنِي بِالْبَذْلِ فِيهَا مُطَوَّقًا
 وَلَيْسَ انْطِبَاعِي مِنْ طِبَاعِي وَإِنَّمَا
 وَمَا الشُّعْرُ إِلَّا كَالنَّسِيمِ سَرَى عَلَى
 وَإِلَّا بُرُوجٌ أَشْرَقَتْ عِنْدَمَا بَدَتْ
 فَدَامَتْ لَكَ الْبُشْرَى بَنِيكَ الَّذِي
 وَلَا زِلَتْ يَا مَوْلَى الْخَلَائِفِ مَشْرِقًا
 وَدُمْتَ لَنَا تَجْلُو الظَّلَامَ فَإِنَّمَا

لَأُمْسَى لَدَيْهِ خَاشِعًا مُتَّصِدًا (89)
 لِمُرْتَادِهِ بِالْعُشْبِ وَالنُّورِ مُنْجِعًا
 مِنَ الْفَجْرِ خَفَاقَ الْفُؤَادِ مُرَوِّعًا
 لِأَصْبَحَ أَحْلَى مِنْ جَنَى النَّحْلِ مَشْرَعًا
 بِأَضْوَا حُسْنًا مِنْ حُلَاهُ وَأَضْوَعًا
 جَمَالًا وَإِجْمَالًا مَعًا وَتَوَرُّعًا
 إِلَى صِلَةِ الْأَرْحَامِ يَوْمًا لِيَقْطَعَا
 لَشَمْلٍ عَرِيضِ الْمَالِ يَوْمًا لِيَجْمَعَا
 لِبَذْلِ هِبَاتِ الْجُودِ فِينَا لِيَمْنَعَا
 وَهَادِيَهُ لِلْأَمْنِ لَمَّا تَرَوَّعَا
 فَهَانَ وَأَمَّا وَصْفُهَا فَتَمَنَّعَا
 فَقُلْ إِنَّ لِي فِي عِدَّةِ الشُّهُبِ مَطْمَعًا
 بِخِدْمَتِهِ قَدَرِي مِنَ النَّجْمِ أَرْفَعَا
 مَعَالِمَ عِزٍّ فِي أَلْمَعَالِي وَأَرْبَعَا
 حِمَاكَ وَمَالِي غَيْرُ نُعْمَاكَ مُرْضِعَا
 سَقَيْتُ قَوَافِيهَا الرِّحِيقَ الْمُشْعَشَعَا
 فَوَشَّى بِهَا رَوْضَ الْبَيَانِ وَوَشَّعَا
 فَلَا غَرَوْ أَنَّ أَشْدُّو بِشُكْرِي وَأَسْجَعَا
 هُوَ الْجِيدُ إِذْ أَبْدَى حُلِيكَ أَبْدَعَا
 رِيَاضِ مَعَالِيكُمْ فَطَابَ تَضَوُّعَا
 بِإِفَاقِهَا شُهْبَانُ وَصَفِّكَ طُلَّعَا
 بَدَا أَطُولُ الْأَبْنَاءِ سَعْدًا وَأَطْوَعَا
 لِأَمْثَالِهِ مِنْ أَنْجَمِ السَّعْدِ مُطْلَعَا
 سِرَاجُ الْهُدَى مِنْ أَفْقِ مُلْكِكَ أَطْلَعَا

(89) يذبل : اسم جبل معروف، وفي البيت اقتباس من قوله تعالى : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا﴾.

وَأَنْشَدَ مَمْلُوكٌ مَوْلَانَا نَصْرَهُ أَلَّهُ
كَاتِبُ هَذَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ فُرْكَونَ⁽⁹⁰⁾

قَفْ بِالْمَعَاهِدِ سَاعَةً وَاسْتَوْقِفِ
وَارْبَعٌ بِهَا دِمْنًا أَلْفَتْ بِهَا الْهَوَى
رَأَقَتْ مَحَاسِنُهَا وَرَقَ نَسِيمُهَا
تَسْرِي الصَّبَا بِشِدَاةٍ حِينَ ثُمِيلُهُ
وَافَى عَلِيلٌ نَسِيمَهَا ثُمَّ انْتَشَى
وَحَكَاهُ دَمْعِي رِقَةً وَالْقَلْبُ فِي
لَوْلَا التُّحُولُ — وَإِنَّهُ لَمَزِيَّةٌ —
يَا أَهْلَ نَجْدٍ⁽⁹²⁾ هَلْ لَنَا فِي حَيِّكُمْ
فَالِي مَعَاهِدِكُمْ أَطَلْتُ تَشْوُقِي
هَامَ الْفَوَادِ بِظَبْيَةِ الْبَانِ الَّتِي
لَمْ يَتْنَهَا قَوْلُ الْوُشَاةِ وَإِنَّمَا
وَتَبَسَّمَتْ بِعَقِيقَتِهَا عَنْ لَوْلُو
وَلَطَالَمَا أَذَكَّتْ جَوَى بِجَوَانِحِي
دَغَ مَا يَرِيبُ فَإِنِّي أَصْبَحْتُ مِنْ
حَكَمِي ابْنُ نَصْرِ نَاصِرِ الدِّينِ الرِّضَا
حَسْبِي مِنَ الْعَلِيَاءِ أَنِّي عَبْدُهُ
وَبَأْتَنِي فِي الْقَوْمِ أَوَّلُ نَازِمٍ
إِيَّاهُ أَعَدَّ ذِكْرَ الْمَعَاهِدِ جَادَهَا
وَإِذَا رَوَيْتَ بِهَا أَحَادِيثَ الْهَوَى

تَحْظَ الرِّكَابُ ضُحَى بِأَشْرَفِ مَوْقِفِ⁽⁹¹⁾
أَكْرَمُ بِهَا مِنْ مَرْبَعٍ أَوْ مَالِفٍ
فَالرُّوضُ بَيْنَ مُورَجٍ وَمُفَوِّفٍ
فَالْقُضْبُ بَيْنَ تَعْطُرٍ وَتَعْطُفٍ
وَالْقَلْبُ مِنَ أَلَمِ الصَّبَابَةِ قَدْ شَفِي
جِسْمٌ يَكَادُ مِنَ الصَّبَابَةِ يَحْتَفِي
لَمْ تَرْهَبِ الْأَبْطَالُ حَدَّ الْمُرْهَفِ
أَوْ حُبُّكُمْ مِنْ مُسْعِدٍ أَوْ مُسْعِفٍ
وَعَلَى عُهْدِكُمْ قَصَرْتُ تَشْوُفِي
مِنْهَا اسْتَفَادَ الْبَانُ لِيْنَ الْمَعْطُفِ
رِيحُ الصَّبَا مَالَتْ بِغُصْنِ أَهْيَفِ
شَفَّةٌ شَفَتْ وَجْدِي وَإِنْ لَمْ تُرْشِفِ
فَطَفِئَتْ بَيْنَ تَلْهَبٍ وَتَلْهَفِ
رَيْبِ الْحَوَادِثِ تَحْتَ ظِلِّ أَوْرِفِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ حُكْمُ الزَّمَانِ بِمُنْصِفِ
وَكَفَى بِهِ شَرَفًا بِذَلِكَ أَكْتَفِي
فِيهِ الْمَدِيحَ تَرْفَعِي وَتَشْرُفِي
عَهْدَ الْحَيَا مِنْ دَمْعِي الْمُتَوَكِّفِ
فَاصْرِفْ عَنَّا الْقَوْلَ أَحْسَنَ مَصْرِفِ

(90) تقدّم التعريف به.

(91) توجد هذه القصيدة أيضاً في الديوان : 129 — 142 وقد جاء في تقديمها ما يلي : « وأنشدت يوم عقيقته السادس لصفر عام اثني عشر وثمان مائة ».

(92) المقصود به هنا نجد غرناطة، وكان من متزّياتها التي تغنى بها الشعراء.

خُذْ عَنْ فُؤَادِي⁽⁹³⁾ حِينَ جَدَّ بِهِ الْجَوَى
وَالْهَدْيَ عَنْ شُهْبِ الدُّجَى عَنْ بَذْرِهَا
لِلَّهِ آثَارٌ لَهُ وَمَا ثَرُّ
كَمْ رَهْبَةٍ أَوْ رَغْبَةٍ فِي سَيْبِهِ
لَمْ أَدْرِ مَا عَمَّ الْبَسِيطَةُ هَلْ نَدَى
مِصْرُ الْبِلَادِ أَفَاضَ فِي أَرْجَائِهَا
وَقَفَّ عَلَيْهِ الْجُودُ يُرْسِلُ جُودَهُ
وَلَقَدْ تَنَاهَى لِلْمَكَارِمِ جَمْعُهُ
رَفَّتْ ظِلَالُ الْأَمْنِ وَانْعَطَفَتْ عَلَى
بِمُبدِّدٍ فِي الْحَرْبِ كُلِّ مُبَدِّلٍ
تَأْتِي وَفُودُ الرُّومِ تَخْطُبُ سَلْمَهُ
وَوَلِيَّهُمْ يَحْشَى — فَيُرْدِفُ رُسْلَهُ —
أَعْرِ⁽⁹⁵⁾ الْجَوَابَ بِهَا عَلَى ظَمًا لَهَا
وَاجْنَحْ إِلَيْهَا مُنْعِمًا مُتَفَضِّلًا
يَا نَاصِرَ الْإِسْلَامِ وَالْمَلِكِ الَّذِي
أَنْسَيْتَ أَمْلَاكَ الزَّمَانِ مَنَاقِبًا
فَإِذَا نَهَيْتَ الدَّهْرَ أَذْعَنَ صَاغِرًا
وَإِذَا أَجَلْتَ الْخَيْلَ خَلَفَتْ الْعِدَى
وَتَشَقُّ أَنْهَارُ الظُّبَا رَوْضَ الْقَنَا
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي قُصَّادُهُ
بُشْرَى بِأَكْرَمٍ وَافِدٍ آبَاؤُهُ

(93) يقلد الشاعر هنا عننة أصحاب الحديث.

وَجَدًّا يَصْبِحُ حَدِيثُهُ عَنْ مُذْنِفٍ
عَنْ وَجْهِ مَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ يُوسُفٍ
لِلْمُقْتَدِي إِنْ شِئْتَ أَوْ لِلْمُقْتَفِي
أَوْ سَيْفِهِ لِلْمُعْتَدِي وَالْمُعْتَفِي
كَفَّيْهِ أَمْ صَوَّبُ الْعِمَامِ الْوُكُفِ
نَيْلَ النَّدَى وَجَلَى الْجَمَالِ الْيُوسُفِي
فَيُعْمُ بَيْنَ تَوْكُفٍ وَتَوَكُّفٍ
فَلِذَاكَ عَنْ قُصَّادِهِ لَمْ تُصْرَفِ
وَطَنِ الْجِهَادِ بِرَأْفَةٍ وَتَعَطَّفِ
وَمُحَرَّمِ إِبْقَاءِ كُلِّ مُحَرَّفِ
فَيَكُفُّ كَفَّ الْقَادِرِ الْمُتَعَفِّفِ
إِرْسَالِ جَيْشٍ بِالْمَلَائِكِ مُرْدِفِ⁽⁹⁴⁾
تَنْقَعُ جَوَى الْمُتَشَوِّقِ الْمُتَشَوِّفِ
لَا زِلْتَ أَكْرَمَ وَاهِبٍ مُتَعَطِّفِ
نَالِ الْعُلَى طَوْعًا بَغَيْرِ تَكْلُفِ
وَالشُّهْبُ يُخْفِيهَا الصَّبَاحُ فَتَحْتَفِي
وَإِذَا أَمَرْتَ النَّصْرَ لَمْ يَتَوَقَّهِ
صَرَعَى وَنَصْرُ اللَّهِ لَمْ يَتَخَلَّفِ
عَجَبًا وَنَارُ حُرُوبِهَا لَا تَنْطَفِي
وَلَدَاهُ بَيْنَ تَفَرُّقٍ وَتَأَلَّفِ
قَدَمًا تَلَاقُوا كُلَّ خَطْبٍ مُتَلَفِ

(94) أي أن ولي الروم والوصي على عرشهم يومئذ كان يرسل الوفد تلو الوفد في طلب الهدنة لأنه كان يخشى أن يكون الجواب كما في الآية الكريمة : «فاستجاب لكم أني مبدكم بألف من الملائكة مردفين».

(95) يمكن قراءتها في المخطوط أيضا : أعد.

وَاهْتَأْ بِأَسْعَدِ نَاجِمٍ أَنْوَارُهُ
تُبَيِّ مَحَائِلُهُ الْكَرِيمَةُ أَنَّهُ
تَقْضِي مَنَاسِبُهُ الشَّرِيفَةُ أَنَّهُ
عَقِدَتْ لَهُ زَهْرُ النُّجُومِ تَمَائِمًا
وَقَفَتْ تُعِيدُ مِنَ الْعُيُونِ كَمَالَهُ
وَافَى فَهَنَانًا إِمَامًا مُنْعِمًا
وَلَقَدْ لَثَمْنَاهَا يَمِينًا أَمَنْتَ
وَتَهَلَّلْتَ دَارَ الْخِلَافَةِ عِنْدَمَا
وَحَوَافِقُ الْأَعْلَامِ فِيهَا قَدْ حَكَّتْ
تَهْفُو عَلَى أَفْقِ الْهُدَى عَذَابُهَا⁽⁹⁶⁾
وَاسْتَشْرَفَتْ أَوْطَانُهَا لِوُرُودِهِ
وَلَرَّاحَتِيهِ ارْتِاحَ شَوْقًا مَا بِهَا
وَأَنَسَابُ نَهْرِ الْجُودِ فِي رَوْضِ الْمُنَى
وَمَنَابِرُ الدِّينِ الْحَنِيفِ زَهَتْ بِهِ
وَأَسْرَةُ الْمُلْكِ الْعَزِيزِ سُرُورُهَا
وَارْتِاحَتِ الْخَيْلِ السَّوَابِقِ وَانْتَشَتْ
وَلَسَوْفَ تُتْلِعُ كُلَّ جِيدٍ مُشْرِفٍ
وَلَسَوْفَ يَعْلَمُ أَنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَدْ
فَاسَعَدَ بِهِ لَازِلَتْ تَمْنَحُهُ الرِّضَا
وَلَقَدْ سَلِمَتْ فَمَا أُصِيبَ بِحَادِثٍ
أَوْ مَا بَقَاؤُكَ لِلْخَلَائِقِ رَحْمَةً
أَوْ مَا وَجُودُكَ لِلْخَلَائِقِ عِصْمَةً

يُجَلِّي بِهَا جِنْحُ الظَّلَامِ الْمُسْدِفِ
لِلْجُودِ يُنْجِزُ كُلَّ وَعْدٍ مُخْلِفٍ
بِسَوَى الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى لَمْ يَكْلِفِ
فَتَشَرَّفَتْ قَبْلَ الْحُسَامِ الْمَشْرِفِي
وَكَاثَنُهُنَّ نَوَاطِرُ لَمْ تُطْرِفِ
لَوْلَاهُ عَارِفَةُ النَّدَى لَمْ تُعْرِفِ
وَطَنًا مُنَاوِيَهُ رَهِينُ تَخَوُّفِ
حَيَا بِهِ وَجْهُ الزَّمَانِ الْمُسْعِفِ
قَلْبَ الْعَدُوِّ الْمُلْجِدِ الْمُتَخَوِّفِ
مِثْلَ الْكَرِيمِ يَجُرُّ ذَيْلَ الْمِطْرِفِ⁽⁹⁷⁾
وَلَكَمْ بِهَا لِعِلَالِهِ مِنْ مُسْتَشْرِفِ
طَوَعِ الْعُلَى مِنْ ذَابِلٍ أَوْ مُرْهَفِ⁽⁹⁸⁾
مِنْ تَحْتَ ظِلِّ لِلْأَمَانِ مُسَجِّفِ
زَهْوِ الْخِلَافَةِ بِالْإِمَامِ الْأَشْرَفِ
قَدْ هَزَّ لِلْإِسْلَامِ أَكْرَمَ مَعْطِفِ
تَحْتَالُ بَيْنَ تَشَوُّفٍ وَتَشْرِفِ
فِي الرُّوعِ يُرِيدِي كُلَّ بَاغٍ مُسْرِفِ
حَيَا بِوَعْدٍ مِنْهُ غَيْرِ مُسَوِّفِ
وَتُورِيهِ مِنْ سَبِيلِ الْهُدَى مَا يَقْتَفِي
جَلِيلِ أَلَمٍ وَلَا بِحَالٍ تَأْسُفِ
تَهْمِي غَمَائِمُ جُودِهَا بِتَلَطُّفِ
تَقْضِي لِشَمْلِ وَجُودِهِمْ بِتَأْلُفِ

(96) العذبات : ما يرخى من العمامة، والمراد هنا خرق الألوية التي تخفق.

(97) المطرف : الرداء.

(98) الذابل ينعت به الفنا، والمرهف ينعت به السيف.

أَوْ مَا دَوَامُكَ مِنْ عِدَاهُمْ جُنَّةٌ تَكْفِيهِمْ وَبِهَا الْمُؤْمَلُ يَكْتَفِي
أَوْ مَا سُعُودُكَ فِي لِقَاهُمْ آيَةٌ تَشْفِي وَصَدْرُ الدِّينِ مِنْهُمْ يَشْتَفِي
مَوْلَايَ سَمْعًا فَاْمْتِدَاحُكَ طَالَمَا رَقَى عَيْدُكَ لِلْمَحَلِّ الْأَشْرَفِ
أَنَا غَرْسُ نِعْمَتِكَ الَّذِي آدَابُهُ رَوْضُ أَزَاهِرٍ مَدَحِهِ لَمْ تُقْطَفِ
صَدَفُ الطُّرُوسِ يَضُمُّ مِنْهُ جَوَاهِرًا أَفْكَارُهُ عَنْ نَظْمِهَا لَمْ تَصْدِفِ
مَوْلَى وَعَبْدٌ وَالنِّظَامُ لِنَالِيٍّ تَوَجَّحَ وَطَوْقُ كَيْفِ شَيْءٍ وَشَنْفِ
لَا زِلْتُ لِلْأَمْلَاقِ وَجْهَةً قَصْدِهِمْ فَجَمِيعُهُمْ يُبْدِي اعْتِرَافَ الْمُنْصِفِ

وَمِنْ الْمَقَاصِدِ الْمَوْلَوِيَّةِ الْيُوسُفِيَّةِ النَّاصِرِيَّةِ التَّصْرِيَّةِ

مَا حَقُّهُ أَنْ يَكُونَ يَذُوبُ الذَّهَبُ مَرْسُومًا، وَأَنْ تَسْتَفِيدَهُ طَلَبَةُ الْعِلْمِ مَا خَذَ خَطِيرَةً
وَعُلُومًا، وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْمَوْلَى أَعْجَبَ فِي الرِّثَاءِ، وَوَفَى لِعَهْدِ السَّكَنِ الْكَرِيمِ حَقَّ
الْوَفَاءِ، فَتَنَظَّمَ كُلُّ بَدِيعٍ تُصْنَعِي الْأَسْمَاعُ إِلَيْهِ، وَتَتَقَلَّبُ الْقُلُوبُ رَحْمَةً لَدَيْهِ، وَكَانَ مِنْ
مَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَثَرِ وَفَاةِ الْوَالِدَةِ، وَمَصِيرِهَا إِلَى الْطَّافِ اللَّهُ وَرَحْمَاتِهِ الْمُتَعَاهِدَةِ،
أَنْ اسْتَبَاطَ اللَّهُ بِهِذَا الْمَوْلَى الْأَمِيرِ وَضَمَّهُ لَحْدَهُ، وَجَاءَ مَوْلَانَا وَالِدُهُ مِنْ أَجْلِ مُصَابِهِ
بِمَا لَا يَخْصِيهِ الْقَوْلُ مِنَ الْإِبْدَاعِ وَلَا يَحُدُّهُ، فَمِنْ ذَلِكَ :

بُعْدًا لِيَوْمِ الْخَمِيرِ مِنْ صَفَرٍ لَمَّا جَرَى فِيهِ سَابِقُ الْقَدَرِ (99)
قَدْ أَخَذَ الْبَيْنُ حِذْرَهُ فَرَمَى أَفْعِدَةً لَمْ تَكُنْ عَلَى حَذَرٍ
لِلَّهِ مِنْهَا وَالْبَيْنُ مُقْتَبِلٌ ظَلَعَائِنْ قُوِّضَتْ إِلَى السَّقَرِ
يَا صُورَةً قَدْ بَدَتْ مَحَاسِنُهَا فَعُوذَتْ فِي الْعُيُونِ بِالسُّورِ
وَيَا وَلِيَّ الْعُهُودِ مَا نِعِمْتَ فِي وَطَنِ الْمُلْكِ مِنْكَ بِالْوَطَرِ
يَا قِطْعَةَ الْقَلْبِ مُذْ نَأَيْتَ لَقَدْ تَرَكْتَ قَلْبِي لِلْوَجْدِ وَالْفِكْرِ
يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ مُذْ رَحَلْتَ لَقَدْ خَلَفْتَ عَيْنِي لِلدَّمْعِ وَالسَّهْرِ
هَذِي الْقُلُوبُ الَّتِي قَدِ التَّهَبَّتْ بِوَائِكِيفِ لِلدُّمُوعِ مِنْهُمْ مَرِ

(99) توجد في الديوان : 77 — 78.

هَذِي الْعُيُونُ الَّتِي بَكَتْ أَسْفَاً
هَذِي النُّفُوسُ الَّتِي عَفَتْ كَمَدَاً
هَذِي الْخُطُوبُ الَّتِي مَتَى وَفَدَتْ
هَذِي الصَّبَا كُلَّمَا أَتَتْ سَحَرَاً
لَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْأَفْقِ مِنْ أَسْفٍ
لَوْ أَنَّ مَا بِي بِالرُّوضِ مِنْ كَلْفٍ
لَوْ أَنَّ مَا بِي بِالسُّحْبِ مِنْ أَلَمٍ
أَيَّامُ أَنْسٍ غَدَا يُشَانُ بِهَا
لَوْ كُنْتُ تُفْدَى بِالْمَالِ لَا بَتَدَرْتُ
لَكِنَّهُ مَنْ يَرُدُّ صَرْفَ رَدَى
لَوْ رَدَّهُ الْمُلْكُ لَا تَنْشَى جَزَعَاً
لَوْ رَدَّهُ الْعِزُّ لَا تَنْشَى وَجِلَاً
لَوْ دَفَعْتُهُ الْكَتَائِبُ انْدَفَعَتْ
لَكِنْ سَمِعَ اسْمِهِ الْعَزِيزُ إِذَا
مَتَّعَ سَمْعِي بِذِكْرِهِ أَبَدَاً

مَا مُتَّعَتْ فِي حُلَاكَ بِالنَّظَرِ
لَمْ يُبْقِ مِنْهَا الْأَسَى (100) وَلَمْ يَذَرِ
أَبْقَتْ (101) إِلَى الْعَيْنِ ذَاهِبَ الْأَثَرِ
أَهْدَتْ لِمَثْوَاكَ طَيِّبَ الْخَبَرِ
مَا لَاحَ نُورٌ بِالْأَنْجُمِ (102) الزُّهْرِ
مَا اسْتُنْشِقَتْ مِنْهُ نَفْحَةُ الزَّهْرِ
مَا أَرْسَلَتْ وَاكِفَاً مِنَ الْمَطَرِ
وَجَدِي بِالطُّولِ وَهِيَ بِالْقَصْرِ
أَكْفُنَا بِالْهَيَاتِ لِلْيَدْرِ
صَرَفَ فِي آمِرٍ وَمُؤْتَمِرٍ
مِنْ نَاصِرٍ بِالْإِلَهِ مُنْتَصِرٍ
مُعْتَذِرَاً خَوْفَ بَطْشِ مُقْتَدِرٍ (103)
إِلَيْهِ بِالْبَيْضِ وَالْقَنَا السُّمْرِ
مَا غَابَ عَنِّي يُعْنِي عَنِ النَّظَرِ
إِذْ لَمْ يُمَتِّعْ بِحُسْنِهِ بَصَرِي

وَمِنْ ذَلِكَ (104)

إِنَّ (105) لِلَّهِمْ حَمِيسٌ نَارٌ فِي يَوْمِ الْحَمِيسِ

(100) في الديوان : الهوى.

(101) في الديوان : ألفت.

(102) في الديوان : للأنجُم.

(103) الذي في الديوان من البيتين هو ما يلي :

لو رَدَّهُ الملك لانْشَى وجلا مُعْتَذِرَاً خَوْفَ بَطْشِ مُقْتَدِرٍ

(104) الديوان : 155 — 156 وفي التقديم : «ومما نظمناه تفجعاً على ولدنا نفع الله به».

(105) في الأصل : آن مع تضبيب في الطَّرة، والتصويب من الديوان.

ضَحِكْتُ سِنْ⁽¹⁰⁶⁾ الرَّدَى
وَتَبَدَّى وَجْهُهُ
فَلَكُمْ لِلدَّهْرِ مِنْ
وَالْحِمَامِ كَمْ لَهُ
قِطْعَةً مِنْ كَيْدِي
صَدَف⁽¹⁰⁷⁾ اللَّحْدَ مَضَى
وَالثَّرَى أَفُقٌ غَدَا
شَبَلْنَا كَمْ مَرَبِضٍ
فَرُبُوعٌ أَتْسِيهِ
لَوْ أَتَى غَيْرُ الرَّدَى
بِجِيَادٍ ضَمَّرِ
فِي قِتَالِ الرُّومِ قَدْ
لَا يُوفَّى وَصَفْنَا⁽¹⁰⁸⁾
خَضَعَتْ لِمُلْكِنَا
كَمْ سَرَتْ بِذِكْرِهِ
وَتَرَكْنَا لِلرَّدَى
عَزٌّ فِي أُنْدَلُسٍ
غَيْرَ أَنَّ الْمَوْتَ إِذْ
كُلَّ مَرْوُوسٍ يُرَى
عَنْهُ فِي يَوْمِ عَبُوسٍ
بَيْنَ بُوسٍ وَعَبُوسٍ
حَالَتِي نَعْمَى وَبُوسٍ
مِنْ مُعَاطَاةِ كُؤُوسٍ
جُعِلَتْ فَوْقَ الرُّوُوسِ
مِنْهُ بِالْذَّرِ النَّفِيسُ
فِيهِ مَغْرِبُ الشُّمُوسِ
قَدْ خَلَا مِنْهُ وَخِيسُ
لَيْسَ فِيهَا مِنْ أَنْيَسِ
لَحَمَتْ نَارُ الْوَطِيسِ
نُظِّرِ الْعُيُونِ شُوسِ
أَضْرَمَتْ نَارَ الْمَجُوسِ
بِالْيَرَاعِ فِي الطُّرُوسِ
أَلْ هُوْدٍ وَحَبُوسِ
مِنْ ظَعَائِنِ وَعِيسِ
مِنْ رَهِيْنِ وَحَبِيسِ
وَعِرَاقَيْنِ وَسُوسِ
يَتَلَقَى بِالنَّفُوسِ
فِي يَدَيْهِ وَرَّئِيسِ

(106) في الأصل : مِنْ، مع تضبيب في الطرة، والتصويب من الديوان.

(107) وردت محرفة في أصل الديوان فجعلها المحقق مدر، والصواب ما هنا.

(108) هكذا وردت في أصل الديوان أيضاً وصوبها المحقق كما يلي : وصفها.

وَارْتَجَلَ عِنْدَ ذَلِكَ مَمْلُوكٌ
مَوْلَانَا نصره اللَّهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ فُرْكَونَ (109)

يَمِينًا لَقَدْ جَاَزَ الْأَسَى مُنْتَهَى الْحَدِّ
مُصَابٌ بِهِ بَانَتْ مِنَ الدَّهْرِ عَثْرَةٌ
وَهَلْ هُوَ إِلَّا النَّجْمُ أُطْلِعَ نِيرًا
فَلَا عَجَبٌ لَمَّا بَدَأَ مِنْ غُرُوبِهِ
وَكَانَ كَمَا تَبْغِي الْخِلَافَةُ قَدْ غَدَتْ
وَكَانَ كَمَا تَهْوَى الْمَكَارِمُ قَدْ بَدَتْ
وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْمُلْكُ هَزْ مُهَنْدًا
وَهَلْ هُوَ إِلَّا السَّيْفُ جُرَّدَ لِلْعَدَى
وَهَلْ هُوَ إِلَّا الرُّمْحُ أُشْرِعَ نَصْلُهُ
وَهَلْ هُوَ إِلَّا الطَّرْفُ أُرْسِلَ سَابِقًا
وَهَلْ هُوَ إِلَّا الْغَيْثُ أَقْلَعَ إِذْ سَقَى
وَلَمَّا انْقَضَتْ غُرُّ الْوَلَائِمِ وَانْتَشَتْ
جَرَى قَدَرٌ فَاسْتَأْثَرَ اللَّهُ رَبُّهُ
شِهَابٌ تَوَارَى فِي الثَّرَى بَعْدَمَا بَدَأَ
فَمَا غَابَ إِلَّا بَعْدَمَا نَالَتْ الْهُدَى
وَمَا ضَمَّهُ بَطْنُ الضَّرِيحِ وَإِنَّمَا
تَعَزَّزَ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّمَا
تَأَسَّ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّمَا

فَيَالَيْتَ حُسْنَ الصَّبْرِ فِي مِثْلِهَا يُجْدِي (110)
وَضَلَّتْ بِهِ الْأَيَّامُ عَنْ سَنَنِ الرَّشْدِ
وَوَجْهَكَ صُبْحَ لَاحٍ فِي أَفْقِ الْمَجْدِ
أَيْلَتَاخُ نَجْمٍ وَالضُّحَى نُورُهُ يَهْدِي
عَلَى وَجْهِهِ سَيِّمَا مِنْ الْأَبِ وَالْجَدِّ
مَحَائِلُ مِنْ قَيْسٍ عَلَيْهِ وَمِنْ سَعْدِ
وَشَمَّرَ مِنْهُ النَّصْرُ عَنْ سَاعِدِ الْجَدِّ
فَلَمَّا تَمَادَى سَلْمُهَا رُدَّ فِي غَمْدِ
فَقَصَّدهُ دَهْرٌ ثَنَاهُ عَنِ الْقَصْدِ
إِلَى أَمَدِ الْعُلَيَاءِ فَارْتَاخَ لِلرَّدِ
مَعَاهِدَنَا مِنْ أَفْقِهِ وَاكِفُ الْعَهْدِ
وُفُودُ النَّدَى تُثْنِي عَلَى صَيْبِ الرَّفْدِ
بِهِ وَخَلَّتْ مِنْ بَدْرِهِ هَالَةُ الْمَهْدِ
مَلَاذًا لِمُسْتَجِدٍ وَنُورًا لِمُسْتَهْدِ
وَلَا غَاضَ إِلَّا حِينَ كَفَّتْ عَنِ الْوُرْدِ
تَضَمَّنَ مِنْهُ جَوْهَرًا صَدَفُ اللَّحْدِ
نَرَى كُلَّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ إِلَى حَدِّ
هُوَ الْقَدَرُ الْمَحْتَوَمُ جَاءَ إِلَى وَعْدِ

(109) تقدم التعريف به.

(110) هي موجودة أيضا في الديوان : 132 — 133، وقد جاء في تقديمها ما يلي : «وكانت والدته هذا المولود قد توفيت إثر ولادته ولحق بها في سادس صفر عام اثني عشر وثمان مائة، فقلت للحين مرتجلاً».

بِأَفْعَالِكَ الْغُرَّ الْكَرِيمَةِ يُقْتَدَى وَجَمَعَ الْمَعَالِي مِنْكَ فِي الْعَالَمِ الْفَرْدِ
 فَلَا زِلَّتْ مِنْ رَبِّ الْحَوَادِثِ آمِنًا تَنَالُ الْمُنَى فِيمَا تُعِيدُ وَمَا تُبْذِي
 وَأَنْشَدَهُ رَئِيسُ كُتَابِ مَقَامِهِ الْكَرِيمِ ،
 الْمَخْصُوصِ بِالتَّجَلَّةِ وَالتَّكْرِيمِ، الْوَزِيرُ الْمُعْظَمُ
 أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَاصِمٍ وَصَلَ اللَّهُ عِزَّهُ،
 مُهَنِّئًا بِعِيدِ الْأَضْحَى مِنْ عَامِ أَحَدِ عَشَرَ وَثَمَانِمِائَةٍ (111)

زَمَانُ التَّدَانِي بِالْأَمَانِي مُسْعِفُ
 وَتُبْلَغُنِي رِيحُ الصَّبَا مِنْ لَدُنْكُمْ
 وَجَدَّدَ شَوْقِي مَوْقِفِي فِي مَعَاهِدِ
 وَقَفْتُ بِهَا أُخْفِي غَرَامِي وَأَذْمُعِي
 وَأَرْسَلْتُ لَحْظِي عِنْدَهَا فِي حَدَائِقِ
 وَخِلْتُ شَذَا الْأَزْهَارِ تَحْمِلُهُ الصَّبَا
 وَمِمَّا أَثَارَ الْوَجْدَ بَيْنَ جَوَانِحِي
 يُرَدِّدُ سَجْعًا بَعْدَ سَجْعٍ كَشَاعِرِ
 وَأَرْقَنِي بَرْقُ تَالَتْ فِي الدُّجَى
 فَمَا خِلْتُهُ إِلَّا رَأَى سَيْفَ يُوسُفَ
 أَلَا يَا وَمِیْضَ الْبَرْقِ هَلْ أَنْتَ مُسْعِدُ
 وَيَا رَاكِبًا جَدَّ الْمَسِيرِ بِهِ التَّفَتُ
 وَيَا حَادِيًا بِالْعِيسِ قَدْ لَازَمَ السُّرَى
 أَرِحْهَا فَإِنَّ الْأَمْنَ وَالْعِزَّ وَالْغِنَى
 إِذَا مَا الْمَقَامُ النَّاصِرِي قَصْدَتُهُ
 تَرَى مَلِكًا يُولِي الْجَمِيلَ تَفْضُلًا
 وَحَالَ الرِّضَى مِنْ يُمْنِهِ تَتَعَرَّفُ
 رَسَائِلَ فِيهَا رَأْفَةٌ وَتَعَطُّفُ
 تَشُوقُ إِلَى عَهْدِ الصَّبَا وَتَشُوقُ
 تَبُوحُ بِمَكُونِ الْهَوَى وَتَعَرَّفُ
 يَمِيلُ بِهَا مِنْ يَانِعِ الْبَانِ مَعْطُفُ
 ثَنَاءُ ابْنِ نَصْرِ حِينَ يُحْكِي وَيُوصَفُ
 حَمَامٌ بِأَعْلَى الدَّوْحِ قَدْ ظَلَّ يَهْتَفُ
 عَلَى مَذْحِ مَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ يَعْكُفُ
 كَمَا هَزَّ رُمُحٌ أَوْ كَمَا سَلَّ مَرْهَفُ
 فَرَامٌ يُحَاكِيه فَيَهْوِي وَيُشْرِفُ
 عَلَى السُّهْدِ أَجْفَانِي وَهَلْ أَنْتَ مُسْعِفُ
 لِصَبِّ لَهُ فِي جَانِبِ الْحَيِّ مَوْقِفُ
 يُكَلِّ الْمَطَايَا عَزْمُهُ وَيُكَلِّفُ
 وَنِيلَ الْمُنَى مِنْ دُونِ مَا تَتَكَلَّفُ
 فَلَا الرَّفْدُ مَنُورٌ (112) وَلَا الْوَعْدُ مُحْلَفُ
 وَيُحْسِبُ (113) آمَالَ الْعَفَاةِ وَيُسْعِفُ

(111) تقدّم ذكره وتحليته بالوزير الرئيس، وقد حُلّي هنا برئيس الكتاب والوزير المعظم.

(112) الرّفْد : العطاء، ومنزور : نزر أي قليل.

(113) ويُحسب آمال العفاة أي يكثر عطاء السائلين.

وَلِلَّهِ قَوْمٌ أٰخَلَصُوا الْقَصْدَ فِي السَّرِّ
هُمُ الْقَوْمُ اُمُّوْا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى
وَمِثْلِي مِمَّنْ قَيَّدَتْهُ ذُنُوبُهُ
وَلَكِنِّي اِنْ يَمُطِلِ الدَّهْرُ بِالْمُنَى
فَرُوِيَةٌ مَرَّاهُ الْكَرِيْمُ عِبَادَةً
هُوَ الْمَلِكُ الْمَشْهُورُ بِاَسَا وَنَائِلًا
وَإِنْ يَبْدُ حَيْفٌ مِنْ مُلُوكِ زَمَانِهِ
وَإِنْ كَلِفُوا يَوْمًا بِلَهْوٍ فَإِنَّهُ
مَآثِرُهُ فِي الْحِلْمِ وَالْبَاسِ وَالنَّدَى
وَمَرَّاهُ فِي يَوْمِ السَّمَاحِ وَكَفَّهُ
وَمَثَوَاهُ لِلرَّاجِي مَثَابَةٌ رَحْمَةً
تَجَلَّى بِأَفْقِ الْمُلِكِ بَدْرَ هِدَايَةٍ
وَإِخْوَتُهُ فِيهِ وَأَبْنَاءُ عَمِّهِ
نَمَتُهُمْ لِأَنْصَارِ النَّبِيِّ خَلَائِفُ
لَهُمْ فِي جِهَادِ الْكَافِرِينَ مَآثِرُ
أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي لِمَقَامِهِ
لَأَنْتَ الَّذِي أَعْلَى بِكَ اللَّهُ دِينُهُ
وَأَخْلَصَتْ لِلَّهِ الْجِهَادُ فَأَصْبَحَتْ

وَلَمْ يَتْنِهِمْ عَنْ عَزْمِهِمْ مَا تَكَلَّفُوا
وَحَثُّوا الْمَطَايَا فِي الْفَلَاةِ وَأَوْجَفُوا
يُجَدِّدُ وَعَدًا بِالْمَسِيرِ وَيُخْلِفُ
فَحَسْبِي ابْنُ نَصْرِ نَاصِرُ الدِّينِ يُوسُفُ (114)
وَخِدْمَتُهُ زُلْفَى إِلَى اللَّهِ تَزْلِفُ (115)
يُعَادِي فَيُرْدِي أَوْ يُوَالِي فَيَكْنُفُ
يُشِيرُ فَيَهْدِي أَوْ يَجُورُ فَيُنْصِفُ
بِمَا فِيهِ تَقْوَى اللَّهِ يُعْنَى وَيَكْلَفُ
غَرَائِبُ تُحَكِّي فِي الزَّمَانِ وَتُوصَفُ
إِيَاةُ الضَّحَى وَالْعَارِضُ الْمُتَوَكَّفُ
وَلِلْخَائِفِ الْمَطْرُودِ مَنَجَّى وَمَالِفُ
إِلَى الرُّشْدِ يَهْدِي أَوْ مِنَ الْحَقِّ يُزْلِفُ
نُجُومُ سُعُودٍ يُمْنُهَا مُتَعَرِّفُ
بِهِمْ أَصْبَحَتْ قَحْطَانُ تَعْلُو وَتَشْرُفُ
يُزَارُ بِهَا الْبَيْتُ الْعَتِيقُ وَيُتَحَفُ
عَلَى كُلِّ مُلْكٍ بِالْجِهَادِ تَشْرُفُ
وَأَمْنُهُ مِنْ كُلِّ مَا يَتَخَوَّفُ
بِلَادُ الْعِدَى مِنْ خَوْفِ بِأَسِيكَ تَرْجُفُ

(114) في الطرة : فيه إيهام أنه ثناه عن عزمه وأنه ليس من القوم، فلو قال : شكوت ابن نصر الخ.

(115) تزلف أي تقرب.

(116) إياة الضحى : نورها وضوءها وحسنها.

(117) والعارض المتوَكَّف : السحاب الممطر.

(118) يزار بها : كذا في الأصل، ولعلها : يزان بها.

(119) ملك : ضبطت في الأصل بضم الميم ولعلها بالفتح بمعنى ملك أي أن المدوح شرف بالجهاد على كل الملوك.

(120) ترجف أي تضطرب وترتعد.

وَرُعْتَ قُلُوبَ الرُّومِ قَبْلَ قِتَالِهِمْ
فَمَا نَوْمُهُمْ بِالذُّعْرِ إِلَّا تَهُومٌ
فَكَيْفَ إِذَا قُدَّتْ الْجُيُوشُ لِأَرْضِهِمْ
فَإِنْ تَنْصُرِ الْإِسْلَامَ بِالْبَاسِ وَالنَّدَى
فَقَوْمُكَ أَنْصَارُ النَّبِيِّ وَحِزْبُهُ
فَفِي أَحَدٍ مَا حَادَ عَنْ مَقْتَلِ الْعَدَى
وَحَنَّتْ ظُبَاهُمْ فِي حُنَيْنٍ لِيُورِدَهَا
وَكَانُوا بُدُوراً يَوْمَ بَدْرٍ وَكُلُّهُمْ
أُولَئِكَ قَوْمٌ أَثَبَّتَ الْوَحْيُ مَدَحَهُمْ
هَنِيئاً أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ بِمَوْسِمٍ
وَبُشْرَى بِعِيدِ طَالَعَتِكَ سُعُودُهُ
أَقَمْتَ مِنَ الْإِسْلَامِ فِيهِ شَعَائِرُ
وَلُحْتَ لِتَسْلِيمِ الْوُفُودِ وَكُلُّهُمْ
تَمُدُّ إِلَى التَّقْيِيلِ كَفّاً كَرِيمَةً
وَسَحَّتْ عَلَى الْقَصَادِ مِنْكَ مَوَاهِبُ
فَعَمَّتْهُمْ النُّعْمَى فَرَاخُوا وَكُلُّهُمْ
فَلَا زِلْتَ فِي ظِلِّ الْخِلَافَةِ وَادِعَاً
وَإِنَّ الْحَجِيجَ الْيَوْمَ عَادُوا إِلَى مِنَى
وَلَمَّا قَضَوْا مِنْ حَجِّهِمْ كُلُّ مَنْسَكٍ
ثَنُّوا قَصْدَهُمْ مِنْ مَكَّةَ نَحْوَ طَيْبَةِ
فَوَافُوا ضَرِيحاً حَلَهُ خَيْرُ مُرْسَلٍ
وَنَادَوْا وَلِلدَّمَعِ انْسِكَابٍ عَلَى الثَّرَى
إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ جُبْنَا مِنَ الْفَلَا

فَلَيْسَ لَهُمْ عَنْ مَطْلَبِ السَّلْمِ مَصْرُفٌ
وَلَا شَأْنُهُمْ فِي الدَّهْرِ إِلَّا تَخَوُّفٌ
تُزَلِّزُ مِنْهَا مَا أَطْمَأَنَّ وَتَنْسِفُ
وَتَحْمِيهِ مِمَّا يَتَّقِيهِ وَتَكْنِفُ
غَدَاةَ دُعَاوِ النَّصْرِ لَمْ يَتَخَلَّفُوا
لَهُمْ ذَابِلٌ كَلَالاً وَلَا كُلُّ مُرْهَفٍ
فَعَادَتْ رِوَاءٌ مِنْ دَمِ الشَّرِكِ تُزْرِفُ
عَنِ الْقَرْنِ لَا وَإِنْ وَلَا مُتَخَوِّفُ
فَذَكَرُ غُلَاهُمْ فِيهِ يُتْلَى وَيُوصَفُ
بِهِ الْيَمْنُ يَبْدُو وَالْمُنَى تُكَيَّفُ
بِنَصْرِ بِهِ الْفَتْحُ الْمُبِينُ يُكَيَّفُ
مُثَوِّبُهَا عِنْدَ الْإِلَهِ تُضَعَّفُ
إِلَيْكَ وَإِنْ لَمْ يَخْتَجِبْ مُتَشَوِّفُ
تَجُودُ إِذَا جُودُ الْعَمَائِمِ يُخْلَفُ
غَدَا دُونَهَا صَوْبُ الْحَيَا الْمُتَوَكَّفُ
عَلَى شُكْرِ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ ذَاكَ يَعْكِفُ
وَبَابُكَ مَأْوَى لِلْوُفُودِ وَمَالِفُ
وَقَدْ بُلُّغُوا مِنْهُ الْمُرَادَ وَأُسْعِفُوا
جَزَاؤُهُمْ فِيهِ الثَّوَابُ الْمُضَعَّفُ
فَمَا مِنْهُمْ وَإِنْ وَلَا مُتَخَلَّفُ
وَأَكْرَمُ خَلْقِ اللَّهِ طَرّاً وَأَشْرَفُ
وَقَدْ أَشْفَقُوا مِمَّا جَنَوْا وَتَخَوَّفُوا
مَخُوفاً وَجُزْنَا الْبَحْرَ وَالْبَحْرُ أَخَوْفُ⁽¹²¹⁾

(121) أشار الشاعر هنا إلى مخاوف طريق الحاج المغربي في ذلك الزمان فطريق البر تحت رحمة قبائل بني هلال وسليم وطريق البحر تُسيطر عليه الروم، وهذا ما عبّر عنه عدد من الشعراء ومنهم الذي يقول :

وَمَا مَلْنَا مِنْكَ الشَّفَاعَةَ فِي غَدٍ
فَنُودُوا جَمِيعاً أَبْشِرُوا نِلْتُمُ الْمُنَى
وَقَدْ شَمِلَتْ مَنْ زَارَ قَبْرِي شَفَاعَتِي
أَزْوَارَ بَيْتِ اللَّهِ وَالْحَرَمِ الَّذِي
بِعَيْشِكُمْ مَنْ ذَا الَّذِي حُسْنُ ذِكْرِهِ
وَيَدْعُو لَهُ بِالنَّصْرِ كُلِّ مُوَحِّدٍ
سِوَى مَلِكِ الْإِسْلَامِ هَذَا فَمُلْكُهُ
فَيَا مَنْ لَهُ الْمُلْكُ الشَّهِيرُ وَمَنْ بِهِ
جِهَادُكَ مَذْكُورٌ هُنَاكَ وَكُلُّهُمْ
وَمَهْمَا دَعَوْا أَنْ يُعْلِيَ اللَّهُ دِينَهُ
فَذِكْرُكَ فِي ذَاكَ الدُّعَاءِ مُخَصَّصٌ
وَدُونُكَ مِنْ غُرِّ الْقَصَائِدِ غَاذَةٌ
مُهَذَّبَةٌ مَا نَظَّمُهَا بِمُقَعَّرٍ
وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّظْمَ بِالْمَدْحِ لَا يَفِي
ثَنَيْتُ عَنَانِي وَارْتَمَيْتُ مُقَبَّلاً
فَكُلُّ بَلِيغٍ عَنْ مَدِيحِكَ قَاصِرٌ
وَعَوَّدْتَنِي الْإِعْضَاءَ وَالصَّفْحَ وَالرِّضَى
بَقِيَتْ تَلَقَّاكَ الْبَشَائِرُ كُلَّمَا

فَرَاغِيكَ لَا يَشْقَى وَلَا يَتَخَوَّفُ
وَكُلُّكُمْ فِيَمَا يُؤْمَلُ يُسْعَفُ
وَإِنْ كَانَ مِمَّنْ كَانَ فِي الذَّنْبِ يُسْرِفُ
بِهِ أَمِنْ الْقَصَادُ أَنْ يُتَخَطَّفُوا⁽¹²²⁾
يُهَادَى بِهِ مَنْ بِالْحَطِيمِ وَيَتَحَفُ
وَقَدْ ضَمَّ فِي تِلْكَ الْمَشَاهِدِ مَوْقِفُ
بِهِ أَمِنْ الْإِيمَانِ مَا يُتَخَوَّفُ
جَمِيعُ مُلُوكِ الْأَرْضِ طُرّاً تَشْرَفُوا
لَأَنْبَاءِهِ مُسْتَطْلَعٌ مُتَشَوِّفُ
وَيَنْصُرُ مَنْ يَحْمِي حِمَاهُ وَيَكْنُفُ
وَحَظُّكَ مِنْهُ وَافِرٌ لَا مَطْفَفُ
عَلَيْهَا مِنَ الْإِحْسَانِ بُرْدٌ مُفَوِّفُ
وَلَا اللَّفْظُ حُوشِي وَلَا مُتَكَلِّفُ
وَأَنْتَ قَدْراً فَوْقَ مَا فِيهِ تُوصَفُ
بِإِمْنَاكَ وَالتَّقْيِيلُ فِيهَا تَشْرَفُ
وَمَنْ يَعْتَرِفُ بِالْعَجْزِ عَنْهُ فَمُنْصِفُ
فَأَنْتَ الْحَلِيمُ الْمُنْعَمُ الْمُتَعَطِّفُ
تَثْنَى لُغْصِنِ الْبَابِ فِي آلِ رَوْضِ مَعْطَفُ

-
- بين الحجاز وبين الغرب قاطعةً من العوائق سُدَّتْ دُونَهَا الطُّرُقُ
عَوَفٌ وَزُغْبٌ وَدَبَابٌ وَسَالِمُهَا وَالْهَيَّيُونَ وَرُومُ الْبَحْرِ وَالْعَرَقُ
ولهذا افْتَى بعض علماء الأندلس قديماً بسقوط الحج عن أهل الأندلس والمغرب يومئذ.
- (122) يشير إلى قوله عز وجل: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾
العنكبوت: 67.
- (123) مُطَفَّفٌ: مُخَطَّطٌ.
- (124) بُرْدٌ مُفَوِّفٌ: مُخَطَّطٌ.
- (125) الْمُقَعَّرُ: الذي فيه مبالغة وتكلف.

وَلِعَبْدِ مَقَامِهِ الْكَرِيمِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ فَرْكُونٍ (126)

وَقُوفُكَ بِالرَّبْعِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
أَمَّا مَلِكُ الْإِسْلَامِ يُوسُفُ الَّذِي
أَمَّا بَهْجَةُ الْأَيَّامِ يُوسُفُ الَّذِي
أَمَّا فَارِسُ الْمِيدَانِ يُوسُفُ الَّذِي
أَمَّا شَرَفُ الْأَمْلَاقِ يُوسُفُ الَّذِي
تَحُلْ لَدَيْهِ وَالنَّوَى بِرِكَابِهَا
هَلِ الْقَيْظُ مِمَّا يَتَّقَى وَظِلَالُهُ
أَزَاهِرُهُ مِنْ خَطِّ يُمْنَاهُ كُلَّمَا
يَلُوحُ عَلَيْهَا مَا يُنَاسِبُ مُلْكُهُ
هُوَ الْمَلِكُ الْهَادِي صَبَاحُ عُلُومِهِ
فَكَمْ صَادِرٍ قَدْ عَادَ عَنْ جُودِ جُودِهِ
إِلَيْهِ مَالُ الْمَالِ وَهُوَ مُبِيدُهُ
وَمِنْ حَيْثُ تَمْهِيدُ الْبِلَادِ فَعَدْلُهُ
وَمِنْ شَأْنِهِ يَوْمَ الْوَعَى أَنَّ بَطْشَهُ
عَلَى حِينَ عَادَ الْيَوْمَ بِالْحَيِّ دَاجِيًا
وَفِي أَخْذِهِ مِنْ عَفْوِهِ أَيُّ وَازِعٍ
وَإِنْ حِلْمُهُ أَوْ بَأْسُهُ قَدْ تَعَارَضَا
سَمَاوِيَّةً أَنْصَارُهُ وَسَمَائِيَّةً
وَأَعْمَالُهُ فِي الْآخِرِينَ كَأَنَّهَا
عَلَاءُ ارْتِقَاءٍ لَا يُطَاوُلُ أَفْقُهُ

مَنَازِلُهُ أَحْسَنُ بِهَا وَمَنَازِلُهُ
تَنَالُ لَدَيْهِ كُلُّ مَا أَنْتَ أَمِلُهُ
تَقُولُ بُدُورُ الْأُفُقِ مَنْ ذَا يُمَائِلُهُ
تَذُلُّ عَلَى خَصْلِ السَّبَاقِ مَخَائِلُهُ (127)
تُوَالِي لَهُ قَطْعَ الْفَلَاوِ تَوَاصِلُهُ
يُسَائِلُ مَوْلَى لَا يُخَيِّبُ سَائِلُهُ
مُهَذَّلَةٌ (128) وَالرَّوْضُ تَنْدَى خَمَائِلُهُ
بَدَتْ مُرْسَلَاتٍ فِي الطُّرُوسِ رَسَائِلُهُ
فَمَنْ ذَا يُسَامِي دُرَّهَا أَوْ يُسَاجِلُهُ
إِلَى كُلِّ عِلْمٍ وَاضِحَاتٍ دَلَائِلُهُ
يُسَائِلُ عَنْ بَحْرِ النَّدَى أَيْنَ سَاجِلُهُ
وَمَانِحُهُ فِي الصَّالِحَاتِ وَبَاذِلُهُ
بِهِ قَامَتِ الدُّنْيَا فَمَنْ ذَا يُعَادِلُهُ
بِمَنْزِلَةِ الْحَتِفِ الْمُقَدَّرِ نَازِلُهُ
وَلَمْ تَعْرِفِ الْإِغْفَاءَ لَيْلًا غَوَائِلُهُ
يُنَزِّهُهُ عَنْ مُسْتَحِثِّ يُعَاجِلُهُ
فَلَا سَائِلُ ثُلَعَى لَدَيْهِ وَسَائِلُهُ
وَنَصْرِيَّةً أَنْسَابُهُ وَقَبَائِلُهُ
مُسَاجِلُهُ مَا أَسْلَفَتْهُ أَوَائِلُهُ
سَمَاءُ سَمَاحٍ لَا تُغِبُّ نَوَافِلُهُ (129)

(126) تقدّم التعريف به.

(127) خصل السباق : إحرازه وإصابته، ومخائله : علاماته.

(128) مهذلة : مسدولة.

(129) نوافله : عطاياه.

وَرَأَى بِهِ لَحْظُ الْغَزَالَةِ⁽¹³⁰⁾ مُصْبِحٌ
لِيَلْقَى الثَّنَائَا غَيْرَ مُحْتَجِبِ السَّنَا
مَالِ الْمَعَالِي مُرْتَقَى وَإِنَالَةَ
يُوسُفِ ارْتَاَحَتْ⁽¹³¹⁾ خِيُولُ جِهَادِهِ
سَوَابِقُ لِلْأَبْطَالِ بِالْعَمَلِ الَّذِي
وَتَطْمَحُ لِلْأَفْقِ الْمُنِيرِ كَأَنَّهَا
يُوسُفِ انْجَابَتْ⁽¹³²⁾ عَنِ النَّقْعِ أَوْجُهُ
هُمْ أَنْجُمٌ حَفَّتْ يُوسُفَ هَالَةً
كَأَنَّ بَعْدُو الدِّينِ طَوَّعَ انْهَزَامِهِ
يَحِيدُ عَنِ الْمَشْبُوبِ مِنْ نَارِ حَرْبِهِ
وَيُوسُفَ مَوْلَانَا قَدْ ارْتَاَحَ عِطْفُهُ
تُثِيرُ سِجَالِ الْحَرْبِ عَزَمَتُهُ الَّتِي
سَتْلِفِي وَلِيَّ الْكُفْرِ يَا نَاصِرَ الْهُدَى
وَيَسْأَلُ مِنْكَ الْعَفْوَ بَدْءًا وَعَوْدَةً
وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا عِصْمَةُ اللَّهِ أَهْدَيْتَ
يَقُولُ الَّذِي يُمْنَاكَ قَبْلَ هَذِهِ

يُعَادِيهِ مَشْغُوفاً بِهِ وَيُعَازِلُهُ
وَقَدْ رَاقَهُ مِنْ مَظْهَرِ الْمُلْكِ ءَاهِلُهُ
لَدَى مَلِكٍ عَمَّ الْبَرِيَّةَ نَائِلُهُ
إِلَى أَمْدٍ دَلَّتْ عَلَيْهِ مَحَائِلُهُ
تُحَكِّمُ فِي حِزْبِ الصَّلِيبِ عَوَامِلُهُ
تُنَازِعُهُ عَلَيْهِ وَتُنَازِلُهُ
أَنَارَتْ نَوَادِيهِ بِهِمْ وَمَحَافِلُهُ
فَلَلَهُ بَذَرٌ أَطْلَعَتْهُ مَنَازِلُهُ
يُلَوِّذُ بِجُنْدِ الصَّبْرِ وَالصَّبْرِ خَاذِلُهُ
كَمَا حَادَ عَنْ جَمْرِ الْعُضَا مُتَنَازِلُهُ
فَجَاءَتْ بِهَبَاتِ الشَّمَالِ شَمَائِلُهُ
تُبَادِرُ حِزْبَ الْمُتَقَى وَتُعَاجِلُهُ
وَرَامِحُهُ يُلْقِي السَّلَاحَ وَنَائِلُهُ
وَعَاذِرُهُ يَرْجُو رِضَاكَ وَعَاذِلُهُ
لِمُعْتَصِمٍ كَافِيهِ أَنْتَ وَكَافِلُهُ
أَنَامِلُ قَدْ جَادَتْ بِمَا أَنَا آمِلُهُ

وَقَالَ أَيْضاً يَمْدُحُهُ أَيَّدَهُ اللَّهُ وَيُشِيرُ
إِلَى طَرِيقَةِ الْقَوْمِ⁽¹³³⁾ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

إِذَا نَحْنُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ حَيِّمْنَا تَبَدَّى لِحَادِي الرُّكْبِ مِنْ خِيفَةٍ أَمْنَا

(130) الغزاة : الشمس.

(131) ارتاحت : تسابقت، والمرتاح : الخامس من خيل الحلبة.

(132) انجابت : انكشفت.

(133) القوم : هم المتصوفة، وقد كان لهم حضور كبير في غرناطة ومملكتها وكان ملوك بني نصر =

مطبعة [الجمهورية] الجديدة
الشارع الرئيسي

الإيداع القانوني رقم 1991/537

وَأِنَّا⁽¹³⁴⁾ نَصَفِّحُنَا كِتَابَ رِضَاهُمْ
وَذِكْرَاهُمْ مَا بَيْنَ غَيْبٍ وَمَشْهَدٍ
تَجَلَّتْ لَنَا أَنْوَارُهُمْ فِي ظِلَامِنَا
وَلِلَّهِ مِنَّا حَافِظُونَ لِعَهْدِهِمْ
تُقَدِّسُ عَنْ وَصْفِ الْفَنَاءِ بَقَاءُهُمْ
عُبُودِيَّةَ عَمَتْ وَخَصَّتْ عِبَادَهُمْ
وَمَا أَعْظَمَ الرَّحْمَى وَأَجْزَلَ رِفْدَهُمْ
تَنَعَّمَتِ الْأَرْوَاحُ فِي ظِلِّ رَوْضِهِمْ
وَمَنْ رَاقَهُ حُسْنُ الْمَعَانِي وَأَهْلِيهَا
وَشَأْنُ الْمُحِبِّينَ الَّذِينَ تَذَاكُرُوا
وَأَنْ يُبْلَغُوا عَنْهُمْ حَقَائِقُ لَمْ تَزَلْ
هُمْ أَوْضَحُوا سِرَّ الْهِدَايَةِ بَعْدَمَا
وَهَلْ فِيكُمْ وَالْكُونُ بِالْحَقِّ شَاهِدٌ
رَسُولُ الْهُدَى غِيثُ النَّدَى مُذْهَبُ الرَّدَى
أَلَا يَا حَلِيلِي الصَّفِيِّينَ إِنَّمَا
وُجُودٌ مَعَ الْأَشْيَاءِ قَبْلَ وُجُودِهَا
نَهِيمٌ بِهِ وَجَدًا نَلُودُ بِهِ جِمَى
إِذَا اخْتَلَفَتْ يَوْمًا مَذَاهِبُ حُبِّنَا
فَأَسْمَاعُنَا مِنْ أَجْلِهِ وَقُلُوبُنَا
وَحُجَّتُهُ فِينَا كَمَا شَاءَ هَدْيُهُ
وَكُلُّ نِظَامٍ أَوْ نِشَارٍ فَإِنَّمَا

فَحَقُّ عَلَيْنَا أَخْذُهُ بِالْيَمَنِ
شِفَاءٌ يُدَاوِينَا إِذَا مَا تَأَلَّمْنَا
فَأَيُّقُظُنَا دَاعِي الْهُدَى بَعْدَمَا نِمْنَا
إِذَا مَا حَضَرْنَا فِي الْمَعَاهِدِ أَوْ غَبْنَا
وَتَقْصِدُ أَنْ نَمْتَارَ بِالْمَقْصِدِ الْأَسْنَى
فَمَا الْطَفَ الْمَوْلَى بِكُلِّ أَمْرٍ مِنَّا
حِمَاهُمْ قَصْدَنَا دَائِمًا وَبِهِمْ لُذْنَا
فَمَا أَعَذَبَ السُّقْيَا وَمَا أَبْدَعَ السُّكْنَا
فَنَحْنُ عَيْدُ الْحُسْنِ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى
أَحَادِيثُهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا اللَّفْظَ وَالْمَعْنَى
ثُرَيْنَا طَرِيقَ الرُّشْدِ مَهْمَا تَحَقَّقْنَا
جَهْلُنَا فَمَا غَابَتْ هِدَايَتُهُمْ عَنَّا
كَمَنْ شَرَّفَ الْأَقْصَى مِنَ الْخَلْقِ وَالْأَذْنَى
هُوَ الْكَهْفُ مَا أَعْلَى وَمَا أَوْثَقَ الْمَبْنَى
حَقِيقَةُ هَذَا الْوَصْفِ مَا قَدْ تَحِيلْنَا
وَوَارِثُهَا مِنْ غَيْرِ حَصْرٍ وَلَا اسْتِثْنَا
تُؤْمَلُهُ عَطْفًا نُعْظِمُهُ رُكْنًا
عَلَيْهِ اتِّفَاقُ الْكُلِّ إِذْ نَحْنُ وَفَّقْنَا
عَلَى حُبِّهِ وَقَفْ إِذَا مَا تَقَلَّبْنَا
مُسْلَمَةً صِدْقًا مُحَقَّقَةً ظَنَّا
نُشِيرُ إِلَى آلَائِهِ الْعَذْبَةِ الْمَجْنَى

= يستدعونهم أحيانا إلى قصر الحمراء، ويشيرون على شعرائهم أن يقولوا قصائد من الشعر الصوفي

وابن فركون يعارض نونية الششتري المشهورة :

أَرَى طَالِبًا مِنَّا الزَّيَادَةَ لَا الْحُسْنَى
يَفْكَرُ رَمَى سَهْمًا فَعَدَى بِهِ عَدْنَا

(134) هي كقوله : وإن نحن.

فَكَوَّكَبَهَا الْوَقَادُ لَا يَعْرِفُ الْوَهْأَ
لِيُوسِفَ مَوْلَى سَوَّغِ الْأَمْنِ وَالْيَمْنِ
فَيُنْضِي الْحُسَامَ الْعَضْبَ وَالذَّابِلَ اللَّذْنَا
رَسُولُ تَدَانِي قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى
بِمَا فَرَضَ الدِّينَ الْحَنِيفُ وَمَا سَنَّا
نُحُورَ عِدَى تَسْتَقْبِلُ الضَّرْبَ وَالطَّعْنََا
وَلَا سَيْفَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ يَأْلَفُ الْجَفْنََا
فَهَذَا قَدْ اسْتَهْدَى وَهَذَا قَدْ اسْتَعْنَى
عَلَى ثِقَةٍ بِاللَّهِ لَا تَعْرِفُ الْوَهْأَ
فَلِلْسَبِي مَا أَبْقَى وَبِالسَّيْفِ مَنْ أَفْنَى
بِمَا شِئْتَ مِنْ لَفْظٍ كَرِيمٍ وَمِنْ مَعْنَى

وَفِي الْمَلَا الْأَعْلَى مَعَالِمُ أُشْرِقَتْ
وَحَتَّى مُنَاجَاةَ الْقُلُوبِ تَوَجَّهَتْ
أَمَّا يُوسُفُ يَدْعُوهُ دَاعِي جِهَادِهِ
تَسَامَى بِقَيْسٍ حَيْثُ أَعْلَى لَوَاءُهُ
يَقُومُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ قَائِمٌ سَيْفِهِ
مَرِيشُ السَّهَامِ الْخَزْرَجِيَّةِ مُثَبِّتِ
هُمْ الْقَوْمُ لَا فِي السَّلْمِ تُخْفَرُ ذِمَّةُ
يُفِيدُ مَرَامَ الرَّاجِيَيْنِ حِمَاهُمْ
كَذَلِكَ مَوْلَانَا الَّذِي عَزَمَانُهُ
مُقَسَّمَةٌ فِي الْمُتَلَقَّى فَتَكَائُهُ
مُحَقَّقَةٌ صِدْقُ الْخَلِيفَةِ يُوسُفُ

وَلَهُ أَيْضًا يَمْدَحُهُ أَيْدُهُ اللَّهُ

فَأَصْبَحَتِ الْأَرْجَاءُ عَاطِرَةَ الرَّيَّا
أَرَاخَتْ فُوَادًا خَافِقًا بَيْنَ جَنَبَيَا
مُطِيعًا إِذَا شَاءَتْ بِهِ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَا
تَحَمَّلْتُ مِنْ أَعْبَاءِ صَبْرِي مَا أَغْيَا
عَلَى كَبِيدِي كَالسَّهْمِ إِذْ يُحْسِنُ الرَّمْيَا
وَلَمْ أَخْشَ مِنْهُ لَا مِطَالًا وَلَا لَيًّا (135)
أَمَّا لَكُمَا أَنْ تُسْعِدَا يَا خَلِيلَيَا
تَبْدَى صَبَاحًا مُشْرِقًا مِلءَ عَيْنَيَا
بِطُلْعَتِهِ فِي أَفْقٍ قُبَيْتِهِ الْعُلْيَا
مُحْيَا الضُّحَى حَتَّى تَقْنَعَ وَاسْتَحْيَا

أَلَا بِأَبِي عَرُفَ السَّيِّمِ الَّذِي حَيَّا
أَفْدَى الصَّبَا بِالرُّوحِ رِيحًا بَلِيلَةً
وَأُسْلِمَ مِنْ قَلْبِي لِسَلْمَى وَحُكْمَهَا
وَلَا عَتَبَ أَنْ صَرَّحْتُ بِالْحُبِّ إِنِّي
وَكَمْ لَهَبٍ مِنْ جَمْرِ وَجْدِي يَرْتَمِي
فَبَعْدَ بَعَادِي جَادَ دَهْرِي بِقُرْبِهَا
وَنَادَيْتُ خَلِّي فِكْرَتِي وَتَصَبَّرِي
أَمَّا وَجْهُ مَوْلَايَ الْخَلِيفَةِ يُوسُفُ
فَمَا أَسْعَدَ الْأَيَّامَ إِنْ هِيَ طَالَعَتْ
لَقَدْ أَخْجَلَتْ سُحْبَ السَّمَاحِ وَحَاسَنْتْ

وَهَلْ يُوسُفُ وَالْحَيْلُ بِالْحَيْلِ تَلْتَقِي
وَهَلْ يُوسُفُ وَالْمَشْرِفِيَّاتُ تُنْتَضِي
وَهَلْ يُوسُفُ وَالْوَفْدُ يَرْجُوهُ مُنْعِمًا
وَهَلْ يُوسُفُ إِلَّا الَّذِي يَتْرُكُ الْعَدَى
تَشَبَّهُ بِالْجَدِّ الرَّفِيعِ (136) مَقَامُهُ
وَلِلَّهِ فِي يَوْمِ السَّلَامِ التِّفَافُ
تَجَلَّى وَأَوْصَافُ الْكَمَالِ قَدْ اقْتَضَتْ
فَلَا زِلْتَ يَا مَوْلَايَ يَا نَاصِرَ الْهُدَى
سَوَى سَابِقِ الْأَمْلَاقِ لِلْعَايَةِ الْقُصَا
عَلَى الْكُفْرِ إِلَّا عِصْمَةَ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا
سَوَى رَحْمَةٍ قَدْ عَمَّتِ الْأَرْضَ بِالسَّقَا
وَأَمْلَاكُهُمْ نِسِيًّا مِنَ الدَّهْرِ مَنَسِيًّا
فَأَعْظَمَ بِهِ عِزًّا وَأَحْسَنَ بِهِ هَدْيًا
إِلَى جُنْدِهِ يُنْسِي رَشِيدًا وَمَهْدِيًّا (137)
لِهَالَتِهِ أَنْ تُطْلِعَ الْوَجْهَ بِدَرِيَّا
تَرَى الدَّهْرَ مَأْمُورًا لَدَيْكَ وَمَنْهِيًّا

وَلَهُ فِي رَوِيَّهَا

عَبِيدُكَ يَا مَوْلَايَ يَا مَلِكَ الدُّنْيَا
وَتَنْسَجِبُ الْأَثْوَابَ حُسْنًا عَلَيْهِمْ
وَتُبْنِعُ تَجْدِيدًا وَزَائِدَ نِعْمَةٍ
يُقَبَّلُ كُلُّ مِنْهُمْ يَدَ مُنْعِمٍ
يَنَالُونَ فِي أَيَّامِكَ الرُّتَبَةَ الْعُلْيَا
كَأَزْهَارِ رَوْضٍ جَادَهَا وَكَفِ السَّقَا
تُطَوِّقُهُمْ رِفْدًا وَتُوسِعُهُمْ هَدْيًا
عَلَامَتُهُ فِي الطُّرْسِ مِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَا

وَلَهُ أَيْضًا فِي مِثْلِ ذَلِكَ

عَلَّمَ الْقَلْبَ تَجَلَّى وَظَهَرَ
وَيَحَ لُؤَامِيٍّ مَا أَجْفَاهُمْ
يَا وَجُوهًا قِيلَ فِيهَا مَثَلًا:
أُورِدُوا أَوْ أَصْدِرُوا إِنَّكُمْ
أَفْخَفَى عِلْمٌ قَدْ اشْتَهَرَ
مَا عَلَى الْعَاذِلِ لَوْ شَاءَ عَذْرُ
«مِنْكُمْ الْحُسْنُ وَمِنْ عَيْنِي النَّظَرُ» (138)
فَقَنَّ مَا بَيْنَ وَرْدٍ وَصَدْرٍ

(136) جدّ المدوح هو السلطان النصري الغني بالله.

(137) لعلّه يريد الرشيد والمهدي من بني العباس.

(138) هذا شطرٌ مضمّن من موشح مشهور لابن سهل، وصدره: ما لِقَلْبِي فِي الْهُوَى ذَنْبٌ سَوَى.
راجع هل درى ظبي الحمى..

رَأَتْ الْأَبْصَارُ شَأْنًا عَجَبًا
 مَنْ لَهُ عَنِّي سُؤَالٌ بِالْحِمَى
 أَذْمَعُ تَهْمِي وَقَلْبٌ خَافِقُ
 وَمَشُوقٌ قَائِلٌ لِمَنْ جَنَّا (139)
 إِنْ رَحَلْتُمْ أَوْ أَقَمْتُمْ فَلَنَا
 أَوْ سَقَيْتُمْ فَشَفَيْتُمْ غُلًّا
 قَابِلُوا هَذَا بِهَذَا يَتَّضِحُ
 طَالَمَا كُنْتُ أَيْيًّا حَذِرًا
 بَعِيُونَ كُلَّمَا عَايَنْتُهَا
 وَخَطِيبُ الدَّوْحِ فِي مِثْرِهِ
 وَثَنَاءُ الْمَلِكِ الْمَوْلَى الَّذِي
 نَاصِرِي مَلِكٌ أَنْظَارُهُ
 سَلَّمَتْ أُمْلَاكَ دُنْيَاهُ لَهُ
 كُلَّمَا اسْتَنْفَرَ مِنْهُمْ مَلِكًا
 أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي مَظْهَرُهُ
 يُوسُفِيُّ الصِّدِّيقِ مِنْ أَوْصَافِهِ
 جُودُ مَوْلَايَ وَحُسْنُ لَفْظِهِ (140)
 حِلْمُ مَوْلَايَ وَسَيْفُ عَزَمِهِ (140)
 فِكْرُ مَوْلَايَ وَمَا يُبْدِعُهُ
 فَعْلُو (140) قَدْرِهِ فِي مُلْكِهِ

فَهِيَ لَا يُمَكِّنُهَا رَجْعُ الْبَصَرِ
 أَصْدُقُوهُ وَافَقَ الْخَبْرُ الْخَبْرُ
 مَا لَهُ بَيْنَ ضُلُوعٍ مُسْتَقَرٍّ
 إِنْ ذَنْبَ الْحُسْنِ ذَنْبٌ مُعْتَفَرٍ
 وَطَنٌ مِنْكُمْ كَفِيلٌ بِالْوَطَرِ
 طَالَمَا جَدْنَا بِدَمْعٍ كَالْمَطَرِ
 فَضْلٌ مَنْ جَادَ وَأَجْرٌ مَنْ صَبَرَ (140)
 صَادَنِي الْحُسْنُ فَلَمْ يُغْنِ الْحَذَرَ
 تَمْنَعُ الطَّيْفَ وَتَمْنَحُ السَّهْرَ (140)
 نَظَمَ السَّحَرِ كَلَامًا وَتَنَزَّرَ
 شَأْنُهُ النَّصْرُ لِمَنْ بِهِ انْتَصَرَ (140)
 لَيْسَ لِلنَّاقِدِ فِيهَا مِنْ نَظَرٍ
 إِذْ نَهَى فِيهِمْ مُطَاعًا وَأَمَرَ
 جَاءَ لِلدَّعْوَةِ فِي خَيْرِ نَفَرٍ
 كَوَكَبُ الصُّبْحِ تَجَلَّى وَظَهَرَ
 صُورٌ مَعَوِّذَاتٍ بِالسُّورِ (140)
 دَرَرُ الْعَيْثِ وَمَنْظُومُ الدَّرَرِ
 أَمِنْ مَنْ خَافَ وَخَتَفَ مَنْ كَفَرَ
 أَفُقُ الزُّهْرِ وَمُرْفُضُ الزَّهَرِ
 حِكْمَةٌ يَجْرِي بِهَا حُكْمُ الْقَدَرِ

(139) كذا في الأصل ومثله عجز المطلع.

(140) كذا في الأصل.

وَمِنْ مُرْتَجَلَاتِهِ فِي الْمَقَامِ الْعَلِيِّ الْمَوْلَوِيِّ أَسْمَاءُ اللَّهِ

تَجَلَّى مُحَيَّاكَ الْكَرِيمُ بِهَالَةٍ مِنْ الْقُبَّةِ الْعَرَاءِ فِي أَبْدَعِ الْحُلَا
تَرَفَّعَ يَا مَوْلَايَ وَجْهَكَ عِنْدَهَا فَمَا زَادَكَ التَّرْفِيعُ إِلَّا تَهْلُلَا
فَلَمْ أَلْقِ نُورَ الشَّمْسِ إِلَّا تَمَثَّلَا وَلَا قَمَرَ الْعِلْيَاءِ إِلَّا تَخَيَّلَا
فَلَمْ أَمْلِكِ النَّفْسَ الْمَشُوقَةَ عِنْدَمَا رَأَيْتُكَ رَوْوفاً مُنْعِماً مُتَفَضِّلَا
وَلَوْلَا حَيَاتِي مِنْكَ أَلْقَيْتُ فِي الثَّرَى بَوَجْهِهِ وَلَمْ أَبْرَحْ لَدَيْكَ مُقَبِّلَا

وَفِي مِثْلِ ذَلِكَ

لِلنَّاصِرِ الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ رَغَبَتِي وَضَرَاغَتِي فِي أَنْ يُكَلِّمَ عَبْدَهُ
وَإِذَا يُشْرِفُنِي بِذَلِكَ سَاعَةً فَالْعَبْدُ فِي قَدَمَيْهِ يَبْسُطُ خَدَّهُ
أَوْ لَيْسَ هَذَا مُمَكِّناً مِنْ مُنْعِمٍ كَلَّمْتُ مَوْلَانَا أَبَاهُ وَجَدَّهُ⁽¹⁴¹⁾
يَا يُوسُفَيَّ الْوَجْهَ وَجْهَكَ مَقْصَدِي وَالْعَبْدُ يَرْجُو أَنْ يُبَلِّغَ قَصْدَهُ

وَلَهُ يَمْدُوحُهُ أَيَّدَهُ اللَّهُ مُعَارِضاً مَهياراً الدَّيْلَمِي⁽¹⁴²⁾

مَا لِلْبُدُورِ مُبِيرَةً تَوَضَّحُ تَسْمُو فَتَطْمَعُ فِي عِلَاكَ وَتَطْمَحُ
هَلَّا اهْتَدَتْ قَصْدَ السَّبِيلِ يُوسُفُ وَبِهِ مَصَابِيحُ الدُّجَى تَسْتَصْبِحُ
أَخْفَى الْأَشْيَعَةَ مِنْ مَلَامِحِ وَجْهِهِ صَبَحَ لِمَنْ بِسُعُودِهِ يَسْتَنْجِحُ
مَا أَصْدَرَ الْأُمْلَاكَ صَدْرُ الْمُتَنَدِي إِلَّا وَأَبْوَابُ السَّمَاءِ تُفْتَحُ

(141) هذا يفيد أن ابن فركون والد مؤلف هذا المجموع خدّم الغني بالله وولده يوسف الثاني.

(142) كان يوسف الثالث ممدوح الشاعر هنا معجباً بشعر مهيار وأستاذه الشريف الرضي وفي ديوانه قصائد في مجازاة طريقة الرضي ومهيار، وابن فركون يعارض في هذه القصيدة مهياراً تقرباً إلى ممدوحه ونزولاً عند رغبته.

وَالْيُوسُفِيُّ الْمُلْكُ يَدْعُو رَبَّهُ
يَحْمِي شَرِيعَتَهُ وَيَمْنَعُ دِينَهُ
نِعَمَ الْمُنَادَى يَا خَلِيفَةَ رَبِّهِ
لَمْ تَبْرَحِ الْأَمَالَ تَدْعُو أَهْلَهَا
يَهْمِي نَدَاكَ وَسُجْبُهُ مُنْهَلَةٌ
وَتَظَلُّ عَاصِفَةُ الْحُرُوبِ بِأَرْضِهِمْ
لَكِنْ إِذَا أَرْجَأَتْ عَزَمَكَ بُرْهَةً
كَالْبَحْرِ يُمَسِّكُ لُجَّهَ فَإِذَا ارْتَمَى
إِنْ رَجَحُوا يَوْمًا مُهَادَنَةَ الْعِدَى
فِي الْآخِذِ دُونَ التَّرْكِ هِمَّتِكَ الَّتِي
وَالْحَرْبُ وَالْعَزَمَاتُ مِنْ صِيفَةِ الَّذِي
وَيَقُولُ لِلْحَطِيّ طَعْنَ مُقْصِدٍ
إِلَّا التَّكْسَّرُ كُلَّمَا فَعَرَ الرَّدَى
مَنْ ذَا سِوَاكَ بِجُنْدِهِ وَبِعَزَمِهِ
أَوْ مَنْ يَسْأَلُ مُشْهَرًّا مِنْ سَيْفِهِ
إِلَّا أَبُو الْحَجَّاجِ صَادِقُ حُجَّةٍ
قَدْ فَتَّ فِي عَضْدِ الْإِفَنْتِ (143) وَحِزْبِهِ
لَا تُحْشَرُ عَزَمَتُهُ وَلَا زُعْمَاؤُهُ
مَا مِلَّةُ الْإِسْلَامِ يَسْلَمُ مُلْحِدٌ
وَإِلَى زَمَانِكَ فِي الْكِتَابِ وَعِلْمِهِ
أَنْتَى يُحَاطُ بِهِ وَكُلُّ مُحَقِّقٍ
فَالسَّابِقَاتُ لَقَدْ أَقَرَّ عُيُونَهَا

هَآ أَنتَ تَسْمَعُ وَاللَّطَائِفُ تَسْمَحُ
مِنْ أَنْ يُنَالَ وَكُلُّ نَيْلٍ يَمْنَحُ
الْفَضْلُ أَجْلَى وَالْأَدِلَّةُ أَوْضَحُ
ثُوبُوا وَعَنْ نَيْلِ الْمُنَى لَا تَبْرَحُوا
وَعَلَى الْأَعَادِي مِنْهُ نَارٌ تَلْفَحُ
تَسْفِي الثَّرَى وَدَمَ الْمُدَاجِي تَسْفَحُ
فَظُبَاكَ تَجْمَعُ كُلَّ طَاعٍ يَجْمَحُ
لَا الْبَرُّ يَسْتَعْصِي وَلَا يَتَنَزَّحُ
فَوَزَانُ رَأْيِكَ فِي جِهَادِكَ أَرْجَحُ
أَخَذَ الثَّنَايَا فَجَرَّهَا الْمُتَوَضَّحُ
يَذُرُّ الْحُسَامَ وَصَفْحُهُ لَا يَصْفَحُ
لَا يَنْثَنِي قَصْدًا وَلَا يَتَرَنَّحُ
نَجْلَاءَ بِالْذَّمِّ خَصْرُهَا يَتَوَشَّحُ
أَبْدًا يُمَسِّي نَاصِرًا وَيُصَبِّحُ
كَالْبَرْقِ يَلْمَعُ سَيْفُهُ إِذْ يَلْمَحُ
بِالصَّدْقِ يَنْطِقُ كَيْفَ شَاءَ وَيُفْصِحُ
فَتَنْ تُلُّ عُرُوشَهُ وَتُصَوِّحُ
فَالرَّأْيُ مِنْهُمْ نَادِرٌ لَا يُلْقَحُ
مِنْ بَاسِيهَا كَلًّا وَلَا مُسْتَفْتَحُ
نَصْرُ الْكَتَائِبِ مُجْمَلًا لَا يُشْرَحُ
يَكْفِيهِ مِنْ صِدْقِ الْبَاقِينَ تَلْمُحُ
مَرْمَى إِلَى الْفَتْحِ الْمُبِينِ وَمَطْمَحُ

(143) الإفنت: من الكلمة القشتالية Elinfante وقد تقدّم ذكرها والمقصود به فرناندو أخو انريك الثالث Enrique III، ونظرا لمرض هذا الأخير فقد كان الأول بوصفه وصيا على العرش يتولى أمور قشتالة، ونجد كلمة الافنت هذه أيضاً في ديوان ابن الحاج التيمري والرسائل الديوانية لهذه الحقبة.

وَالسَّابِحَاتُ وَمَنْ بِهَا لَكَ أَجْرُهَا
لَكِنْ إِذَا بَادَرْتَ أَوْ أَمَهَلْتَهَا
أَوْ يَقْتَضِي الْعَقْلُ الْحَصِيفُ قَضِيَّةً
فَمَهْلُلُ اثْنَاءَهَا وَمُسْبَحُ
فَلِمُلْكِكَ الرَّأْيُ الْأَصِيلُ الْأَرْجَحُ
فَبِكَ الْمَاعُلُ تُسْتَبَاحُ وَتُفْتَحُ

وَقَالَ يَمْدَحُهُ أَيَّدُهُ اللَّهُ بِهِذِهِ التَّوْشِيحَةُ

وَاللَّهُ مَا اغْتَلَّتِ النَّوَاسِمُ
كَلاَّ وَلَا افْتَرَّتِ الْمَبَاسِمُ
إِذَا اشْتَكَّتْ ذَاتُكَ الْكَرِيمَةَ
تَوْفَعُ فِي صَبْرِنَا هَزِيمَةَ
وَاللَّهُ مَا لِلشُّفَاءِ قِيمَةَ
كَأَنَّمَا سَاجِعُ الْحَمَائِمِ
وَالزَّهْرُ فِي الْقُضْبِ وَالْكَمَائِمِ
حَتَّى بَطَاحُ الرِّيَاضِ أُبْدَتْ
وَالْأَرْضُ فَرَشَ الرَّبِيعِ مَدَّتْ
وَالزُّهْرُ وَالزُّهْرُ قَدْ أُعِدَّتْ
لَوْ تُبْذَلُ الْأَنْفُسُ الْكَرَائِمِ
وَاحْتَفَلَ الدَّهْرُ فِي الْوَلَائِمِ
مَا خُلِقَ الرَّاحُ حِينَ تَسْرِي
بَيْنَ الشَّامِ وَرَيْقِ ثَغْرِ
إِلَّا وَفِيهَا عَلَى ابْنِ نَصْرِ
أَيَّامُهُ كُلُّهَا مَوَاسِمُ
وَقَدْ بَدَتْ لِلْهُدَى مَرَاسِمُ
أَيْدِكَ اللَّهُ مِنْ خَلِيفَةِ
سُعُودُ آفَاقِهَا مُطِيفَةُ

مَا بَيْنَ صُبْحٍ إِلَى أَصِيلٍ
إِلَّا عَلَى وَجْهِكَ الْجَمِيلِ
أَقْلُ شَيْءٍ مِنَ الْأَلَمِ
خَافِقَةُ الْبُنْدِ وَالْعَلَمِ
لَأَنَّهُ عِصْمَةُ الْأَمَمِ
عَلَى الشُّفَا يُسْمَعُ الْهَدِيلِ
لِلثَمِ يُنْمَاكَ تَسْتَمِيلِ
ثَغَرَ الْحَبَابِ الْمُقْبَلِ
عَلَى سَبِيلِ التَّجْمُلِ
لِمُجْتَنِي أَوْ لِمُجْتَلِ
لِمُلْكِكَ الْكَافِلِ الْكَفِيلِ
لَكَانَ مِنْ حَيْرِ الْقَلِيلِ
أَرْقُ مِنْ نَسْمَةِ الزَّهْرِ
وَنَعْمَةِ الطَّيْرِ فِي السَّحْرِ
عَجَائِبُ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ
وِظْلُهُ فَوْقَهَا ظَلِيلُ
وَاضِحَةُ النَّصْرِ وَالذَّلِيلُ
خَلَائِفُ الْمُلْكِ فِي يَدَيْهِ
مُلَقِيَّةُ نُورِهَا عَلَيْهِ

لَا بَرَحَتْ ذَاكَ الْمُنِيفَةُ (144) وَدَهْرُنَا نَاشِدٌ لَدَيْهِ
 دَأَتْ لَكَ السَّبْعَةُ الْأَقَالِمُ (145) وَالْبَيْتُ (146) وَالْقُدْسُ وَالْحَلِيلُ
 وَدَامَتِ الْأَنْجُمُ الْعَوَاتِمُ بَاسِطَةً كَفَّ مُسْتَنِيْلُ

وَلَأَبِي جَعْفَرِ بْنِ أَبِي حَامِدٍ بْنِ الْحَسَنِ
 النَّبَاهِي (147) يَمْدَحُهُ أَيَّدُهُ اللَّهُ

عَمْرِي لَقَدْ وَفَتِ الدُّمُوعُ الْهَمْعُ (148) لَمَّا عَفَتْ مِمَّنْ أَحَبُّ الْأَرْبُعِ
 وَالْقَلْبُ ضَاعَفَ شَجْوَهُ وَغَرَامَهُ عِنْدَ الْوَقُوفِ بِهِنَّ بَرْقُ يَلْمَعُ
 يَا بَرْقُ زُرْتُ مَعِيَ دِيَارَ أَحْيَايَ فَحَكَيْتَنِي وَصَنَعْتَ مَا أَنَا أَصْنَعُ
 أَشْبَهْتَ قَلْبِي خَافِقًا مُتَوَقِّدًا لَا يَسْتَقِرُّ جَوِّي عَلَيْهِ الْأَضْلَعُ
 تَمْضِي وَتَرْجِعُ عِنْدَهَا مُتَرَدِّدًا وَكَذَاكَ إِذْ أَمْضِي أَحْنُ فَأَرْجِعُ
 وَلَقَدْ بَكَيْتُ كَمَا بَكَيتُ بِمُعْدِي سَحَّ سَحَابُ وَدَقِهِ لَا تُقْلَعُ
 وَوَصَلْتُ سُهْدِي فِي دُجْنَةٍ بَيْنَهُمْ وَقَطَعْتَ لَيْلَكَ سَاهِرًا لَا تَهْجَعُ
 سَاعَدْتَنِي زَمَنَ الْفِرَاقِ عَلَى الْأَسَى أَفَأَنْتَ مِثْلِي بِالْفِرَاقِ مُرَوِّعُ
 فَلَأَجِلْ حَبَّهُمْ يُهَيِّجُكَ مَوْقِفِي بِرُبُوعِهِمْ وَسَيْلَ وَجْدِي تَتَّبِعُ
 فَكَأَنَّنِي لَكَ فِي آلِهَوَى مَا أَنْتَ لِي وَحْدِي شَنَا عَجَبٌ إِذَا مَا يُسْمَعُ
 وَيُرْوَقُنِي لَكَ فِي السَّمَاءِ ثَالِقُ وَتَوَقَّدُ سُجْفُ الدِّيَاغِي يَصْدَعُ

(144) المنيفة : الرفيعة.

(145) الأقاليم : الأقاليم.

(146) البيت : بيت الله الحرام بمكة المكرمة.

(147) لا نجد له ترجمة، وهو من الأسرة النباهية، وقد ورد اسم أبي جعفر أحمد ابن الحسن في ديوان البسطي أكثر من مرة وقال فيه البسطي عدداً من أشعاره، ونفهم منها أن والده أبا حامد ولي القضاء في بسطة وأن جدّه هو القاضي أبو الحسن النباهي، ولكننا لسنا متأكدين من أن المذكور في ديوان البسطي هو صاحب القصائد الواردة هنا. انظر كتابنا : البسطي آخر شعراء الأندلس (الفهرس).

(148) الهمع : المنهجرة.

حَتَّى أَقُولَ سَيُوفُ يُوسُفَ تُنْتَضَى
 مَلِكٌ بِهِ شَرَفُ الْوُجُودِ وَفَخْرُهَا
 وَهَبَاتُهُ فِي الْعَالَمِينَ أَقْلُ مَا
 وَمِنَ الْكَلَامِ فَرَائِدُ تُزْهِى بِهَا
 فَاسْتَبْشِرِ الدِّينَ الْحَنِيفُ بِنَاصِرٍ
 مَوْلَى إِذَا قَادَ الْجِيُوشَ لَعَارَةً
 مَسْرَاهُ فِي جَيْشَيْنِ مِنْ حَزْمٍ وَمِنْ
 فَإِذَا يَوْمٌ بِهَا الْعَظِيمُ أَتَاهُ مَا
 وَإِذَا دَجَا لَيْلُ الْعَجَاجِ بِمَعْرَكٍ
 وَتَرَاهُ أَكْثَرَ مَا يَكُونُ تَهْلُلًا
 وَالْبَيْضُ تُعْمَدُ فِي الْهَوَادِي وَالطَّلَى
 وَالْبَرُّ بَحْرٌ بِالنَّجِيعِ تَخُوضُهُ
 وَلَرَبَّمَا عَقَدَ الْهَوَادَةَ رَيْثَمًا
 فَهُمْ بِأَرْضِهِمْ وَدَارِ قَرَارِهِمْ
 وَصِفَاتُهُ فِي الصَّالِحَاتِ وَقَصْدُهَا
 مَوْلَايَ أَنْعَمُكَ الْبَحَارُ وَإِنَّهَا
 وَلَكُمْ أَيَادٍ جَمَّةٍ أَسْلَفْتُمْ
 وَحَيَاةَ قَلْبِي فِي ظَهِيرِ⁽¹⁵⁰⁾ عِنَايَةٍ
 وَمَعِيشَةٍ تُغْنِي وَتُرْغَدُ عِيشَتِي
 لَأَزَالَ جُودُكَ وَالرَّجَاءُ يَجُودُهُ

يُجَلِّى بِهَا لَيْلُ الضَّلَالِ وَيُدْفَعُ
 مِنْ كُلِّ مَنْ وَلِيَّ الْخِلَافَةِ أَرْفَعُ
 فِيهَا الْمَارِبُ وَالْمَطَالِبُ أَجْمَعُ
 مِنْهَا الْخَلِيفَةُ وَالْهَمَامُ الْأَرْوَعُ
 تَعْنُو لَهُ صَيْدُ الْمُلُوكِ وَتَخْضَعُ
 فَالْنَصْرُ يَدُو وَالْبَشَائِرُ تَطْلُعُ
 أَسَدٌ يَضِيقُ بِهَا الْفَضَاءُ الْأَوْسَعُ
 يَرْضَى فَلَا صَعْبٌ وَلَا مُتَمَنِّعُ
 وَبَدَا رَأَيْنَا مَا رَأَاهُ يُوشَعُ
 وَالْخَيْلُ تَمْرَحُ وَالْأَسِنَّةُ تُشْرِعُ
 وَالْهَامُ تُحْصَدُ وَالسَّوَاعِدُ تُنَزَعُ
 سَفْنُ الصَّوَّافِنِ كَالْعَوَاصِفِ تُسْرِعُ
 يَكْبِي الْعَدُوُّ بِلَادَهُ وَيُودَعُ
 وَكَأَنَّهَا مِنْهُمْ قَوَاءً بَلَقَعُ
 هِيَاتَ يَلُغُهَا الْبَلِيعُ الْمُبْدِعُ
 عَذْبٌ فَرَاتٌ لِلْبَرِّيَّةِ مَشْرِعُ
 أَسْلَافُنَا قَدَمًا بِهَا قَدْ مُتَّعُوا⁽¹⁴⁹⁾
 يُعْلِي مَكَانِي فِي الْفَخَارِ وَيَرْفَعُ
 أَشْفِي الْغَلِيلِ بِمَا تُفِيدُ وَأَنْقَعُ
 أَرْكَى مِنَ الرُّوضِ النَّضِيرِ وَأَيْنَعُ

(149) يشير إلى النباهيين الذين خدموا دولة بني نصر مثل أبي الحسن التباهي قاضي الجماعة وغيره.

(150) الظهير في الاصطلاح الإداري بالمغرب والأندلس هو صكٌ يصدر عن السلطان بتولية شخص في خطة ما أو في التوصية بالعناية به.

وَلَهُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ

لَقَدْ قَرَّ عَيْنُ الدِّينِ دُونَ مِرَاءِ
بِنَاصِرِهِ الْمَنْصُورِ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
فَكَمْ شِرْعَةً بِالْعِلْمِ أَعْلَى مَنَارِهَا
يُفِضُ عَلَى الدُّنْيَا عَوَارِفَهُ الَّتِي
وَكَم نِعْمَةً فِي الْعَالَمِينَ أَفَاضَهَا
فَلَا مُجْدِبٌ إِلَّا ائْتَى وَهُوَ مُحْصِبٌ
وَكَم تَرْحَةً قَدْ أُعْقِبَتْ بِمَسْرَةٍ
فَدُمْتُ لَنَا غَيْثًا مُغِيثًا وَمَلْجَأًا
يُوسُفُ مُحْيِي الْحَقِّ بَعْدَ عَفَاءِ
مُعَاوِدِهِ الْبُشْرَى صَبَاحَ مَسَاءِ
تَلَالًا فِي الْأَعْلَامِ لِلْبُصْرَاءِ
كَأَنَّ نَدَاهَا الْعُمَرُ غَيْثُ سَمَاءِ
تُحَقِّقُ لِلْعَافِينَ كُلَّ رَجَاءِ
كَأَنَّ ثَرَاهُ مُسْتَفِيدُ ثَرَاءِ
وَكَم شِدَّةٌ قَدْ غُوِضَتْ بِرَخَاءِ
وَمُلْكُكَ فِي نَصْرِ وَطُولِ بَقَاءِ

وَلِلشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْأَسَازِ أَبِي عُثْمَانَ الْأَلِيرِيِّ يَمْدُحُ مَقَامَهُ الْكَرِيمَ أَسْمَاهُ اللَّهُ

عُجْ بِالْمَطِيِّ عَلَى الْمَحَلِّ السَّامِ
وَإِذَا مَرَرْتَ بِحَاجِرٍ وَالْمُنْحَنِى
وَأَقْرَ (153) السَّلَامَ عَلَى ثَنِيَّاتِ اللَّوَى
وَقُلِ الْمَعْنَى بَعْدَكُمْ أَلْفَ الضَّنَا
يُمْسِي وَيُصْبِحُ فِي هَوَى وَصَبَابَةٍ
سَكْرَانُ مِنْ خَمْرِ الْهَوَى وَالْوَجْدِ لَا
وَأَنْشُدُ فَوَادَ شَجِّ حَلِيفَ غَرَامِ
وَحَلَلْتُ رَامَةً حَيْهًا بِسَلَامِ (152)
فَبِهَا أَهْيَلُ مَوَدَّتِي وَذِمَامِ
وَجَرَى عَلَيْهِ تَصَرُّفُ الْأَحْكَامِ
يَنْكِي الرُّبُوعَ بِكُلِّ دَمْعٍ هَامِ
يَنْفَكُ نَشْوَانًا بِغَيْرِ مُدَامِ

(151) هو الشيخ الفقيه العالم الخطيب المفتي أبو عثمان سعد بن يوسف بن سعد الفهري الأليري. هكذا عرّف به المجاري في برناجه وعدّه من شيوخه وذكر ما قرأ عليه من كتب في الفقه (ص 127) وورد ذكر هذا الفقيه في ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث (41، 102، 104) وقد وصف فيه مرتين بالخطيب ومرة بخطيب الحمراء، وتوجد بعض فتاويه في المعيار والحديقة.

(152) حاجر وراماة واللوى من المواقع التي يتغنّى بها في القصائد الحجازيات.

(153) كذا في الأصل، وحقه أن يقول : فاجر، لأنه مفرغ عمّا قبله.

لِلَّهِ آمَالٌ عَلَيَّ تَعَذَّرَتْ
 إِنْ جَادَ هَذَا الدَّهْرُ يَوْمًا أَوْ وَفَى
 مَا كُلُّ مَنْ يَنْغِي الْمُنَا يُعْطَى الْمُنَا
 مَنْ لَمْ يُسَاعِدْهُ الزَّمَانُ بِمَطْلَبٍ
 مَا إِنْ لَهُ إِلَّا الْخَلِيفَةُ يُوسُفُ
 جَمَعَ النَّدَى وَالْبَاسَ وَالْخُلُقَ الرُّضَا
 وَعَلَيْهِ مِنْ شَيْمِ الْمُلُوكِ مَهَابَةٌ
 كَالشَّمْسِ يُلْفَى نُورُهَا بَيْنَ الْوَرَى
 فَإِذَا تَكَلَّمَ قُلْتَ قَسُّ بِلَاغَةٍ
 وَإِذَا ابْتَرَى لِلنَّظْمِ أَعْجَزَ كُلِّ مَنْ
 اخْتَارَهُ اللَّهُ الْعَظِيمُ لِخَلْقِهِ
 تَجْرِي عَلَى كُلِّ الْوَرَى أَحْكَامُهُ
 لَنَصْرَتِ دِينَ الْحَقِّ يَا عَلَمَ الْهُدَى
 مَا أَنْتَ إِلَّا اللَّيْثُ وَالْبَطْلُ الَّذِي
 مَا أَنْتَ إِلَّا الْمَوْرِدُ الْعَذْبُ الَّذِي
 مَا أَنْتَ إِلَّا نِعْمَةُ اللَّهِ الَّتِي
 مَا أَنْتَ إِلَّا لِلْخِلَافَةِ آيَةٌ
 يَهْنِيكَ يَا عَلَمَ الْفَضَائِلِ كُلُّهَا
 مَوْلَايَ عَبْدُكَ قَدْ أَتَى مُسْتَعِظْفًا
 فِي حَاجَةٍ عَرَضَتْ لَهُ مُسْتَشْفِعًا
 فَالْعَبْدُ يَا مَوْلَايَ رَهْنُ شَفَاعَةٍ
 فَإِذَا الْبَشِيرُ أَتَى يُبَشِّرُ بِالرُّضَى
 لَأَزَالَ مَوْلَايَ الْخَلِيفَةُ يُوسُفُ
 وَلَهُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ

مِنْ بَعْدِ مَا انْقَادَتْ بِكُلِّ زِمَامٍ
 نَقَضَ الْعُهُودَ وَلَمْ يَدْنُ بِتَمَامٍ
 صَرَفَ الزَّمَانَ وَعَادَةُ الْإِيَامِ
 أَوْ عَاقَهُ عَنْ نَيْلِ بَعْضِ مَرَامٍ
 فَخَرُّ الْمُلُوكِ وَنَذْرَةُ الْإِيَامِ
 لَمْ تَجْتَمِعْ مِنْ قَبْلِهِ لِإِمَامٍ
 يَذْنُو لَهَا وَلَهَا الْمَحَلُّ السَّامِ
 وَلَهَا مِنَ الْعُلَيَّا أَعَزُّ مَقَامٍ
 تُزْرِي فَصَاحَتُهُ بِكُلِّ كَلَامٍ
 يَحْوِيهِ مِنْ شُعْرَائِهِ الْأَعْلَامِ
 وَرِئَاؤُهُ خَيْرَ خَلِيفَةٍ وَإِمَامٍ
 مَا شَاءَ مِنْ نَقْضٍ وَمِنْ إِبْرَامٍ
 وَنَظَّمْتَ سِلْكَ الْمُلْكِ أَيَّ نِظَامٍ
 لَا يَتَّخِذُ أَبَدًا عَنِ الْإِقْدَامِ
 لِلْوَارِدِينَ عَلَيْهِ جِدُّ زِحَامٍ
 شِمْلَتْ وَعَمَّتْ سَائِرَ الْخُدَامِ
 فَاللَّهُ يُمْتِعُهَا بِطُولِ دَوَامٍ
 مَا نِلْتَ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ إِكْرَامٍ
 يَرْجُو قَبُولَكَ يَا أَجَلَ إِمَامٍ
 بِأَبِيكَ خَيْرَ أَيْمَةٍ الْإِسْلَامِ
 قَدْ قَامَ مُنْتَظَرًا عَلَى الْأَقْدَامِ
 أَلْقَى عَلَيْهِ سَوَابِغَ الْإِنْعَامِ
 وَالنَّصْرُ يَصْحَبُهُ مَدَى الْأَعْوَامِ
 وَلَهُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ

كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَوَاءٌ وَلَكِنْ مَرَضُ الْإِنْتِظَارِ صَعْبُ الْعِلَاجِ

مَا لَهُ مِنْ دَوَاءٍ إِلَّا اِنْتَعَشَ
 أَوْ بِاسْعَافٍ رَغْبَةٍ مِنْ كَرِيمٍ
 نَاصِرِ الدِّينِ مُوسَى الْخَلْقِ عَدْلًا
 تُحْفَةُ الدَّهْرِ لَا تَقْسُهُ بِشَخْصٍ
 يُبْلِغُ النَّفْسَ مِنْ هَوَاهَا رِضَاهَا
 يُبْصِرُ الْمُشْكِلَاتِ مِنْ خَلْفِ سِتْرِ
 وَرَثَ الْمَجْدِ عَنْ رِجَالِ كِرَامٍ
 أَحْلَمُ النَّاسِ ثُمَّ إِنَّ بَانَ ظُلْمٌ
 دَفَعَ إِلَيْهِ ظُلْمَةَ الظُّلَمِ عَنَّا
 نَحْنُ فِي غِبْطَةٍ بِهِ وَسُرُورٍ
 يَا إِمَامَ النَّدَى وَبَحَرَ الْعَطَايَا
 عِنْدَ بِاسْعَافِ رُغْبَتِي ثُمَّ أَنْجِزْ
 دُمْتَ فِي نِعْمَةٍ وَفِي خَفْضِ عَيْشٍ

بِقَضَائِهِ لِحَاجَةِ الْمُحْتَاجِ
 كَالْإِمَامِ الرُّضَى أَبِي الْحَجَّاجِ
 مُوضِحِ الثُّورِ فِي آلِيَالِي الدِّيَاجِ - ي
 بَحْرُ جُودٍ يَهِيْمُ فِي أَمْوَاجِ
 وَيُنِيلُ الْمُنَى عَلَى اسْتِذْرَاجِ
 وَيَرَاهَا مَعَ الظَّلَامِ الدَّجِ - ي
 فَجَرَى فِي الْوَفَا عَلَى مِنْهَاجِ
 ظَهَرَتْ مِنْهُ سَطْوَةُ الْحَجَّاجِ
 بِسِرَاجِ الْمُلُوكِ أَيْ سِرَاجِ
 وَأَمَانٍ وَنِعْمَةٍ وَابْتِهَاجِ
 يَا عِمَادِي وَيَا رَجَاءَ الرَّاجِ - ي
 فَبِإِنْجَازِهَا صِلَاحُ مِزَاجِ - ي
 مَا جَلَى الصُّبْحُ كُلَّ لَيْلٍ دَاجِ

وَلِلْقَائِدِ الْمُرْفَعِ أَبِي يَحْيَى ابْنِ الْوَزِيرِ الرَّئِيسِ
 الْمَكِينِ أَبِي بَكْرٍ بَنِ عَاصِمٍ وَصَلَّ اللَّهُ عِزَّتَهُ
 يَمْدُحُ الْمَقَامَ الْعَلِيِّ الْمَوْلَوِي أَسْمَاهُ اللَّهُ

أَسْهَرَنِي الْوَجْدُ وَطُولُ الْغَرَامِ
 وَأَقْصَرَ الْعَازِلُ لَمَّا رَأَى
 وَبَانَ بِالْذَّمِّ خَفِيُّ الْهَوَى
 وَصَارَ بَعْدَ الْخَفْضِ مَوْصُولُهُ
 وَأَهْيَفُ كَالْغُصْنِ ذِي غُرَّةٍ
 كَأَنَّهُ الشَّمْسُ إِذَا مَا بَدَا

فَمَا عَرَفْتُ النَّوْمَ إِلَّا لِمَامٍ
 أَنْ لَيْسَ يُجْدِي فِي هَوَاكَ الْمَلَامُ
 وَخَانَ بِالسُّهْدِ وَفِي الْمَنَامِ
 مُرْتَفِعًا فَكَيْفَ لِي أَنْ أُنَامَ
 كَالْبَدْرِ قَدْ تَوَجَّحَ جَنَحَ الظَّلَامِ
 فِي الْحُسْنِ وَالثُّورِ وَبُعْدِ الْمَرَامِ

إِذَا دَنَا كَانَتْ حَيَاتِي بِهِ
كَأَنَّهُ مِنْ حُسْنِهِ دُرَّةٌ
يَسْبِي الْوَرَى مَهْمَا رَنَا وَانْتَسَى
أَقُولُ لِلْعَاذِلِ فِي حُبِّهِ
كَأَنَّ مَنْ يَعْذُلُ فِي حُسْنِهِ
كَأَنَّمَا جَمَالُهُ لِلنُّهَى
كَأَنَّمَا كَلَامُهُ جَوْهَرٌ
أَوْ كَفَّ مَوْلَايَ ابْنِ نَصْرِ جَرَتْ
نَاصِرُ دِينَ اللَّهِ مُحْيِي الْهُدَى
وَمَنْ إِذَا عُدَّ مُلُوكُ الْوَرَى
وَمَنْ بَعْلِيَا مُلْكِهِ أَصْبَحَتْ
مِنْ صِفْوَةِ الْأَنْصَارِ مَنْ مِثْلُهُمْ
هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا أَوَّلًا
وَهُمْ حَمَوُهُ عَاجِرًا بَعْدَمَا
يَا قَاتِلَ الْأَسَدِ لَدَى الْمُلتَقَى
شَرَفَتْ مَمْلُوكًا غَدَا قَلْبُهُ
هَا أَنَا قَدْ نَلْتُ جَمِيعَ الْمُنَى
وَقَدْ دَعَا لِي مَوْلَايَ دَعْوَةً
حَسْبِي بِهَا عِزًّا ضَفَا تَوْبُهُ
وَنَصُّهَا أَنْ يُحْسِنَ اللَّهُ لِي
الْمَلِكِ الْأَسْمَى الْكَرِيمِ الرُّضَى
مَنْ مِثْلُهُ لِنَثْرِ شَمْلِ الْعِدَى
مَنْ مِثْلُهُ مُجْمَعًا لِلنَّشَا

وَأَنْ نَأَى عَنِّي فَهُوَ الْحِمَامُ
أَوْ مِسْكَةً لِلْحُسْنِ مِنْهَا خِتَامُ
بِصَارِمِ اللَّحْظِ وَلَذِنِ الْقَوَامِ
هَيْهَاتَ لَا يُنْسَخُ حُكْمُ الْعَرَامِ
يَرُومُ يُخْفِي الْبَدْرَ عِنْدَ التَّمَامِ
أَبْدَى اعْتِدَارَ الْعَاشِقِ الْمُسْتَهَامِ
مُنْتَشِرٌ مِنْ شِبْهِ سِمْطِي نِظَامِ
بِالْفِذِّ مِنْ أَنْعُمِهَا وَالثَّوَامِ (155)
مَنْ رَأَيْتُهُ لِكُلِّ أَمْرٍ قِوَامُ
فَهُوَ لَهُمْ فِي كُلِّ فَضْلِ إِمَامُ
غَرْنَاطَةَ تَفُوقُ دَارَ السَّلَامِ (156)
لِيَوْمِ جُودٍ أَوْ لِيَوْمِ انْتِقَامِ
دِينَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ
قَدْ كَادَ سَامِي عِزِّهِ أَنْ يُضَامَ
وَمُخْجَلِ الْبَحْرِ نَدَى وَالْعَمَامِ
مُقْتَسَمًا بَيْنَ عُلاكَ أَقْتِسَامِ
وَتَعْرِ دَهْرِي غَدَا فِي ابْتِسَامِ
فَحَقَّ لِي الْفَخْرُ بِهَا فِي الْأَنَامِ
الْيَسْنَى الْجَاهُ لِيَوْمِ الْقِيَامِ
قُلْتُ عَلَى يَدَيَّ إِمَامَ الْكَرَامِ
الْبَاسِلِ الْأَحْمَى الْكَبِيرِ الْهُمَامِ
وَنَظْمِ شَمْلِ الدِّينِ حَتَّى اسْتَقَامِ
مُفَرَّقًا لِلْعَارِفَاتِ الْجِسَامِ

(155) الفذ : الفرد، والثَّوَام : الزَّوج.

(156) دار السلام : بغداد.

مَهْمَا تَلَقَّاهُ لَقِيَتْ الْعُلَى وَالشَّمْسُ تَبْدُو وَالْحَيَا فِي انْسِجَامٍ
كَأَنَّهَا الْمُلْكُ لَهُ هَالَةٌ وَهُوَ لَهَا لَأَشْكُ بَذْرُ التَّمَامِ
أَخْطَأَ مَنْ قَاسَ بِهِ غَيْرَهُ إِنَّ عَمَّ جُوداً أَوْ سَطَا بِالْحُسَامِ
أَدَامَهُ اللَّهُ لِنَظْمِ الْعُلَى مُؤَيَّدَ الْعَزْمِ رَفِيعَ الْمَقَامِ
مَا هَيَّجَ الْعُشَّاقَ بَرَقَ الْحَمَى وَمَا شَدَّتْ فِي الرُّوضِ وَرُقُ الْحَمَامِ

وَلَهُ أَيْضاً فِي مَدْحِهِ أَيَّدَ اللَّهُ أَمْرَهُ وَأَعْلَى ذِكْرَهُ

نَامَتْ وَأَوْدَعَتْ الْجُفُونَ سُهَادَهَا مَنْ قَدْ غَدَتْ شُهْبُ السَّمَاءِ حُسَادَهَا
سَلَبَتْ مَنَامَ الْعَيْنِ حِينَ تَوَهَّمَتْ أَنَّ الْحَيَالَ لَدَى الْكَرَى قَدْ عَادَهَا
فَبِحُبِّهَا اكْتَنَفَ الْعَرَامُ قُلُوبَنَا وَتَحَمَّلَتْ مِنْ ثِقَلِهِ مَا آدَهَا
فَتَبَّيْتُ خَوْفَ صُدُودِهَا وَشُرُودِهَا وَكَأَنَّ مِنْ شَوْكِ الْقَتَادِ مِهَادَهَا
تَرْنُو إِلَيَّ بِبَاتِرٍ مِنْ طَرْفِهَا وَتَهْزُ مِنْ لَيْنِ الْقَوَامِ صِعَادَهَا (157)
نَفْسِي الْفِدَاءُ لَهَا غَدَاةَ لِقَائِهَا وَقَدْ أَطْلَعَتْ تَحْتَ الدُّجَى أَضْدَادَهَا
وَتَبَسَّمَتْ عَنْ رِيْقَةٍ فِي لَوْلُؤٍ يَا مَا أَلَذَّ بِيَعْلَتِي إِيرَادَهَا
بِتَنَا نُقْصِرُ لَيْلَنَا وَنُطِيلُ مِنْ نَجْوَى أَحَادِيثِ الْهَوَى إِسْنَادَهَا
خَوْدُ أَعَارِئِهَا الْغَزَالَةُ حُسْنَهَا وَكَذَا الْغَزَالَةُ نُورَهَا وَبِعَادَهَا (158)
يَا حَادِي الرُّكْبَانِ مَا لَكَ وَالسُّرَى عَرَّجَ بِهَا فَلَكُمْ أَطْلَتْ سُهَادَهَا
وَاقْصِدْ بِهَا مَوْلَى الْخَلَائِفِ يُوسُفَاً قُطِبَ الْمَكَارِمِ أُسَّهَا وَعِمَادَهَا
وَرِدَ النَّمِيرَ وَدَغْ سِوَاكَ يَرِدُ بِهَا وَشَلَّ الْمَنَاهِلِ قَانِعَاً وَثِمَادَهَا (159)
مَلِكٌ عَلَى ثَقْوَى الْإِلَهِ بِجُودِهِ أَعْلَى رُسُومِ الْمَكْرُمَاتِ وَشَادَهَا

(157) صعاد : جمع صَعْدَة، وهي القناة المستقيمة.

(158) الغزالة الأولى الطيبة، والغزالة الثانية الشمس.

(159) الوشل : الماء القليل، والثمد جمع ثمد وهو الماء القليل كذلك.

كَالْعَيْثِ إِذْ يَهْمِي بِدَرٍّ نَافِعٍ
كَالْمَشْرِفِي مَضَاوُهُ لَكِنَّهُ
مَا نَظَّمَتْ أَرْمَاحُهُ أَجْسَامَهَا
وَإِذَا تَحُلُّ بِهِ ثُوْمُلُ جُودِهِ
فَتَعُدُّهُ يَوْمَ السَّمَاحَةِ حَاتِمًا
وَيُزِيكَ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى وَهَاجَهَا
فَإِذَا تَفَاخَرَتِ الْمُلُوكُ بِمَجْدِهَا
وَإِذَا تَذَاكَرَتِ الْمُلُوكُ خِلَالَهَا
مَنْ كَابِنٍ نَصْرٍ فِي الْمُلُوكِ جَلَالَةً
مَنْ كَابِنٍ نَصْرٍ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْحِجَى
مَنْ كَابِنٍ نَصْرٍ يَوْمَ مُشْتَبِكِ الْقَنَا
مَنْ ذَا يُدَانِي قُدْرَهُ وَهُوَ الَّذِي
مَنْ ذَا يُضَاهِي جُودَهُ وَهُوَ الَّذِي
مَنْ آلِ نَصْرٍ نَاصِرِي دِينِ الْهُدَى
مَنْ مِثْلُهُمْ فِي الْعَالَمِينَ جَلَالَةً
فِيَّةٌ تَوَارَثَتِ الْكَمَالَ وَيُوسُفُ
زَادَتْ قُلُوبُ الْخَلْقِ فِيكَ مَحَبَّةً
وَسَلَكْتَ لِأَحَبِّ عَدْلِهَا وَأَبْنَتَهُ
وَأَنْزَرْتَ بِالسُّمْرِ الطُّوَالَ دُجُونَهَا
وَمَلَكْتَ وَصَفَ عَلَائِهَا وَسَخَائِهَا
فَبِئَاسٍ سَيْفِكَ أُمْنَتْ فَلَوَائِهَا
مَا قَدَمْتُكَ وَيَمَمْتُكَ مُلُوكُهَا
وِإِمَامَها وَهُمَامَها وَغَمَامَها
مَا أَمَّ كَفَّكَ مُعْتَفٍ أُوْرَادَها

لَكِنْ يُعْمُ سُهُولَها وَنَجَادَها
أَبَدًا تَرَاهُ مُجَدَّلًا آسَادَها
إِلَّا لِيَنْشُرَ سَيْفُهُ أَجْسَادَها
بَلَّغْتَ نَفْسَكَ مِنْ مُنَاكَ مُرَادَها
وَتَرَاهُ فِي يَوْمِ الْوَعَى مِقْدَادَها⁽¹⁶⁰⁾
وَمِنْ الرِّصَانَةِ وَالْحِجَى أَطَوَادَها
أَبَدَى صِفَاتِ كَمَالِهِ وَأَعَادَها
جَعَلْتَ بِهِ فِي قَوْلِهَا اسْتِشْهَادَها
أَلَقْتَ إِلَيْهِ الْمَكْرُمَاتِ قِيَادَها
يَحْمِي حِمَاها أَوْ يُبَيِّنُ رَشَادَها
يَكْفِي عِدَاها أَوْ يَكْفُ عِنَادَها
أَجْرَى الْجِيَادِ إِلَى الْجِهَادِ وَقَادَها
مَنَحَ الْوُفُودَ الْمُعْتَفِينَ مُرَادَها
وَالْحَائِزِينَ مِنَ الْعُلَى آمَادَها
رَفَعْتَ عَلَى أَوْجِ السَّمَاءِ عِمَادَها
أَرْبَى عَلَيْهَا فِي الْخِلَالِ وَسَادَها
لَمَّا ثَنَيْتَ إِلَى الْجِهَادِ جِيَادَها
وَأَنْلَتِ أُمَّةَ أَحْمَدٍ إِرْشَادَها
وَجَلَوْتَ بِالْبَيْضِ الْقِصَارِ سَوَادَها
وَطَرِيفَ حَلِيَّةِ مَجْدِها وَتِلَادَها
وَبَبْتُ سَيْبِكَ أُمْلَتْ إِسْعَادَها
إِلَّا وَكُنْتَ مَلَاذَها وَعَتَادَها
وَحَلِيمَها وَكَرِيمَها وَجَوَادَها
إِلَّا جَعَلْتَ غِنَاءَهُ أُوْرَادَها

(160) هو المقداد بن الأسود الصحابي الجليل والفارس المشهور.

وَلِذَا أَحَادِيثُ النَّدى مَرْوِيَّةٌ
يَا مَنْ بِجُودِ يَمِينِهِ وَحُسَامِهَا
شُكْرًا لِمَا أُؤَلِّتَنِي مِنْ نِعْمَةٍ
طَوَّقْتَنِي مِنْ جُودِكَ الْمَنَنِ الَّتِي
الْبَسْتَنِي ثَوْبَ احْتِرَامِكَ ضَافِيًا
أَرْكَبْتَنِي طَرْفَ الْعِنَايَةِ سَابِقًا
فَاسْلَمْ لِدِينٍ قَدْ حَفِظْتَ نِظَامَهُ
عَنْ كَفِّهِ قَدْ صَحَّحُوا إِسْنَادَهَا
أَغْنَى الْعُفَاةَ كَمَا الْعُدَاةُ أَبَادَهَا
ظَهَرَتْ عَلَيَّ فَأَرْغَمْتُ حُسَادَهَا
أَعَيْتُ قُؤَايَ فَلَمْ أُطِقْ تَعْدَادَهَا
فَأَنَالَني حُسْنَ الْحُلَى وَأَفَادَهَا
فَأَجَلْتُ مِنْ غُرْرِ الْمَدِيحِ جِيَادَهَا
وَلَأُمَّةٍ وَقَفْتُ عَلَيْكَ مُرَادَهَا

وَلِلْفَقِيهِ الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ حَاتِمٍ (161)
يَمْدَحُ مَقَامَهُ الْكَرِيمَ أَسْمَاهُ اللَّهُ

أَهْلَ بَدْرًا فَالْدَّهْرُ مُبْتَسِمٌ
مَنْ نَاطِرٌ عَنْ بَصِيرَةٍ فَيَرَى
يَا زَمَنًا دَوْلَةَ الرُّضَى ظَهَرَتْ
كُنْتَ بِهَا عَنْ غِنَى ثُمَاطِلُنَا
أَقُولُ لِلطَّارِقِ الْمُبَشِّرِ مِنْ
أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا بَفَتَى
الْقَيْتِ مِنْ يُوسُفٍ قَمِيصَ هُدَى
أَدْرَتْ كَأْسَ السُّرُورِ مُزْرِيَّةً
فَقَدْ شَرِبْنَا وَهَزَّنَا طَرْبٌ
مِنْ عَجَبٍ وَالْهَلَالُ مُحْتَشِمٌ
دُرَّ السَّعَادَاتِ كَيْفَ يَنْتَظِمُ
فِيهِ لَنَا بَعْدَ حَرْبِكَ السَّلَامُ
أَنْصَفَ مِنْكَ الْمُطَالِبُ الْحَكَمُ
صَوْتِكَ هَذَا اسْتَفِيدَتِ النَّعَمُ
يَهْتَفُ بِالْقَوْلِ كُلُّهُ نَعَمُ
تَقَرُّ مِنْ فَرْطِ نُورِهِ الظُّلَمُ
عَلَى مُدَامٍ يَشُوبُهَا النَّدَمُ
فِيهِ رَأَيْنَا الْحُلُومَ تَحْتَصِمُ

(161) هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن حاتم العاملي المالقي، كان أديبا بارعا وشاعرا مفلحا وفقها متمكنا، ولى قضاء جبل طارق وامتحن خلال الأزمة التي وقعت بين المرينيين والنصرين بسبب جبل طارق واعتقل بمدينة فاس، ذكر له ابن فركون في ديوانه قصيدة يخاطبه فيها وروى عنه ابن الأزرقي في روضة الاعلام حكاية لطيفة وبيتين من شعره. وابن حاتم هذا هو صاحب مقامة «حضرة الارتياح، المغنية عن الراح» وقصيدة «أنجم السياسة» وكلتاها منشورتان، كما أنه ألف وهو في السجن كتابا سماه: «جمع المقال، في الاعتقال»، راجع مقدمتنا لديوان ابن فركون ص 73.

فَاسْتَبَقْ يَا أَيُّهَا الْبَشِيرُ وَخُذْ
مَا مُصْحَرٌ نَامَ عَنْ مَطِيئِهِ
فَعِنْدَمَا هَبَّ لَمْ يَجِدْ أَثَرًا
فَظَلَّ وَسَطَ الْفَلَاقَةِ مُضْطَجِعًا
وَعَاوَدَتْهُ لِحَزْنِهِ سِنَةٌ
فَلَمْ يَرْغُهُ إِلَّا مَطِيئُهُ
بِأَوْجَدِ الْيَوْمِ لِلْمَسْرَةِ مِنْ
أَكْرَمِ بِهَا دَوْلَةَ السَّعَادَةِ لَا
أَكْرَمِ بِهَا دَوْلَةَ الْمَعَارِفِ إِذْ
أَكْرَمِ بِهَا دَوْلَةَ الْمَكَارِمِ إِذْ
أَكْرَمِ بِهَا دَوْلَةَ الْمَهَابَةِ لَا
أَكْرَمِ بِهَا دَوْلَةَ التَّرَاحُمِ لَا
تَشْمَلُ الطَّافُهَا رَعِيَّتُهَا
كَمْ وَعَدْتَنِي مَنَى الْمَنَامِ بِهَا
مَنْ كَابَدَ الصَّبْرَ فِي شِدَائِدِهِ
أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ
مَا جُدَّدَ الْمُلْكُ وَهُوَ مُثْلِمٌ
مَوْلَايَ أَنْتَ الَّذِي اصْطَفَاكَ لَهَا
لَكَ الْعِنَايَاتُ فِي السَّمَاءِ بِهَا
وَالدِّينَ فَانْصُرْ فَأَنْتَ نَاصِرُهُ
إِنْ أَصْبَحَ الْكُفْرُ فَاعِزًّا فَمَهْ
وَإِنْ بَكَى الثَّغْرُ فَقَدْ حَارِسِهِ
أَوْ أَوْقَدُوا نَارَهَا بِبُورِكَ لَا
لَيْسَ اتِّفَاقًا سَمَوُهُ يُوسُفَ بَلْ

مَا شِئْتَ مِنَّا إِنْ كُنْتَ تَحْتَكِمُ
وَهُوَ ضَنَى لَا تُثْقِلُهُ قَدَمُ
لَهَا فَنَادَى وَجُودُهُ الْعَدَمُ
لَهُ إِلَى الْمَوْتِ نَظَرَةٌ أَمَمُ
وَالنَّوْمُ عَيْنَ الْحَزِينِ يَفْتَحِمُ
تَمَسُّ أَرْكَانَهُ وَتَسْتَلِمُ
قَلْبِي مَهْمَا تَحَدَّثُوا بِهِمْ
يُعْتَاضُ فِيهَا عَنْ صِحَّةِ سَقَمُ
تَصْدُرُ عَنْهَا الْعُلُومُ وَالْحِكَمُ
تَعْظُمُ مِنْهَا الْحُظُوظُ وَالْقِسَمُ
يَطْرُقُهَا لِلْعَادَةِ مُنْتَقِمُ
يَقْطَعُ مِنْهَا الرَّجَاءَ مُجْتَرِمُ
كَأَنَّ كُلَّ الْوَرَى لَهَا خَدَمُ
حَتَّى وَفَى بِالْحَقِيقَةِ الْحُلَمُ
ظَلَّ مِنَ الشَّامِتِينَ يَنْتَقِمُ
لَيْسَ سِوَاهُ لِمُومِنٍ قَسَمُ
إِلَّا لِيَنْسُدَّ ذَلِكَ الثَّلَمُ
مَوْلَاكَ فَاشْكُرْ فَأَنْتَ مُحْتَرَمُ
تُطِيعُ فِي الْأَرْضِ أَمْرَكَ الْأَمَمُ
فَطَالَمَا ظَلَّ وَهُوَ مُهْتَزَّمُ
فَلَيْسَ إِلَّا الْحِجَارَ يَلْتَقِمُ
فَالآنَ فَانْظُرْهُ حِينَ يَنْتَسِمُ
يَبْقَى لَهَا مَوْقِدٌ وَلَا ضَرَمُ (162)
لَأَنَّهُ بِالْجَمَالِ مُتَسِمُ

(162) الضَّرَمُ: الحطَب يرمى به في النَّارِ.

وَلَا سِمَاتُ الْجَمَالِ قَاصِرَةٌ
فَحَظُّنَا مِنْ جَمَالِهِ نَعَمٌ
(164) مِنْ ذُؤَابَتِهِ
حَسْبُكَ يُنْمَأُ بِأَنَّ مِنْهُ لَهُ
مَوْلَايَ هَذِي وَصِيفَةٌ وَقَفْتُ
وَكَيْفَ لَا وَهِيَ فِي ذَرَى مَلِكٍ
وَلَيْسَ لِلْبَدْرِ فِي السُّهَى أَرْبٌ
لَكِنْ فَرَطَ السُّرُورِ هَزَّ يَدِي
إِنْ كَانَ عَدْلًا أَنْ يَخْتَفِيَ كَلِمِي
تِلْكَ سَمَاءُ السَّمَاحِ قَدْ بُنِيَتْ
وَلِلرَّبِّ مِنْهُ عَارِضٌ غَدِيقٌ
بِالْمَلِكِ النَّاصِرِ انتصرتُ عَلَى
طَاعَتِهِ عِصْمَةٌ وَدَوْلَتُهُ

عَلَى الْهَيُولَى (163) بَلْ أَمْرُهَا عَمَمٌ
وَلِلْعَدَى مِنْ جَلَالِهِ نَقَمٌ
أَرْبَعَةٌ وَهُوَ خَامِسٌ لَهُمْ
عُودَةٌ عَيْنِ الْحُسَّادِ لَا عَدِمُوا
وَفِي الْمُحْيَا مِنَ الْحَيَاءِ دَمٌ
حَرَائِرُ الشُّعْرِ عِنْدَهُ خَدَمٌ
وَلَا عَلَى الطَّلِّ تَحْرِصُ الدَّيَمُ
وَكَانَ فِيهَا فَهَيْنٌ (165) الْقَلَمُ
فَلَيْسَ جَوْرًا أَنْ يَظْهَرَ الْكَرَمُ
بِأَيْدٍ مَجْدٍ فَالْعَيْثُ مُنْسَجِمٌ
وَقَدْ تُغَاثُ الضَّرَابُ وَالْأَكَمُ (166)
دَهْرٌ يُلُوكُ الْمُنَى وَيَلْتَقِمُ
أَمْنٌ وَعُلْيَا مَقَامِهِ حَرَمٌ

وَرَفَعَ أَيْضًا لِمَقَامِهِ الْكَرِيمِ أَسْمَاءُ اللَّهِ (167)

مَدَّدُ الْبَحْرِ لِلْجَدَاوِلِ فَاضًا
إِنَّ أَرْضَ السُّرُورِ كَانَتْ مَوَاتًا
مَلِكٌ جَدَّ فِي مِلَاكِ أَخِيهِ
إِنَّ يَوْمًا تَأَسَّسَ الْعُقْدُ فِيهِ

فَتَنَاهَى عَلاؤُهُ وَاسْتَفَاضَا
مِنْهُ يَسْتَنْبِطُ النَّهَارُ الْبَيَاضَا

(163) الهیولی : المادة الأولى.

(164) بیاض فی الأصل.

(165) فَهَيْنٌ : أخفی کلامه، ولعل الصواب : فهيم.

(166) الأكَم جمع أكمة وهي التل والضراب والضارب : الأرض المطمئنة.

(167) قيلت هذه القصيدة بمناسبة احتفال السلطان يوسف الثالث بإملاك أحد إخوته.

لَيْسَ بِدَعَا عَنْ يُوسُفَ أَنْ تَرَاهُ
هُوَ أَجْرَى لَهُمْ عُيُونَ التَّحَفِي
رَحِمَ ظَلَّ بِاتِّبَاعِ رِضَاهَا
لَيْسَ إِلَّا بِصِحَّةِ الْقَصْدِ مِنْهُ
يَا إِمَامَ الزَّمَانِ إِنَّا افْتَرَضْنَا
هَبَكَ أَنَّ الْخُمُولَ عَنْهُ ثَنَانِي
قَادَ لِلْإِخْوَةِ الْأَمَانِي وَرَاضَا
بَعْدَمَا كَانَ فَيْضُهَا قَدْ غَاضَا
لِلرَّضَى مِنَ الْإِلَهِ مُعْتَاضَا
زَارَتْ الصِّحَّةُ النَّفْسَ الْمَرَاضَا
شَكَرَ ذَاكَ الصَّنِيعِ مِنْكَ افْتِرَاضَا
إِنَّ لِي بِالْهَوَى إِلَيْهِ اتِّهَاضَا

وَرَفَعَ لِمَقَامِهِ الْعَلِيِّ أَسْمَاهُ اللَّهُ الْفَقِيهُ الْعَدْلُ أَبُو جَعْفَرٍ الْعُرَيْبِيُّ (168)

أَمِنْ بَارِقٍ قَدْ لَاحَ بَيْنَ النَّوَاسِمِ
فَأُبْدَيْتَ وَجْداً كُنْتُ تُخْفِيهِ مُدَّةً
وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْبَيْنِ تَهْوَى وَتَدَّعِي
نَعَمْ بَانَ لِلْأَفْهَامِ أَنِّي هَائِمٌ
حَنَنْتُ لِأَلْفِ مُصْعِدٍ (169) غَيْرِ مُسْعِدٍ
مَضَى مُعْرِضاً وَاللَّيْلُ قَدْ مَدَّ ذَيْلَهُ
لِي آلَهُ لَا أُنْسَى عَلَى الْبَيْنِ مَوْقِفاً
بِمَعَالِمٍ بَيْنَ الرَّفْعَتَيْنِ جَنَى بِهَا
فَكَمْ لِي فِيهَا مِنْ حَنِينٍ مُبْرَحٍ
فَلِلَّهِ أَشْوَاقِي بِهَا حِينَ آذَنْتُ
وَمَا وَدَّعْتُ بَلْ أَوْدَعْتُ بِجَوَانِحِي
فَأَمْسَيْتُ فِي بَحْرِ مِنَ الدَّمْعِ سَاجِمِ
تَذَكَّرْتُ حُسْنَ الْعَاطِرَاتِ الْبَوَاسِمِ
مَخَافَةَ وَاشٍ أَوْ مَلَامَةٍ لَائِمِ
بِأَنَّكَ سَالٍ عَنْ هَوَى أُمِّ سَالِمِ
وَجَفَنِي هَامٍ بِالْذُّمُوعِ السَّوَاجِمِ
وَهَمْتُ بِرَكْبِ رَاحِلٍ غَيْرِ رَاجِمِ
عَلَى كُلِّ مَمْدُودِ الطُّلَى وَالْقَوَائِمِ
وَقَفْتُ بِهِ مَا بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ
جَنَانِي عَذَاباً مِنْ عَذَابِ الْمَبَاسِمِ
يُنْسِي حَنِينَ الْعَاطِفَاتِ الرِّوَائِمِ
بِفُرْقَتِنَا أَيْدِي الْمَطِيِّ الرِّوَاسِمِ
جَوَى جَائِلاً بَيْنَ الْحَشَا وَالْحَيَازِمِ (170)
وَأُضْحِيتُ فِي جَمْرِ مِنَ الشَّوْقِ جَاجِمِ

(168) ورد ذكره في ثبت البلوى الوادي آشي ووصف فيه بالخطيب التحوي بينما نعت هنا بالفقيه العدل، ولم أجد له ذكراً في مكان آخر. انظر ثبت البلوى الوادي آشي : 216.

(169) في الأصل : مسعد، ولعل الصواب ما أثبتنا. والمصعد : الراحل.

(170) الحيازيم والحيازيم جمع حيزوم، وهو وسط الصدر وما يضم عليه الحزام.

أَسَايِرُ فِي أَطْلَالِهَا كُلِّ هَائِمٍ
وَأَوْدِعُ شَكْوَايَ الصَّبَا كُلَّمَا صَبَا
وَلَمَّا خَلَا رُبْعٌ وَأَقْفَرَ مَعْهَدُ
إِذَا السَّعْدُ قَدْ أَضْحَى يُدِيرُ بِرَاحَةٍ
فَكَمْ مِنْ لَيْالٍ كَالْآلِي قَطَعْتُهَا
لَيْالٍ أُدِيلْتُ بِالنَّوَى وَلَطَّالَمَا
لَبَسْتُ رِدَاءَ مَنْ دَجَى اللَّيْلِ سَابِغاً
إِلَى أَنْ تَخَطَّيْتُ الرَّحَالَ وَقَدْ غَفَّتْ
وَرُمْتُ الْمُنَى مِنْهَا وَمَنْ لِي بِنَيْلِهِ
وَعَرَبُ حَوَامٍ مُخْدِقُونَ بِثَغْرِهَا
وَبِالْقَبَةِ الْحَمْرَاءِ بَيضَاءُ إِنْ بَدَتْ
تُوجُ بِنَعْمَانٍ مِنَ الرَّدْفِ مُفْطِرٍ
وَتَهْتَرُ عَنْ غُصْنٍ مِنَ الْقَدِّ بَاسِقٍ
وَتَرْنُو بِفَتَاكِ مِنَ الْجَفْنِ نَاعِسٍ
وَتَحْكِي بَرِيَّاهَا الذَّكِيَّ نَوَافِحاً
وَالْأَثْنَاءَ النَّاصِرِ الْمَلِكِ الَّذِي
مَلِكُ عَزِيزِ الذَّاتِ سَامٍ مُرَوِّعٍ
إِذَا لَاحَ بَرَقُ الْبَشْرِ فِي صَفْحَاتِهِ
وَمَهْمَا اعْتَرَى خَطْبٌ بَدَتْ مِنْهُ أَنْجَمُ
حَلِيمٌ وَفِيَّ عَادِلٌ أَيْ عَادِلُ
وَحِيدُ الْعُلَى سَامٍ عَلَى شُهْبِ الدَّجَى
غِيَاثُ لِمُرْتَاعٍ وَغَيْثُ لِمُمَجِّلِ
وَيُؤْمِنُ لِمُسْتَجِدِّ وَأَمْنٌ لِحَاثِفِ
لَهُ الشَّرْفُ الْوَضَاحُ وَالشِّيمُ الَّتِي

(171) الحائم : العطشان.

وَأَسْأَلُ عَنْ أَظْعَانِهَا كُلِّ قَادِمٍ
عَلَى وَرَقِ الْأَغْصَانِ وَرُقِ الْحَمَائِمِ
قَضَيْنَا بِهِ عَهْدَ الصَّبَا الْمُتَقَادِمِ
عَلَيْنَا مِنَ الرَّاحَاتِ كَأْسَ مُنَادِمِ
وَصَالاً عَلَى رَغَمِ الرَّقِيبِ الْمُلَازِمِ
جَنَيْتُ بِهَا وَرَدَ الْخُدُودِ النَّوَاعِمِ
وَجَبْتُ الْفَيَافِي فِي ظُهُورِ الْعَرَائِمِ
رِجَالٌ سَعَتْ مَا بَيْنَنَا بِالنَّمَائِمِ
وَلَحَظُ الْمَنَآيَا دُونَهَا غَيْرُ نَائِمِ
يَصْدُودُونَ عَنْهُ كُلَّ صَادٍ وَحَائِمِ
أَرْتَكُ نَهَاراً فِي آلْيَالِي الْعَوَاتِمِ
وَتَزْهِي بِرِيَّانٍ مِنَ الْخَصْرِ صَائِمِ
وَتَفْتَرُّ عَنْ زَهْرِ مِنَ الثَّغْرِ بِاسِمِ
وَتَسْبِي بِفَتَّانٍ مِنَ الْخَدِّ نَاعِمِ
مِنَ الزَّهْرِ تَسْرِي بَيْنَ أَيْدِي النَّوَاسِمِ
سَرَى بِجُودِ جُودُهُ وَتَهَائِمِ
بِهَيْئَتِهِ الْعُظْمَى قُلُوبَ الْأَعَاطِمِ
هَمَّتْ رَاحُهُ بِالْوَابِلِ الْمُتَرَكِمِ
مِنَ الرَّأْيِ تُزْرِي بِالنُّجُومِ الْعَوَاتِمِ
تَقِي زَكِيَّ عَالِمٍ أَيْ عَالِمِ
إِمَامُ الْهُدَى بَحْرُ النَّدى الْمُتَرَكِمِ
وَضَلَّ لِمُرْتَاحٍ وَوَرَدَ لِحَائِمِ (171)
وَنَجْمٌ لِمُسْتَهْدٍ وَبَذَرٌ لِنَوَاسِمِ
بَدَتْ أَنْجُمًا زُهْرَابُفِقِ الْمَوَاسِمِ

يُوكِّدُهَا عَطْفًا بِرَفْعِ الْمَظَالِمِ
تَوَدُّ غُلَاهَا زَاهِرَاتِ النَّعَائِمِ⁽¹⁷²⁾
مَضَاءً وَيَنْبُو دُونَهُ كُلُّ صَارِمٍ
وَعَيْثُ نَدَى يُنْسَى بِهِ ذِكْرُ حَاتِمٍ
أَنْتَمُ مِنَ الْمِسْكِ الذَّكِيِّ لِنَاسِمٍ
وُجُوهُ الْمَعَانِي بَيِّنَاتُ الْمَبَاسِمِ
وَتَشْرُ كَزْهَرٍ أَوْ كَحَلَّةٍ رَاقِمٍ
يَرُوقُ بِأَسْلَافِكُ لَهُ وَخَوَاتِمِ
لِعِزَّتِهِمْ ذَلَّتْ نَوَاصِي الْأَكَارِمِ
كَمَا ارْتَفَعَتْ بِالْمُصْطَفَى عَالُ هَاشِمِ
بُدُورٍ بِأَفْقِ الْمُلْكِ بِيضِ الْمَبَاسِمِ
رَأَوْا بَذْلَهُمْ لِلْمَالِ ضَرْبَةً لَازِمِ
بِكُلِّ صَبَاحٍ بَاسِلِ الرُّوعِ بِاسِمِ
بِسْمِ الْعَوَالِي أَوْ بِيضِ الصَّوَارِمِ
أَزَاهِرِ رَوْضٍ فِي قُتُوقِ الْكَمَائِمِ
أَذَلُّوا لَدَيْهَا مِنْ نُفُوسٍ كَرَائِمِ
مَوَاضِيَهُمْ بَيْنَ الطَّلَى وَالْجَمَاجِمِ
جُيُوشُ أَعَادِيهِمْ ذُيُولُ الْهَزَائِمِ
وَهَابَتْهُمْ مِنْ قَبْلِ حَلِّ التَّمَائِمِ
وَنَصَرِهِمْ ذَلَّتْ مُلُوكُ الْأَعَاجِمِ
بِنُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ ظَالِمِ
بِرُكْنِي مِنَ التَّقْوَى رَفِيعِ الدَّعَائِمِ

لَهُ مِنْ نُعُوتِ الْبِرِّ أَزْكَى مَنَاقِبِ
وَقَارَ تَضَاهِيهِ الرُّوَاسِي وَهَمَّةُ
وَعَزَمَ يَوَدُّ الدَّهْرُ لَوْ كَانَ مِثْلَهُ
وَفَرَّغَ كَمَالِ أَصْلُهُ الْعِلْمُ وَالتَّقَى
وَعَرَفَ ثَنَاءَ جَالٍ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
وَعُمْدَةُ عِلْمٍ قَدْ بَدَتْ بَيَانَهَا
فَنَظْمُ كَزْهَرٍ أَوْ كَعَقْدٍ لِنَالِيَةٍ
مَحَاسِنُ حَلَّتْ عَاطِلَ الدَّهْرِ فَاعْتَدَى
نَمَتْهُ إِلَى سَعْدِ مُلُوكِ الْأَكَارِمِ
بِهِ ارْتَفَعَ الْأَقْيَالُ⁽¹⁷³⁾ مِنْ عَالٍ قَيْلَةٍ⁽¹⁷⁴⁾
وَمَنْ كَبِنِي نَصْرٍ أُولِي الْبِرِّ وَالْهَدَى
إِذَا ضَنْتِ الْأَمْلَاكُ يَوْمًا بِمَالِهَا
وَإِنْ عَبَسَتْ حَرْبٌ مَحَوَا لَيْلَ رَوْعِهَا
يُرْدُونَ عَنْ وَرْدِ الْمُنَى كُلَّ وَارِدِ
صَوَارِمٍ بَتَّرَ أَشْبَهَتْ فِي عُمُودِهَا
فَكَمْ لَهُمْ فِي الْحَرْبِ مِنْ وَقْفَةٍ وَكَمْ
بِهَا فَرَّقُوا جَمَعَ الْأَعَادِي وَأَعْمَلُوا
إِذَا انْتَصَبُوا لِلْحَرْبِ جَرَّتْ أَمَامَهُمْ
هُمْ الْقَوْمُ قَدْ سَادُوا الْوَرَى فِي مُهُودِهِمْ
بِسَعْدِهِمْ عَزَّتْ كَتَائِبُ أَحْمَدِ
كَفَاهُمْ سُمُوءًا مِنْكَ أَنْتَ كَافِلُ
وَأَنْتَ قَدْ شَيْدَتْ رُبْعَ ثَنَائِهِمْ

(172) النعائم : ثمانية أنجم، وهي من منازل القمر.

(173) الاقيال جمع قيل وهو الملك، وآل قيله هم الأوس والخزرج.

(174) البديع : بديع الزمان الهمداني وحازم : حازم القرطاجني.

وَأَنْتَ قَدْ أَبْدَيْتَ لِلْعَدْلِ أَنْجُمًا جَلَّتْ كُلُّ مُسَوِّدٍ مِنَ الْجَوْرِ فَاجِمٍ
 أَنْاصِرَ دِينَ اللَّهِ خُذْهَا جَوَاهِرًا مِنَ النَّظْمِ لَمْ تَظْفَرْ بِهَا كَفٌّ نَاطِمٍ
 قَوَافٍ لَهُنَّ الزُّهْرُ أَضَحَّتْ قَوَافِيًا بَدَائِعُ أَرْزَتْ بِالْبَدِيعِ وَحَازِمٍ
 عَلَى أَنَّهَا تَرْجُو الْقَبُولَ وَتَبْتَغِي لَدَيْكَ مِنَ الْإِحْسَانِ نُحْفَةً قَادِمٍ
 بَقِيَتْ بِأَوْصَافٍ عَوَالٍ كَوَامِلٍ تَقْدُّ بِهَا سُمْرَ الْعَوَالِي الْكَوَالِمِ

وَرَفَعَ كَذَلِكَ لِمَقَامِهِ الْكَرِيمِ أَغْلَاهُ اللَّهُ
 الْفَقِيهُ الْأَعَزُّ أَبُو زَكْرِيَا يَحْيَى بْنُ أَحْمَدَ
 ابْنِ السَّرَّاجِ مِنْ أَهْلِ رُنْدَةَ⁽¹⁷⁵⁾

بُشْرَى تَجَلَّتْ لِلزَّمَانِ وَأَهْلِهِ نُورًا سَمَا بِرُبَى الْأَمَانِ وَسَهْلِهِ
 وَتَلَاءً الْأَفُقُ الَّذِي مَا مِثْلُهُ أَفُقٌ لِاحْرَارِ الثَّوَابِ وَنَيْلِهِ
 وَبَدَا عَلَيْهِ مِنْ خِلَافَةِ يُوسُفٍ فَلَقَّ بِهِ ضَاعَتْ دُجْنَةُ لَيْلِهِ
 مَلِكٌ بِهِ الْأَمْلاكَ سَادَتْ وَاعْتَلَّتْ أَقْدَارُهُمْ فَوْقَ السُّهَاءِ وَمَحَلِّهِ
 كَلَّفَ مِنَ الْعُلَيَاءِ بِالْقُصَوَى الَّتِي لَا فَوْقَهَا وَمِنْ الْعَطَاءِ بَجَزَلِهِ
 غَمَرَ الْبَرِيَّةَ بِالنَّوَالِ فَرَفَدُهُ يَهْمِي عَلَى الْآبَادِ صَيِّبُ وَنَيْلِهِ
 فَخَرَّتْ بِهِ الْأَيَّامُ وَاسْتَوْلَتْ عَلَى جِنْسِ الْعِلَاءِ عَلَى التَّمَامِ وَفَصْلِهِ
 وَاسْتَوْتَقَ الْإِسْلَامُ مِنْهُ بِمَانِعٍ لِكَرِيمِ حَوْزَتِهِ وَجَامِعِ شَمْلِهِ
 هَذَا وَإِنَّ الْمُلُوكَ أَصْبَحَ سَابِقًا أَمَدَ الْفَخَارِ بِهِ وَمُحَرَّرَ خَصْلِهِ
 دُعِرَ الْعَدُوُّ لَهُ وَأَيَّقَنَ أَنَّهُ يَجْتَثُّ دِينَ صَلِيْبِهِ مِنْ أَصْلِهِ
 خَفَقَتْ بِمَيْدَانِ الْجِهَادِ بُنُودُهُ وَاسْتَرْسَلَتْ فِيهِ سَوَابِقُ خَيْلِهِ

(175) يقول ابن فركون في ديوانه : «وكانت بيني وبين الفقيه أبي زكرياء يحيى بن السراج من أهل رندة مكاتبات أيام القراءة إلى أن زلت به قدمه وخانته هممه ونزع أيام فتنة الرئيس البائس الواصل إلى جبل الفتح إليه ثم استقر أخيرا بفاس وبها وافته منيته» ثم ساق قصيدة خاطب بها ابن السراج عام 808هـ ولا نعرف هل هو المحدث صاحب الفهرسة المعروفة أم لا ؟ لأن هذا توفي عام 804هـ أو عام 805هـ كما في ترجمته.

وَدَمُ الْعِدَى بِمُيَحِيهِ وَمُجَلِّهِ
وَالْبَحْرُ يَصْغُرُ عَنْ تَوَافِلِ بَذْلِهِ
وَالزَّهْرُ تَخْفِضُهَا مَوَاطِيءُ نَعْلِهِ
وَالرَّوْضُ تُخْجِلُهَا شَمَائِلُ فَضْلِهِ
وَضَفَا عَلَى الْآفَاقِ وَارِفَ ظِلِّهِ
وَأَتَى بِحُكْمِ رَحَائِهِ لَا أَرْزِلُهُ (١٧٥م)
وَتَعَلَّقَ الدِّينُ الْحَنِيفُ بِحَبْلِهِ
وَجَمَالِهِ مَا قَدْ مَضَى مِنْ قَبْلِهِ
كُلَّ الْبِلَادِ بِعَوْنِهِ وَبِحَوْلِهِ
حَسْمًا لِكَثْرِ فَرِيقِهِ وَلِقْلِهِ
غَرَضُ الْفُتُوحِ يُصِيبُ صَائِبُ ثَبْلِهِ
وَوُصُولُ وَقْتِ الْفَتْحِ دَانَ بِوَصْلِهِ
وَقَضَتْ بِهُونِ عَدُوِّهِ وَبِذْلِهِ
لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا مُجَرَّدُ نَصْلِهِ
فَأَتَى بِهِ مُسْتَغْفِرًا مِنْ مَطْلِهِ
بِمُيَدِّهِ وَمُيِيرِهِ وَمُذِلِّهِ
نَظْمُ الْمُجِيدِ وَنَثْرُهُ مِنْ قَوْلِهِ
مَا كَانَ قَبْلَهُمْ عَفَا مِنْ سُبُلِهِ
لِنَبِيِّ رَبِّهِمْ وَخَاتِمِ رُسُلِهِ
السَّيْفُ أَنْفَعُ لِلْعُلَى مِنْ عَذْلِهِ
حَمَلُ الرِّشَادِ وَالْإِكْتِسَابِ لِحِلِّهِ
سَعْيًا تَالَقَ نُورُهُ مِنْ أَجْلِهِ
سَرَتْ الرِّفَاقُ بِذِكْرِ غَايَةِ طَوْلِهِ
ضَاقَ الْوُجُودُ عَنِ الْوُجُودِ لِمِثْلِهِ

رُمِيَ الضَّلَالُ بِنَافِذٍ مِنْ عَزْمِهِ
فَالْبَذْرُ يَقْصُرُ عَنْ ضِيَاءِ جَبِينِهِ
وَالزَّهْرُ يَفْضَحُهُ تَارُّجُ ذِكْرِهِ
وَالْأَرْضُ تُبْهِجُهَا مَحَاسِنُ حُسْنِهِ
وَلَقَدْ صَفَا لِلخَلْقِ مَوْرِدُ رِفْقِهِ
وَأَنَارَ وَجْهَ الدَّهْرِ وَجْهَ سَنَائِهِ
وَتَحَقَّقَ الْحَقُّ الْمُنِيفُ بِهَدْيِهِ
وَلَسَوْفَ يُنْسِي عَصْرُهُ فِي سَعْدِهِ
وَلَسَوْفَ يَفْتَحُ وَائِقًا مِنْ رَبِّهِ
وَيَبُتُّ شَمْلُ الْكُفْرِ سَيْفُ جِهَادِهِ
وَيُجِيلُ خَيْلَ اللَّهِ تَمَرُّحُ مِثْلَمَا
فَهْبُوبُ رِيحِ النَّصْرِ آتٍ أَوَانُهُ
حَكَمَتْ مِيَامِنُهُ بِعِزِّ جُنُودِهِ
يَا صُفْعَ أُنْدَلُسٍ حُبَيْتَ بِنَاصِرٍ
مَطَلَ الزَّمَانُ بِوَعْدِ نَصْرِ بُرْهَةٍ
لَا غَرَوَ أَنَّ الشَّرْكَ أُنْذِرَ حِزْبُهُ
شَيْمٌ تَبَدَّتْ لِلْخَلِيقَةِ دُونَهَا
آبَاؤُهُ الْأَعْلَوْنَ أَحْيَاوُا لِلْعُلَى
نَصَرُوا الْخَلَائِقَ نَصَرَ أَنْصَارِ الْهُدَى
كَفُّوا عَنِ الشَّرْعِ الْقَوِيمِ أَكْفَ مَنْ
حَمَلُوا الْأَنَامَ عَلَى اجْتِنَابِ حَرَامِهِ
وَسَعَوْا لِمَرْضَاةِ الْإِلَهِ وَيَالَهُ
مَا مِنْهُمْ إِلَّا إِمَامٌ هَدَايَةٍ
مَنْ مِثْلُهُ مَوْلَى الْوَرَى وَهُوَ الَّذِي

(١٧٥م) أزل : شدة، يقال : هم في أزل أي في ضيق من العيش.

لَمَّا تَوَلَّى الْأَمْرَ وَهُوَ حَقِيقَةٌ
وَجَبَ الْهَنَاءُ عَلَى الْعِبَادِ بِمَنْ إِذَا
جَاءَ الْوُفُودُ مُبَايَعِينَ إِمَامَهُمْ
وَأَتَى الْعَيْدُ مُهَيَّيْنٍ وَكُلَّهُمْ
حَلُّوا بِسَاحَةِ بَابِهِ فَجَمِيعُهُمْ
فَلْتَهَنَّا الدُّنْيَا وَيَهَنَّا أَهْلُهَا
صُنْعَ مَنْ أَلَّهِ الْعَظِيمِ تَبَلَّجَتْ
فَالْمُلْكُ مِلْكُكَ وَالسَّنَا كَسَمِيهِ
مَا مِصْرُ إِلَّا دُونَ حَضْرَةِ مُلْكِهِ
مَوْلَايَ يَا مَوْلَى الْمُلُوكِ وَمَنْ لَهُ
لَا زَالَ . مُلْكُكَ مَظْهَرُ الْحَقِّ الَّذِي

نَعَمَ الْأَحَقُّ بِهِ وَأَكْرَمَ أَهْلِهِ
بِخَلِّ الْعِمَامِ أَتَى بِهِ فِي سَجَلِهِ
مُسْتَمْسِكِينَ بِحِلْمِهِ وَبَعْدِلِهِ
قَدْ فَازَ مِنْ حَظِّ السُّرُورِ بِكُلِّهِ
مَا عَاشَ يَحْمَدُ حُسْنَ عُقْبَى حَلِّهِ
بِحُلُولِ مِيقَاتِ الظُّهُورِ وَفَضْلِهِ
صُبْحَايُرُوقُ سَنَى عَجَائِبُ فِعْلِهِ
وَالنَّيْلُ شَنِيلٌ بِمُعْجَبِ شَكْلِهِ
حُسْنًا مَضَى بِحِجَا الْفَتَى وَبُنْيَلِهِ
شَرَفٌ تَضَاعَلْ غَيْرُهُ مِنْ حَمْلِهِ
شَفِي الْهُدَى مِنْهُ بِمُذْهَبِ ثُكْلِهِ

وَقَالَ أَيْضاً يَمْدَحُ مَقَامَهُ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ
اللَّهُ، وَعَرَّفَ الْوُجُودَ عَوَارِفَ رَحْمَاهُ

قَدْ أَيْقَنَ الْإِسْلَامُ أَنَّكَ نَاصِرُهُ
يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي آثَارُهُ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْهَمَامُ وَمَنْ غَدَتْ
فَحَرَّتْ بِكَ الْأَيَّامُ وَالْدِّينُ انْتَحَتْ
وَارْدَاتِ الدُّنْيَا وَبَاهَتْ رِفْعَةً
إِنْ يَنْحَلِ الْعَيْثُ أَلْمِثُ بِجَوْدِهِ
أَوْ يُخْلِفَ الْجُودَ الْعَمِيمُ عَهَادَهُ
فَالزُّهْرُ يُخْجِلُهُ وَإِنْ طَابَ الشَّدَى
وَالزُّهْرُ يَغْلُوهَا وَإِنْ هِيَ قَدْ سَمَتْ
لَا بَذَلُ إِلَّا مَا يَمِينُكَ خَوَّلَتْ
لَا رِفْدُ إِلَّا مِنْ جَلَالِكَ مَنْحُهُ

وَدَرَى الْعَدُوُّ بِأَنَّ جُنْدَكَ قَاهِرُهُ
كَرُمْتَ وَجَلَّتْ فِي الْوُجُودِ مَآثِرُهُ
أَجْنَادُهُ مَنْصُورَةٌ وَعَسَاكِرُهُ
بِجَمِيلِ ذِكْرِكَ فِي الْأَنَامِ مَنَابِرُهُ
بِحُلَاكِ أَصَوْنَةِ الْعُلَى وَدَفَاتِرُهُ
عَمَّ الْوَرَى هَامِي نَدَاكَ وَهَامِرُهُ
غَمَرَ الْبَرِّيَّةَ مِنْ نَوَالِكَ مَاطِرُهُ
عَرَفَ تَأَرَّجَ مِنْ ثَنَائِكَ عَاطِرُهُ
مَرَقَى بَعِيداً مِنْ عُلَاكَ مَظَاهِرُهُ
لَا فَضْلُ إِلَّا مَا كَمَالِكَ نَاشِرُهُ
لَا مُجَدُّ إِلَّا فِي خِلَالِكَ نَاطِرُهُ

لَا مُتَنَدِي لِلْفَضْلِ وَالْخُلُقِ الرِّضَى
لَا سَاحَةَ لِلشَّرِكِ إِلَّا جَاسَهَا
فَالْبِشْرُ طَلَقَ وَجْهَهُ مُتَهَلِّلُ
وَالدَّهْرُ مُؤْتِمِرٌ لِأَمْرِكُمُ الَّذِي
وَالْعَصْرُ أَزْرَتْ بِالْأَوَائِلِ عِزَّةً
حَكَمْتَ بِنَصْرِ الدِّينِ حَقًّا سُمْرُهُ
أَتَى لِحِزْبِ الْكُفْرِ يَجْهَلُ قَدْرَهُ
أَتَى لِحَيْشِ الشَّرِكِ يُبْصِرُ عَدُوَّهُ
مَوْلَايَ يَا شَرَفَ الْأَيْمَةِ وَالَّذِي
مَوْلَايَ يُوسُفُ يَا إِمَامَ هِدَايَةِ
مَا أَمَّ بِأَبِكَ ذُو انْكِسَارٍ قَلْبُهُ
فَبَقِيَتْ مَوْلَى لِلْمُلُوكِ وَمَالِكَا
لَا زَالَ ظِلُّكَ فِي الْبَسِيطَةِ وَارِفَا

إِلَّا وَفَخْرُكُمْ أَلْمَوْتُ لِعَامِرِهِ
مِنْ جُنْدِكَ الْأَرْضَى الْمُؤَيَّدِ وَافِرِهِ
تَبْدُو عَلَيْهِ مِنْ سَنَّاكَ بِشَائِرِهِ
تَمْضِي بِتَأْيِيدِ الْإِلَهِ أَوَامِرِهِ
بِسَعَادَةِ الْمُلْكِ الْكَرِيمِ أَوَاخِرِهِ
وَقَضَتْ بِذُلِّ الْكَافِرِينَ بَوَاتِرِهِ
وَيَمُدُّ أَطْمَاعًا وَحِزْبُكَ كَاسِرِهِ
يَوْمًا يَطُولُ مَدَى وَسَيْفِكَ قَاصِرِهِ
أَوْصَافُهُ لَا تَنْحَصِي وَمَفَاخِرُهُ
كَرُمَتْ لِمَرْضَاةِ الْإِلَهِ سَرَائِرُهُ
إِلَّا وَفَضْلُكَ كُلَّ حِينٍ جَابِرُهُ
فَالدَّهْرُ مَأْمُورٌ وَمُلْكُكَ عَامِرُهُ
يَضْفُو عَلَى كُلِّ الْخَلِيقَةِ سَاتِرُهُ

وَلَهُ أَيْضًا فِي مِثْلِ ذَلِكَ

صَبَا النَّصْرِ قَدْ هَبَّتْ بِنَصْرِ بَنِي نَصْرِ
وَأَضْحَى جَبِينُ الدَّهْرِ يُشْرِقُ يُمْنُهُ
أَيْمَةُ فَضْلٍ جَاءَ ذِكْرُ عِلَائِهِمْ
خَلَائِفُ عَدْلٍ لِلْخَلِيقَةِ قَدْ حَمَوْا
وَأَحْيَوْا بِهَا الدِّينَ الْحَنِيفَ وَطَالَمَا
فَمَا مَكَرَ الْأَعْدَاءُ إِلَّا تَعَزَّزُوا
وَلِلَّهِ مِنْهُمْ نَاصِرُ الدِّينِ يُوسُفُ
هُوَ الشَّمْسُ فِي آفَاقٍ حُسْنًا وَأَيْنَ مِنْ
هُوَ الْبَدْرُ عِنْدَ التَّمِّ نُورًا وَأَيْنَ مِنْ
مَعَانٍ تَجَلَّتْ أَعْجَزَ الْقَوْلِ شَرْحُهَا

وَجَاءَتْ بِمَذْخُورِ الْفُتُوحِ لَذَا الْعَصْرِ
وَأَمْسَى مُحْيَاً وَجْهَهُ رَائِقُ الْبِشْرِ
بِأَشْرَفِ وَصْفِ الْمَدْحِ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ
بِدَارِ جِهَادٍ وَاسْتَبَاحُوا حِمَى الْكُفْرِ
غَزَوْا عُصْبَةَ الْأَوْتَانِ وَالشَّرِكِ فِي الْعُقْرِ
وَرَدُّوا عَلَيْهِمْ سُوءَ ذَلِكَ الْمَكْرِ
أَمِيرُ الْوَرَى التَّرَاكِي الْمَحَاتِدِ وَالنَّجْرِ
عِلَاةُ عُلَاهَا فِي الْمَصَاعِدِ وَالْقَدْرِ
سَنَى ذَلِكَ الْمَرَأَى الْوَسِيمِ سَنَى الْبَدْرِ
وَقَلَّ لَدَيْهَا مُنْتَهَى الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ

مَفَاخِرُ مُلْكٍ يُحْجِلُ الرُّوضَ حُسْنُهَا
شَمَائِلُ لَا تُحْصَى وَإِنْ هِيَ عُدَّتْ
مَرَاقِبُ قَدْ فَاتَتْ عَلَى الشُّهْبِ مُرْتَقَى
هُوَ الْوِثْرِ فِي أَعْلِيَاءِ فَالْعَصْرُ لَمْ يَكُنْ
فَكَعْبُ الْمَعَالِي وَالْمَكَارِمِ قَدْ عَلَتْ
سَبِيلَ الْهُدَى أَحْيَيْتَ يَا مَلِكَ الْهُدَى
مَعَالِيكَ أَزَرْتَ بِالْكَوَاكِبِ رِفْعَةً
وَتَاهَتْ بِكَ الْآيَامُ فَضْلاً وَعِزَّةً
ثَنَاؤُكَ أَحْلَى لِلنُّفُوسِ مِنَ الْمُنَى
سَرَى نُشْراً طُولَ الْمَدَى مُتَسَحِّباً
وَإِنَّكَ مَعْنَى الْمُلْكِ حَقّاً وَسِرُّهُ
فَمَجْدُكَ أَسْمَى فِي أَعْلُوِّ مِنَ السُّهَى
وَسَعْدُكَ نُورٌ مُذْهَبٌ كُلُّ غَيْهَبٍ
وَرَفْدُكَ غَيْثٌ يُعِشُّ النَّاسَ سَيِّئُهُ
وَعَرَّتْكَ الْعَرَاءُ قَدْ لَاحَ نُورُهَا
وَنَصْرُكَ مَمْدُودُ أَلَلِّوَاءٍ وَلَمْ يَكُنْ
وَفَتْحُكَ مَرْدُودُ الْقَضَاءِ إِلَى الَّذِي
وَبَذَلِكَ مَنَحُ بَحَلِّ الْجُودِ وَكَفُّهُ
وَفَضْلُكَ صَبْحُ سَاطِعِ الضَّوِّ سَافِرٍ
فَلَوْلَاهُ فِي يَمْنَاكَ لَمْ يَعِشْ آمِلٌ
أَمْوَلَايَ يَا أَعْلَى الْمُلُوكِ جَلَالَةً
أَنْتَ بَابُكَ الْأَعْلَى الْكَرِيمِ خَدِيمَةً
تُؤْمَلُ أَنْ تُحْصِيَ الثَّنَاءَ وَمَنْ لَنَا
فَعَفُوا عَنِ التَّقْصِيرِ فَالْأَمْرُ بَيْنَ
فَقَدْ فُتَّتْ كُلُّ النَّاسِ فِي الْعِلْمِ وَالْتَهَى

وَيَفْضَحُ فِي طِيبِ الشَّدَى نَفْحَةُ الزَّهْرِ
فَضَائِلُ يُلْفَى دُونَهَا طَامِي الْبَحْرِ
مَنَاقِبُ قَدْ جَازَتْ مَدَى الْعَدِّ وَالْحَصْرِ
يَجِيءُ بِتَشْفِيعٍ لِدَلِّكُمْ الْوِثْرِ
مَوَاطِيءُ نَعْلِيهِ عَلَى مَفْرِقِ النَّسْرِ
وَجَدَّدَتْ آثَارَ الْمَآثِرِ وَالْفَخْرِ
وَإِنْ سُرِدَتْ أُرْبَتْ عَلَى الْأَنْجُمِ الزَّهْرِ
كَمَا بَاهَتْ الدُّنْيَا بِأَيَّامِكَ الْغُرِّ
وَأَعْدَبُ مِنْ وَصَلِ أُنَى عَقَبِ الْهَجْرِ
بُرُودِ جَمَالِ فَدَّةِ الطَّيِّ وَالنَّشْرِ
وَنَاهِيكَ مِنْ مَعْنَى كَرِيمٍ وَمِنْ سِرِّ
وَفَخْرُكَ أَسْنَى فِي آيَاتِهِ مِنَ الْفَخْرِ
وَنَاسِخُ حُكْمِ الْعُسْرِ بِالْخَيْرِ وَالْيُسْرِ
بِهِ حَالُهُمْ نَامٍ وَبَائِسُهُمْ مُشْرِ
مَلَاذًا لَدَى الْجُلَى مَعَاذًا مِنَ الدُّعْرِ
لِمَمْدُودِهِ الْخَفَاقِ بِالْعِزِّ مِنْ قَصْرِ
لِمُلْكِكَ مِنْ أَمْرِ عَلَى وَفْقِهِ يَجْرِي
وَأَحْجَلُ فِي صَوْبِ النَّدَى وَكِفِ الْقَطْرِ
عَنِ الْخُلُقِ الْمَرْضِيِّ وَالْكَرَمِ الثَّرِّ
إِلَى ضَوْءِ نَارٍ قَدْ أُقِيمَ عَلَى بَرِّ
وَأَرْكَاهُمْ جَرِيًّا عَلَى سَنَنِ الصَّدْرِ
لَهَا سَمْحُكَ الْمَأْمُولُ مِنْ أَنْفُسِ الدُّخْرِ
بِإِحْصَاءِ عَشْرِ الْعُشْرِ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ
وَحِلْمِكَ يَا مَوْلَى الْوَرَى قَابِلُ الْعُدْرِ
وَسُدَّتْ مُلُوكُ الْأَرْضِ فِي كُلِّ مَا أَمْرُ

وَمَا أَمَّ ذَاكَ الْمَجْدَ فِي الدَّهْرِ قَاصِدٌ مِنْ النَّاسِ إِلَّا فَازَ بِالْمَقْصِدِ الْبَرُّ
بَقِيَتْ إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ مُؤَيَّدًا وَعِزُّكَ مَسْطُورٌ عَلَى صَفْحَةِ الدَّهْرِ
وَلَا زِلْتَ مَنْصُورًا وَلِلدِّينِ نَاصِرًا تُرَادُّ مَدَى الْأَيَّامِ نَصْرًا إِلَى نَصْرِ

وَفِي مَذْحِهِ أَيْدُهُ اللَّهُ، لِلشَّرِيفِ
الْمُعَظَّمِ أَبِي الْعَبَّاسِ الْحَسَنِ (176)
وَصَلَّ اللَّهُ غُلُوَّ شَرَفِهِ، وَنَفَعَ بِحُبِّ سَلَفِهِ

يَا نَاصِرَ الدِّينِ يَا مَنْ	أُرَبَّى عَلَى كُلِّ نَاصِرٍ
حُزْتُ الْمَدَى فِي الْمَعَالِي	فَمَنْ يُجَارِيكَ قَاصِرٍ
خَلَفْتَ مَنْ قَدْ نَمَتُهُمْ	إِلَى النَّبِيِّ الْأَوَاصِرِ
كِسْرَى وَخَاقَانَ أَفْنَتَ	فِي نَصْرِهِ وَالْقِيَاصِرِ
عَنَاصِرُ بِكَ تَسْمُو	أَعْظَمَ بِهَا مِنْ عَنَاصِرِ
فُقَّتِ الْمُلُوكُ جَمِيعًا	قَدِيمَهُمْ وَالْمُعَاصِرِ
لِلَّهِ مِنْكَ إِمَامٌ	كُلُّ بِهِ مُتَنَاصِرِ
فَأَنْتَ أَشْرَفُ مَوْلَى	تُنْتَى عَلَيْهِ الْخَنَاصِرِ
فِي الْحَرْبِ لَيْتَ هَاصُورٌ	فِي السَّلَامِ بَذُرَ الْمَقَاصِرِ
هَذَا وَهَذِيكَ أَضْحَى	مِلءَ الْعُيُونِ الْبَوَاصِرِ
وَرَوْضُ جُودِكَ مِنْهُ	أَنَا لِنُعْمَاكَ هَاصِرِ
عُودْتُ رِفْدَكَ بَحْرًا	أَيَحْصُرُ الْبَحْرَ حَاصِرِ
وَكُلُّ وَصْفٍ كَمَالٍ	عَلَيْكَ دَهْرُكَ قَاصِرِ
مَوْلَايَ عُذْرًا فَبَاعِي	وَأَنْ يَطُلَ مُتَقَاصِرِ
بَقِيَتْ كَهْفًا مَنِيعًا	عَلَى تَوَالِي الْأَعَاصِرِ

(176) تقدّم ذكره.

وَمِنْ مُرْتَجَلَاتِهِ

أَقُولُ وَقَدْ أَبْصَرْتُ مَوْلَايَ جَالِسًا بِكُرْسِيِّهِ وَالتَّوْرُ مِنْ وَجْهِهِ انْتَلَقُ
تَبَارَكَ رَبِّي بَارِئُ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ وَإِنَّ الَّذِي أَبْصَرْتُ أَحْسَنُ مَا خَلَقُ
فَعَوَّذْتُ بِالسَّبْعِ الْمَنَانِيِّ كَمَالَهُ وَزِدْتُ لَهَا الْإِخْلَاصَ مَعَ سُورَةِ الْفَلَقِ (177)

وَمِنْ مُرْتَجَلَاتِهِ أَيْضًا

مَظَاهِرُ مَوْلَايَ الْخَلِيفَةِ يُوسُفِ تُنِيفُ عَلَى أَوْجِ السَّمَاءِ بِأَضْعَافِ
فَكُلِّ إِمَامٍ أَوْ مُقِيمِ خِلَافَةٍ يَحُطُّ رِكَابَ الْعَجْرِ عَنْهُ بِإِنْصَافِ
فَوَاللَّهِ ثُمَّ اللَّهُ مَا تَمَّ مُشْبِهَةٌ لِمَا حَازَهُ فِي الْمُلْكِ مِنْ عُرِّ أَوْصَافِ
أَفَادَ جَمِيعَ الْخَلْقِ جُودًا وَنَائِلًا وَعَرَفَهُمْ مِنْهُ عَوَارِفَ الْطَافِ
وَحَصَّ ذَوِي الْقُرْبَى بِفَضْلِ تَوَاصُلِ يَعُودُ عَلَى غُلِيَاهُ بِالْعُمْرِ الْوَافِي
أَتَخْفَى عَنِ الْأَبْصَارِ آيَاتُ مَجْدِهِ وَهِيَاتَ مَا نُورُ الظَّهِيرَةِ بِالْخَافِي

وَفِي مِثْلِ ذَلِكَ

وَمِمَّا شَجَانِي أَنَّنِي غَيْرُ تَارِكٍ هَوَاهَا وَلَوْ أَدْنَى الْحَيَاةِ إِلَى الْأَجَلِ
وَلَا قَائِلًا يَوْمًا وَسَائِلَ سَلْوَةٍ وَلَا جَاوِدَ النُّعْمَى وَلَا مُنْكَرَ الْأَمَلِ
وَلَكِنِّي فِي ظِلِّ مَوْلَايَ يُوسُفِ أَعْدُدُ بِدَارِ الْمُلْكِ مِنْ جُمْلَةِ الْخَوْلِ
فَأَنْسَى حَبِيبِي وَالَّذِي قَدْ هَوَيْتُهُ بِوَجْهِهِ إِمَامٍ شَرَّفَ الْمُلْكَ وَالْدَوْلِ
وَأَضْحَى بِهِ وَجْهُهُ الْبَسِيطَةِ بِاسِمَاءِ يُنِيرُ عَلَى الْآفَاقِ بَذْرًا قَدْ اكْتَمَلَ
فَأُنِّي حَبِيبٍ يَذْهَبُ الْقَلْبُ نَحْوَهُ وَسِيمَاكَ تَبْدُو بِالسُّرُورِ وَبِالْجَذَلِ
وَأَنْتَ الَّذِي لَمْ تُتْبَقْ مَطْلَبَ طَالِبٍ فَكُلُّ عَلَى مَا شَاءَ مِنْكَ قَدْ اشْتَمَلَ

(177) علّق السلطان السعدي أحمد المنصور على هذه الآيات بقوله : « لا ينبغي لعاقل أن يتخذ مثل هذا

القول السفساف » وتحت هذه العبارة في المخطوط ما يلي : « التوقيف أعلاه بخط أمير المؤمنين أحمد

الذهبي رحمه الله ».

وَلَا شَيْءَ فِي الدُّنْيَا سِوَى ذَاتِكَ الَّتِي بِهَا فِي الْمَعَالِي دَائِمًا يُضْرَبُ الْمَثَلُ
وَعُذْرًا لِمَوْلَايَ الْخَلِيفَةِ إِنِّي عَجَزْتُ عَنِ الْمَقْصُودِ وَاللَّهُ بِالْحَجَلِ

وَمِنْ مَرْفُوعَاتِ الْفَقِيهِ الْخَطِيرِ أَبِي الْحَسَنِ
عَلِي بْنِ هُذَيْلٍ (178) لِلْمَقَامِ الْكَرِيمِ أَسْمَاهُ اللَّهُ

أَلَا يَا أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ أَنَا
دَعَا ابْنُ هُذَيْلٍ مِنْكَ خَيْرَ خَلِيفَةٍ
فَعَبْدُكَ يَا مَوْلَايَ أَقْصَاهُ دَهْرُهُ
وَإِنِّي أَنَا أَشْكُو ذَاكَ فَالْعُذْرُ بَيْنَ
تُحْمَلْنِي الْأَيَّامُ أَغْبَاءَ صَرْفَهَا
أَمَّا عَلِمْتُ أَنِّي بِعُليَاكَ لَا أُذْ
أَنَا الْعَبْدُ لَا يَعْدُوكَ مَدْحِي مُرَدِّدًا
وَحَسْبِي افْتِحَارًا أَنِّي لَكَ مَادِحٌ
وَسَيْلَتِي الْكُبْرَى إِلَيْكَ بِكَ الَّذِي
فَنَعْمَاكَ يَا مَوْلَايَ يُوسُفُ دَائِبًا
وَذَاتُ يَدِي فِي الْوَقْتِ قَدْ نَفَدَتْ وَمَا
وَكَيْفَ أَعَانِي الْعُسْرَ يَوْمًا وَلِلنَّدى
فَلَا حَلْلَ إِلَّا وَمِنْكَ مُسَدَّدٌ
وَحُرْمَتُكَ الْعُظْمَى عَلَى الْبُعْدِ لَمْ تَزَلْ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْإِسْتِعَالِ وَلَايَةٌ
وَمَا زِلْتُ فِي هَذَا وَذَلِكَ مُسَخَّرًا
وَإِنْ ضَاقَ عَنِّي الْيَوْمَ بَابُ وَلَايَةٍ

بِذِيلِ عُلاَهُ فِي الدُّنْيَا أَتَعَلَّقُ
وَرَأَيْكَ فِي أَمْرِي مُصِيبٌ مُوَفَّقُ
وَأَهْمَلُهُ إِذْ ظَلَّ بِالْأَرْضِ يُلْصَقُ
لَدَيْكَ وَإِنْ أَصُمْتُ فَحَالِي تَنْطِقُ
وَلَا تُرْعَوِي عَمَّا بِهِ لِي تَطْرُقُ
فَأَفْ لَهَا إِذْ سَعِيهَا فِي مُحْفِقُ
وَلَسْتُ أَرَى إِلَّا حُلَاكَ أُتْمَقُ
وَشَاوِي فِيهِ نَائِيًا لَيْسَ يُلْحَقُ
مَدَى الدَّهْرِ بِالْمَمْلُوكِ مَا زِلْتُ تَرْفُقُ
عَلَى النَّاسِ تَمْحُو الْبُؤْسَ عَنْهُمْ وَتَمْحَقُ
خَدِيمُكَ إِلَّا مِنْ نَوَالِكَ يُرْزَقُ
بِكَفِّكَ وَكَفِّ دَائِمٍ وَتَدْفُقُ
وَلَا أَمَلُ إِلَّا وَمِنْكَ مُعَلَّقُ
وَنُجْحُ الَّذِي يَرْجُوهُ مِنْكَ مُحَقَّقُ
فَإِنِّي أَصِيلٌ فِي الْقِيَادَةِ مُعْرِقُ (179)
وَمُسْتَعْمَلًا فِي حَيْثُ أَسْمُو وَأَسْمُقُ
فَمَا هُوَ عَنِّي بَابُ جُودِكَ ضَيِّقُ

(178) تقدّم التعريف به.

(179) مما يدلّ على كونه أصيلًا في القيادة ومعرقًا فيها كتابه حلية الفرسان وشعار الشجعان.

فَقَدْ عَمَّ يَا مَوْلَايَ إِحْسَانُكَ الْوَرَى
 بِذَلِكَ الْعَطَا لِلنَّاسِ غَيْرَ مُحْصَصٍ
 وَحَسَنْتِ الْأَيَّامَ مِنْكَ صَنَائِعُ
 وَزَيْنِيلِي⁽¹⁸⁰⁾ الْمُثْقُوبُ مَا فِيهِ مُسْكَةٌ
 لِّئِنْ رُوِيَ عَنْكَ الْعَجَائِبُ فِي النَّدَى
 وَإِنْ تَفَعَّتْ يَوْمًا لَدَيْكَ وَسِيلَتِي
 فَرَفَعَ مَكَانَ الْعَبْدِ فِي النَّاسِ إِذْ غَدَا
 فَمَوْلَايَ بِالطَّوْلِ الْجَزِيلِ مُعَوِّدُ
 وَلَا تَيَّاسِي يَا نَفْسَ مَنْ قَرَعَ بَابِهِ
 بَقِيَتْ وَلِلذِّكْرِ الْجَمِيلِ تَحْلُدُ

بَعِيرِ سُؤَالٍ مِنْهُمْ لَكَ يَسْبِقُ
 فَأُخْصِبَ ذُو وَجْدٍ وَأَيْسَرَ مُمْلِقُ
 فَمِنْكَ عَلَى الْأَيَّامِ حُسْنٌ وَرَوْنُقُ
 وَأَنْتَى لَهُ الْإِمْسَاكُ وَهُوَ مُمَزَّقُ
 فَإِنَّكَ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ تُصَدِّقُ
 فَإِنِّي فِيهَا عَنْ صُبُوحٍ أَرْقُقُ^(180م)
 لَدَيْهِمْ ضَعِيفًا بِالْأَمَانِي يُلْفِقُ
 وَسُوقُ الْمُنَى دَابًّا بِمَثْوَاهُ تَنْفُقُ
 فَقَدْ تُفْتَحُ الْأَبْوَابُ مِنْ حَيْثُ تُغْلَقُ
 بِمَجْدِكَ مَا غَنَى الْحَمَامُ الْمُطَوَّقُ

وَرَفَعَ لِمَقَامِهِ الْعَلِيِّ أَسْمَاهُ اللَّهُ الْكَاتِبُ الْأَبْرَغُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّرَّانُ⁽¹⁸¹⁾

قَضَى مُدْنِفِي أَنْ لَا أَرَى عَنْهُ سَالِيَا
 مُطَاعُ هَوَى لَبِيتُ دَاعِي حُسْنِهِ
 هِلَالُ دُجَى آنَسْتُ نُورَ جَمَالِهِ
 قَضِيبُ نَقَى أَسْقِيهِ دَمْعِي وَأَعْتَدِي
 تَفَاءَلْتُ مِنْ أَعْطَافِهِ بِإِنْعَافِهِ
 وَهَلْ هُوَ إِلَّا الظُّبْيُ طَوَّعَ نِفَارِهِ
 أَلَا إِنَّ شَأْنِي حُبُّهُ شَطَطٌ أَوْ دَنَا
 فَسَادِي صَلَاحٌ فِي هَوَاهُ وَقَلَّمَا
 تَخَذْتُ الضَّنَّا لُبْسِي وَصَيَّرْتُ نَاطِرِي

وَإِنْ كَانَ فِي حُكْمِ الْهَوَى قَدْ أَسَالِيَا
 فَمَارَالَ قَلْبِي مُذْ دَعَانِي عَانِيَا
 فَرُحْتُ لِأَوْطَانِي وَنَاسِي نَاسِيَا
 بِهِ لِعَرَامٍ قَدْ شَجَانِي جَانِيَا
 عَلَيَّ وَلَكِنْ مَا وَفَا لِي فَالِيَا
 فَكَيْفَ أَرَى مِنْهُ التَّدَانِي دَانِيَا
 وَإِنْ أَصْبَحَ اللَّاحِي لِشَانِي شَانِيَا
 تَرَانِي مُطِيعًا فِي صَلَاحِي لَاحِيَا
 عَنْ النَّوْمِ مِنْ قَرِطِ اسْتِعَارِي عَارِيَا

(180) الزنبيل : الجراب.

(180م) فيه تضمينٌ لمثل معروف.

(181) تقدم التعريف به وقد التزم في جميع أبيات القصيدة تجنباً للتلفيق.

وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ أَحْيَىٰ بِعَظْفِهِ
فَيَا جَنَّةً مَازِلْتُ مُنْذُ فِرَاقِهَا
أَلَا عَظْفُهُ تُرْجَى مِنَ الزَّمَنِ الَّذِي
بَحَيْثُ وَقَاءِ السَّعْدِ دُونِي قَدْ ثَنَى
وَإِذْ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ الرُّضَابِ تُعْلَنِي
تَقُولُ ارْتَشِيفْ نَعْرِي تُسَكِّنْ بِهِ الْجَوَى
وَإِنْ خِفْتُ مِنْ لَحْظِكَ سُقْمًا أَجَانِي
وَمَهْمَا رَعَى بَدْرَ السَّمَاءِ مُسَهَّدٌ
هُوَ أَلْعِيشُ لَوْ أَطْلَعْتَ لِي شَمْسَ أَنْسِهِ
عَلَى أَنْبِي مَازِلْتُ فِي الْقُرْبِ وَالْتَوَى
فَعَذَبُ فُؤَادِي أَوْ أَرِخُهُ فَإِنَّمَا
وَإِنْ عُدْتُ مِنْ لُقْيَاكَ صِفْرًا فَلَمْ أَزَلْ
وَمَا ضَرَّ أَنِّي [عَاطِلٌ] مِنْكَ إِذْ غَدَا
هُوَ النَّاصِرُ الدِّينَ الَّذِي جَاءَ لِلْهُدَى
أَعَدَّ لَهُ الْجَدُّ الْمُسَاعِدَ سَاعِدًا
لَقَدْ حَلَّ مِنْ أَفْقِ الْخَلَائِفِ بَذْرُهُ
سَنَى قَالَ لِلظُّلَمَاءِ لَا تَثْبُتِي فَقَدْ
وَمَمْدُودُ عِزٍّ قَالَ لِلرُّوعِ لَا تَرْعُ
وَكَفَّ تُنَادِي الْعَافِي إِذْنُ إِلَى النَّدَى
وَبَاسٌ يَقُولُ الْعَضْبُ عِنْدَ عِيَانِهِ
وَعَدَلُ يُنَادِي الْحَقُّ عُدَّ مُتَجَدِّدًا
حُلَى قَوْمِهِ صَحْبِ النَّبِيِّ الْأَلَى اكْتَفَى
لَقَدْ أَنْجَبُوا لِلْمُلْكِ كُلِّ مَنِ اغْتَدَا
وَلَا مِثْلَ مَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ يُوسُفَ
فَعَيْشًا إِذَا وَالَى الْمَوَاهِبَ وَاهِبًا

فَأُمْسَيْتُ لَمَّا أَنْ جَفَانِي فَانِيَا
بِنَارِ الْأَسَى بَعْدَ اتِّصَالِي صَالِيَا
وَرَدْتُ بِهِ مِنْكَ التَّصَافِي صَافِيَا
حُسَامَ التَّجَنِّي عَنْ جَنَابِي نَائِيَا
بِرَاحٍ أَرَا حَتَّ مِنْ خَبَالِي بَالِيَا
فَلَيْسَ لَهُ غَيْرُ ارْتِشَافِي شَافِيَا
عِذَارِكَ قَدْ وَافَاكَ آسِي آسِيَا
ظَلِلْتُ لِبَدْرِ فِي ذِرَاعِي رَاعِيَا
لَأُحْمَدْتَ زَنْدًا مِنْ أَوَارِي وَارِيَا
بِمَا يَقْتَضِي مِنْكَ التَّرَاضِي رَاضِيَا
غَدَا لَكَ مِلْكًا يَا هِلَالِي لَالِيَا
لِفِكْرِي إِنْ رُمْتُ التَّلَاقِي لَاقِيَا
بِجُودِ ابْنِ نَصْرِ جِيدِ حَالِي حَالِيَا
وَقَدْ خَذَلَ الرُّعْبُ الْمُحَامِي حَامِيَا
وَمَدَّ لَهُ اللَّحْظُ الْمُرَاعِي رَاعِيَا
مَقَامًا قَدْ اسْتَوْفَى الْمَعَالِي عَالِيَا
أَتَى لَكَ إِصْبَاحُ التِّمَاحِي مَاحِيَا
جَنَابًا لَهُ أُمْسَى رِوَاقِي وَاقِيَا
فَلَيْسَ عَنِ الْعَافِي غِنَائِي نَائِيَا
أَمِنْ طَبْعِكَ الْمَاضِي اقْتِبَاسِي يَاسِيَا
فَقَدْ كُنْتُ مِنْ قَبْلِ اقْتِبَالِي بَالِيَا
بِنَصْرِهِمْ عَنْ أَنْ يُنَادِي نَادِيَا
بَحَيْثُ ارْتَضَى الْحَقُّ الْمَسَاعِي سَاعِيَا
إِمَامَ هُدًى فَاقَ الْمَوَالِي وَالِيَا
وَلَيْثًا إِذَا لَاقَى الْأَعَادِي عَادِيَا

فَكَمْ هَبَّةٌ تُنْسِي الْحَيَا عَمَّنَا بِهَا
 أَيَا مَلِكًا مَازَالَ طَائِرُ سَعْدِهِ
 عَدُوُّكَ خَوْفًا مِنْ صِيَالِكَ لَمْ يَزَلْ
 سَيْغَشَاهُ يَوْمَ مِنْ وَغَاكَ يَوْدُ أَنْ
 وَوَيْلٌ لِمَنْ أَمْسَى لَأَكْنَفِهِ أَلْتِي
 وَمَنْ لَازَ بِالْكَفَارِ أَصْبَحَ حَيْثُ قَدْ
 وَهَلَ هُوَ إِلَّا الْجَهْلُ عَمَّ عُقُولَهُمْ
 لَقَدْ طَهَّرَتْ مِنْهُمْ مَنَازِلَكَ الَّتِي
 وَمَا امْتَسَكَتْ إِلَّا بِمَنْ جَدَّ عَهْدُهُ
 فَذُمَ أَيُّهَا الْمَوْلَى لِسَعْدِ مُسَاعِدِ
 وَدُونِكَ أَبْكَارًا مِنَ الْمَدْحِ قَدْ غَدَا
 هِيَ الشَّعْرُ إِلَّا أَنَّهَا سَبَتِ النُّهَى
 شَدَوْتُ بِهَا أَتْنِي عَلَيْكُمْ وَإِنَّمَا
 وَلَا غَرَوْ أَنْ دَرَّتْ طِبَاعِي بِمِثْلِهَا
 وَلَوْ سَهْلُ الْإِلْزَامِ فِيهَا لَكُنْتُ قَدْ
 عَلَى أَتْنِي مَازَلْتُ عَنْ حَقِّ وَصْفِكُمْ
 فَمَنْ لِي أَنْ أُلْفِي لَدَيْنِ ثَنَائِكُمْ
 لَقَدْ رُشْتُمْ فِي آلِجَاهِ سَهْمِي فَانْتَبَرَى
 وَإِنْ أَبِي أَرْجُوكَ فِيهِ فَطَالَمَا
 يَقُولُ بَلَعْتُ الْقَصْدَ يَوْمَ غَدَوْتُ مِنْ
 فَذُمْتُ مَدَى الْأَيَّامِ تَمْنَحُنَا نَدَى

إِلَى هَيْبَةٍ تَحْمِي الْحِمَى هِيَ مَا هِيََا
 بِمَا شَاءَ قَدْ حَثَّ الْخَوَافِي وَافِيَا
 عَنِ الْحَرْبِ يَخْتَارُ التَّوَانِي وَانِيَا
 يَرَى مِنْهُ لَوْ يُعْطَى التَّفَادِي فَادِيَا
 بِهَا سَخِطَ اللَّهُ الْمَسَاعِي سَاعِيَا
 أَعَدَّ لَهُ الْمُلْكُ الْمَهَاوِي هَاوِيَا
 عَمَى لَمْ يَزَلْ يَعْشَى الْمُدَاجِي دَاجِيَا
 سَقَى وَرَدُ نُعْمَاهَا الْمُصَافِي صَافِيَا
 فَلَيْسَ إِذَا لَاقَى الدَّوَاهِي وَاهِيَا
 أَتَى سَامِعًا مِنْكَ الدَّوَاعِي وَاعِيَا
 لَهُنَّ لِسَانِي مِنْ حِجَالِي جَالِيَا
 وَمَا كَانَ شِعْرٌ فِي حِسَابِي سَابِيَا
 غَدَوْتُ بِمَا فِيهِ رَشَادِي شَادِيَا
 فَتِلْكَ الْحَلَى رَدَّتْ جَهَامِي هَامِيَا
 مَدَدْتُ بِمَيْدَانِ انْطِبَاعِي بَاعِيَا
 وَلَوْ نَسَقْتُ كَفِّي اللَّالِي ءَالِيَا
 لِسَانًا إِذَا رُمْتُ التَّقَاضِي قَاضِيَا
 لِأَبْعَدِ نَهْجٍ مِنْ مَرَامِي رَامِيَا
 وَصَلْتُ بِأَسْبَابِ اقْتِرَاحِي رَاحِيَا
 مَقَامِ ابْنِ نَصْرِ لِانْفِرَاجِي رَاجِيَا
 عَدِمْنَا لَهُ مِنَّا الْمُكَافِي كَافِيَا

وَمِنْ مَرْفُوعَاتِهِ

مَوْلَايَ يَا ذَا الْكَرَمِ الشَّامِلِ
 وَمَنْ بِحَلِي الدَّرِّ مِنْ جُودِهِ
 وَمُسْعِفَ الْآمَالِ لِلْآمِلِ
 حُلِّي جِيدُ الزَّمَنِ الْعَاطِلِ

عَبْدُكَ يَرْجُو أَنْ يُرَى نَائِلًا بَعْضَ الَّذِي تَمْنَحُ مِنْ نَائِلِ
يَسْأَلُ مِنْكُمْ سَيْلَ إِنْعَامِكُمْ فَقَابِلُوا السَّائِلَ بِالسَّائِلِ
دَامَتْ لَنَا مِنْ وَفَرِكُمْ أَبْحُرُ تُنْشِدُ فِي الْوَافِرِ وَالْكَامِلِ

وَمِنْ مُرْتَجَلَاتِ عَبْدِهِ
الْشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ فَرْكُونِ الْقُرَشِيِّ (182)

أَيَا مَطْلِعاً أَنْوَارُهُ تُتَوَسَّمُ أَحَقَّ تَجَلَّى صُبْحِكَ الْمُتَبَسَّمُ
فَعَنْ أَفْقِكَ الْأَعْلَى وَنِيرَ شَهْبِهِ تُحَقِّقُ أَوْصَافُ الْكَمَالِ وَتُعْلَمُ
نَعَمُ إِنَّهُ الْمَوْلَى الْمُؤَيَّدُ يُوسُفُ عَلَى الْعَبْدِ بِالرَّحْمَى يَجُودُ وَيُنْعَمُ
جَلَّتْ يَدُهُ وَاللَّهُ يُعْلِي مَقَامَهَا بَدَائِعَ حُسْنِ فَوْقَ مَا يُتَوَسَّمُ
وَقَدْ كُنْتُ فِي وَجْدٍ وَشِدَّةٍ وَخَشَةِ وَعَادَةُ مَوْلَانَا يَرْقُ وَيَرْحَمُ
إِلَى أَنْ أَتَى سِحْرُ بَلِّ الدَّرِّ دُونَهُ زَوَاهِرُ شَهْبٍ عِقْدُهُنَّ مُنْظَّمُ
فَطَالَعْتُ مِنْ سِرِّ الْبَلَاغَةِ مُفْصِحاً بِمَا يَكْتُبُ الْمُلْكُ الرَّفِيعُ وَيَكْتُمُ
وَأَنْ صِيَامَ الشَّهْرِ يُلْعَى لِأَجْلِهِ وَإِنْ رَاقَهُ الْحَدُّ الْمُقْبِلُ وَالْفَمُ
سَيُقْبَلُ شَوَّالٍ بِأَيْمَنِ طَلْعَةٍ يَرُوقُ بِهَا لِلْحُسْنِ جِدٌّ وَمِعْصَمُ
يَقُولُ لَكَ الْمُلْكُ الْمُهْنَأُ هَذِهِ مَوَاهِبُ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ وَأَنْعَمُ
وَتُطْلِعُ هَالَاتُ الْخِلَافَةِ نِيرَاناً بِمِلَادِهِ تَقْضِي السُّعُودُ وَتَحْكُمُ
يُكَلِّمُهُ مَوْلَايَ فِي مَهْدِ عِزِّهِ فَيُنْشِدُهُ وَالْحَالُ عَنْهُ تُتْرِجِمُ
«الْيَسَّ عَجِيباً أَنْ نَكُونَ بِلَدَةٍ كِلَانَا بِهَا ثَاوٍ وَلَا تَتَكَلَّمُ» (182م)
رِضَاكَ يُرِيْنِي وَرَبُّكَ نَاصِرُ لِمُلْكِكَ وَالْأَيَّامُ عِيدٌ وَمَوْسِمُ

(182) تقدم التعريف به.

(182م) البيت مضمَّن، وهو لعمر بن أبي ربيعة.

وَلَهُ أَيْضاً وَهْي مِنْ مُفْتَرَحَاتِ الْمَقَامِ
الكَرِيمِ أَغْلَاهُ اللَّهُ وَأَيَّدَهُ، وَوَصَلَ لَهُ مِنْ
أَسْبَابِ النَّصْرِ مَا عَوَّدَهُ، أَوَّلُهَا :

حَجَبُوهَا لَمَّا رَأَوْنِي أَفْنَى ثُمَّ قَالُوا قَدْ يَلْتَقِيهَا خَيْالاً
كُلَّمَا لُحِتَ لِلْعُيُونِ هِلَالاً رُمْتُ بِالصَّبْرِ مِنْكَ أَمراً مُحَالاً
كَيْفَ بِالصَّبْرِ وَالْفُؤَادِ رَهِيْنُ حَلِّ بِالْخَيْفِ أَرْبَعاً وَجَلَالاً
لَكَ رَقِي فَحَسِبِي الْيَوْمَ أَنِّي مَلِكُ مَنْ رَاقَ بِهَجَةٍ وَجَمَالاً
طَالَمَا خُيِّلَتْ صِفَاتُكَ حُسْنًا فَإِذَا الزُّهْرُ دُونَهُنَّ خِلَالاً
إِنْ تَكَلَّمْتَ فَأَلْعُقُودُ انْتِظَاماً أَوْ تَجَلَّيْتَ فَالْبُدُورُ اكْتِمَالاً
إِذْ تُفِيدُ الْهَدَى صَبَاحاً مُنِيرًا وَتُعِيدُ الْكَلَامَ سِحْراً حَلَالاً
أَيُّهَا السَّائِلُ الَّذِي خَبَّرْتَهُ زَفَرْتِي إِذْ أَطَالَ عَنِّي السُّؤَالُ
وَرَأَى فَوْقَ أَضْلَعِي الْيَدِ مَنِّي تَتَوَقَّى تَوَقُّداً وَاشْتِعَالاً
أَنَا مَنْ تَعْلَمُ الْحَمَائِمُ شَجْوِي حِينَ أَثْنِي غُصْنَ الْأَرَاكِ مُمَالاً
بُمِلْتُ مِنَ الدُّمُوعِ سَفُوحِ إِذْ أَجَالُوا بِالسَّفْحِ خَيْلاً عَجَالاً
وَالْمُثِيرِينَ لِلْكَتَائِبِ نَقْعاً دَاجِياً يَتْرُكُ الْحُرُوبَ سِجَالاً
وَعَرَامِي بِالْمَالِ الْكِيَّةِ يَقْضِي بَانْتِحَابِي شَرِيعَةً وَائْتِحَالاً
حِينَ يَمُمُّهَا عَقِيلَةٌ قَوْمِ رُجَحٍ فِي الْوِزَانِ جَاهاً وَمَالاً
وَرِكَابُ النُّجُومِ يَجْعَلُ شَأْنِي عَجَباً حَيْثُ يُزِمُّعُ التَّرَحَالُ
حَيْثُ نَادَيْتُ يَا خَلِيلِي صِفْ لِي بَدَرَ حُسْنٍ فَاقَ الْبُدُورَ كَمَالاً
وَأَفْضَ فِي حَدِيثِ يُوسُفَ مَوْلَى جَلِّ مِقْدَارُ وَصْفِهِ أَنْ يُنَالاً
مَلِكٌ لَا يُقَاسُ قَدْرُ غَلَاهُ بِمَدَى الشُّهْبِ مُسْتَوًى وَمَجَالاً
مَلِكٌ لَا يُرَامُ مِنْهُ جَنَابُ فَلَهُ الْمُلْكُ عِزَّةً وَجَلَالاً
وَخِلَالاً إِنْ اسْتَدِلَّ عَلَيْهَا حُجَّةُ الصِّدْقِ أَوْضَحُ اسْتِدْلَالاً
أَيُّ مُلِكٍ آبَاؤُهُ لِعَوَالِ وَمَجَالِ حُرُوبِهِ تَتَوَالِي
أَيُّ عَزْمٍ مُسْتَنْزِلٍ كُلِّ صَعْبٍ طَالَمَا أَنْزَلَ الْكُمَاةَ الثَّرَالاً

أَيُّ رَفْدٍ يَلْقَى بِهِ كُلُّ وَفْدٍ
يُوسُفُ يُوسِعُ الْبَرِيَّةَ عَدْلًا
حُلُّ الْفَخْرِ أَعْلَمَتْهَا حُلَاهُ
وَتَبَاهَتْ مُلُوكُهُ وَتَنَاهَتْ
وَالِي رَاحَتِي نَدَاهُ أَرَا حَتْ
وَعَلَيْهِ السَّمَاتُ تُغْلِنُ صِدْقًا
وَهُوَ النَّاصِرِيُّ مِنْ عَالٍ نَصْرٍ
سَتْحِيَا يَا يُوسُفِي الْمُحْيَا
إِثْرَ حَالٍ وَنُصْرَةٍ تَرْضِيهَا
وَبَايَ الْأَعْرَافِ يَعْصِمُكِهِ اللَّهُ إِمَامًا يُسَوِّغُ الْأَنْفَالَ

وَفِي مِثْلِ ذَلِكَ لِلْفَقِيهِ الْخَطِيبِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ سَالِمٍ (183)

أَمَّا سَبِيلُكَ فَهُوَ خَيْرُ سَبِيلٍ
وَنَجَائِبُ الْأَطْعَانِ مَشْرَعُهَا الصَّفَى
وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ هُمْ الْأَلَى
وَمَشَارِقُ الْبَرَكَاتِ فِيكَ مُبَيَّنَةٌ
وَجَمَالُ بَشَرِكُمْ دَلِيلٌ وَاضِحٌ
وَلَقَدْ سَرَتْ نَسَمَاتُ عَدْلِكَ فِي الْوَرَى
وَلَقَدْ غَدَتْ بِكَ رِيَّةٌ مُرْتَاحَةٌ
أَضَحَتْ بِكُمْ كَالرَّوْضِ بَاكَرُهُ الْحَيَا
إِيَّاهُ أَخَا الْحُسْنِ الْغَرِيبِ جَمَالُهُ

(183) تقدّم التعريف به.

وَالْمُرْتَضَى فِي الْمَكْرَمَاتِ فِعَالُهُ
وَالصَّفْحُ شِيْمَتُكُمْ وَشِيْمَةُ فَضْلِكُمْ
وَنَزِيلُكُمْ مَهْمَا جَنَى وَافَاكُمْ
وَمَكِينُ ذَاتِك فِي الْبَرِيَّةِ كَعَبَّةٌ
وَالْمُقْتَفِي لِلْمَجْدِ خَيْرَ سَبِيلِ
وَدَخِيلُ بَيْنِكُمْ أَعَزُّ دَخِيلِ
وَمَقِيلُكُمْ لِلصَّفْحِ خَيْرُ مَقِيلِ
وَيَمِينُ رِفْدِكَ مَوْضِعُ التَّقْيِيلِ

وَلِلْفَقِيهِ الْعَدْلِ أَبِي الْحَسَنِ الْغَافِقِيِّ (184)

يَا غُرَّةً طَلَعَتْ كَالشَّمْسِ فِي الْحَمَلِ
وَجُدَّدَ السَّعْدُ لَمَّا عَزَّ مَطْلِعُهَا
وَأَمْتَعَ الدَّهْرُ مِنْهَا بِالسُّرُورِ كَمَا
وَأَسْعَدَتْ عِنْدَمَا أَرْضَى الزَّمَانُ بِهَا
فَاهْنَأُ بِهَا دَوْلَةٌ غُرَاءَ مُوْنَقَةٍ
وَتُوسِعُ الدِّينَ وَالْدُّنْيَا وَسَاكِنَهَا
فَدُمَ لَنَا فِي مَعَالِي الْعِزِّ مُكْتَنِفًا
وَعُدَّ عَلَى الدَّهْرِ بِالشُّكْرِ الْجَمِيلِ فَقَدْ
مِنْ عِزِّ مُلْكٍ بِدَيْنِ اللَّهِ مُعْتَصِمٍ
وَاسْتَنْزَلَ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ الْإِلَهِ فَقَدْ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ فِي الدُّنْيَا لَنَا شَرَفٌ
وَاللَّهُ مَلَكَكَ الدُّنْيَا بِمَا رَحِبَتْ
وَدِنَتْ لِلنَّاسِ بِالْإِفْضَالِ مُجْتَهِدًا
كُلَّ عَلَى فَضْلِكَ الْمَبْدُولِ مُتَّفِقٌ
قَدْ حَسَنُوا فِيكَ أَقْوَالًا لِأَنَّهُمْ
وَالْبُسُوفُ فِيكَ ثَوْبُ الْحُبِّ وَاتَّصَفُوا
هَذَا وَأَنْبَاءُ دِينِ اللَّهِ قَائِمَةٌ

وَبُلَّغَ الْمُلْكُ مِنْهَا غَايَةَ الْأَمَلِ
بِدَارِ مُلْكٍ عَلَيَّ الْقَدْرِ وَالْمَثَلِ
قَدْ أَلْبَسَ الْمُلْكُ مِنْهَا أَكْرَمَ الْحُلِّ
نُفُوسَنَا بِضُرُوبِ الْأَمْنِ وَالْجَذَلِ
تُرِيكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا إِلَى أَجَلٍ
جُودًا عَلَى مَا تَرَى فِي عَيْشِكَ الْخَضِيلِ
بِكُلِّ فَضْلٍ وَعِزٍّ غَيْرِ مُنْتَقِلِ
أُولَآكَ مَا أَنْتَ تَهْوَاهُ عَلَى عَجَلٍ
وَبَذَلَ جُودَ بَذِي الْحَاجَاتِ مُتَّصِلِ
أُولَآكَ مِنْهُ مَقَامًا غَيْرَ مُنْتَقِلِ
وَنَحْنُ فِي ظِلِّ عِزِّ مِنْهُ مُنْسَدِلِ
فَقُمْتَ فِيهَا بِفَضْلِ مِنْكَ مُشْتَمِلِ
مُسْتَكْثَرًا مِنْهُ لَمْ تَرْكَنْ إِلَى مَلَلِ
مَا إِنْ يُرَى أَحَدٌ يَزِمِيهِ بِالْجَدَلِ
مِمَّا لَدَيْكَ مِنَ الْإِحْسَانِ فِي ظُلُلِ
مِنْهُ بِحُسْنِ اعْتِقَادٍ غَيْرِ ذِي دَخَلِ
عَلَى يَدَيْكَ وَأَهْلُ الشَّرْكِ فِي وَجَلِ

(184) لم نقف له على ترجمة أو ذكر.

وَالدَّهْرُ يَأْتِي بِهِمْ مُتَتَسِلِّمِينَ إِلَى
لِإِعْظَمَ اللَّهُ مِنْكَ الْأَجْرُ فِي سَبَبِ
مَقَامِ مُلْكِكَ أَعْلَى مَا افْتَتَحْتَ بِهِ
قَدْ يُسَرُّ لَكَ أَسْبَابُ السَّعَادَةِ مِنْ
فَتْحِ طَوْعِ أَيْدٍ مِنْكَ سَابِقَةٍ
نَصَرْتُ فِيكَ اعْتِقَادِي بِالْهَنَاءِ وَقَدْ
تَبَسَّرْتُ لِي سَرِيعاً عِنْدَمَا عَلِمْتُ
خُذَهَا إِلَيْكَ أَيْيَاتٍ أُنَارَ بِهَا
وَاهْتَأُ بِهَا دَوْلَةً بِالنَّصْرِ قَدْ قُرِئْتُ
حَتَّى أَنتَ وَهِيَ بِالْأَفْرَاحِ مُعْلَنَةٌ
فَأَنْتَ صَدِّيقُ هَذَا الْعَصْرِ يُوسُفُهُ (١٨٤)
لِكَيْ تَكُونَ كَمَا قَدْ شَاءَ مُتَّصِفاً
وَتُنْزِلَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا مَحَلَّهُمَا
فَالْمُلْكُ بِالذِّينِ تَرْعَاهُ وَتَحْفَظُهُ
لَا زِلْتَ نَاصِرَ هَذَا الدِّينِ مُعْتَصِماً
أَمْدَكَ اللَّهُ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ كَمَا
وَمَهَّدَ اللَّهُ أَرْجَاءَ الْبِلَادِ بِمَا
وَلَا تَعْدُنْكَ عَمَالٌ تَنَالُ بِهَا

مَعْنَاكَ فِي ذَلَّةٍ مِنْ كَثَرَةِ الْوَهْلِ
تُحْيِي بِهِ الْفِعْلَ مِنْ آبَائِكَ الْأَوَّلِ
أَرْضاً بِهَا ضَلَّ أَهْلُ الشَّرْكِ فِي سُبُلِ
فَتْحِ لَهَا فَأَقِمَّ عَنْهَا أَوْ ارْتَحِلْ
قَدْ أَوْجِبْتُ لَا بِتَأْوِيلٍ وَلَا عِلَلٍ
رَأَيْتُهَا فِيكَ لِي مِنْ أَوْجِبِ النَّحْلِ
بِأَنَّ قَصْدِي جَمِيلٌ فِيكَ لَمْ يَزَلْ
قَلْبِي وَأُبْدَيْتُ مَا أَخْفَاهُ مِنْ غُلَلٍ
كَأَنَّ لِمُلْكِكَ عِزّاً حَقٌّ فِي الْأَزَلِ
تَهْوَى لِقَاءَكَ بِالْإِقْبَالِ وَالْقَبْلِ
أَعْطَيْتَ مُلْكَكَ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَهَلٍ
بِكُلِّ فَضْلٍ بِحَالِ الْمُلْكِ مُحْتَمِلٍ
وَالْفَضْلُ مِنْكَ لَدَى الْحَالِينَ لَمْ يَحِلْ
وَالذِّينُ تَنْصُرُهُ بِالسَّيْفِ وَالْأَسَلِ
بِاللَّهِ فِي كُلِّ قَوْلٍ مِنْكَ أَوْ عَمَلٍ
قَدْ أُلَيْسَتْ مِنْكَ نَصراً خَيْرَةَ الدُّوَلِ
حُفَّتْ بِهِ مِنْكَ مِنْ خَيْلٍ وَمِنْ خَوَلِ
مَا شِئْتَهُ لِصَلَاحِ الدِّينِ مِنْ أَمَلٍ

وَمِمَّا رَفَعَ لِمَقَامِهِ الْكَرِيمِ أَسْمَاهُ اللَّهُ الْفَقِيهُ
الْمَرْفُوعُ الْأَعَزُّ أَبُو الْقَاسِمِ الْعَرَّادِي (١٨٥)

لِمَوْلَايَ حِلْمٌ لَا يُقَاسُ بِهِ حِلْمٌ وَمُلْكٌ عَظِيمٌ زَانَهُ الدِّينُ وَالْعِلْمُ

(١٨٤م) مأخوذ من الآية الكريمة : ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا...﴾.

(١٨٥) لم نقف على ترجمته أو ذكره، وإنما وقفنا على ترجمة أحد أفراد هذا البيت الغرناطي، وهو محمد =

وَفَضْلٌ وَإِشْفَاقٌ وَجُودٌ وَرَأْفَةٌ
وَمَاذَا عَسَى يُثْنِي عَلَيْكَ مُقَصِّرٌ
وَلَكِنِّي الْعَبْدُ الَّذِي ظَلَّ فِكْرُهُ
فَهَذَا هَنَائِي يَا أَمَامَ عِبَادِهِ
أَتَاكَ رَسُولُ الْعَرَبِ يَلْتُمُ رَاحَةً
وَهَلْ فِي الْمُلُوكِ الْأَعْظَمِينَ مُؤَمِّلٌ
وَفِيكَ أَدَامَ اللَّهِ مُلْكَكَ رَحْمَةً
وَعَبْدُكَ يَا مَوْلَايَ يَرْجُوكَ مُنْعِمًا
يُخَوِّفُنِي دَهْرِي وَأَنْتَ مُؤَمِّنٌ
وَيُلِحُّنِي مَوْلَايَ ظِلٌّ وَقَايَةٌ
وَقَصْدِي يَا مَوْلَايَ رُؤْيَةٌ وَجْهَكُمْ
وَيَذْهَبُ مَا بِي مِنْ عَنَاءٍ وَذِلَّةٍ

وَرِفْدٌ عَمِيمٌ سَابِغٌ شَائِعٌ جَمٌّ
وَمِنْ دُونِ مَا أُوتِيَتْهُ فِي الْعُلَى النَّجْمُ
وَلَوْلَا هُدَى مَوْلَايَ لَمْ يُمَكِّنِ النَّظْمُ
وَيَا مَنْ بِهِ فِي الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ يُؤْتَمُّ
لَهَا فِي مُلُوكِ الْأَرْضِ يُسْتَوْجَبُ الثَّمُّ
سِوَاكَ فَأَنْتَ الْأَوْحَدُ الْبَاسِلُ الشَّهْمُ
إِذَا مَا جَرَى فِي كُلِّ مُغْضِلَةٍ حُكْمُ
فَحَرَبُ زَمَانِي لَا أَمَانٌ وَلَا سَلْمُ
عَسَى بِأَمْتِنَانٍ مِنْكَ يَخَيُّ لِي الرَّسْمُ
فَتَنْسَجِبُ التُّعْمَى وَيَرْتَفِعُ الضَّيْمُ
مَعَ الصَّحْبِ فِي يَوْمِ السَّلَامِ لِكَيِّ أَسْمُ و
وَتُكَبِّتُ حُسَادِي لِذَاكَ وَتَعْتَمُّ

وَمِنْ مَرْفُوعَاتِهِ أَيْضًا

قَسَمًا بِمَنْ أُولَى الْمَقَامِ النَّاصِرَا
فَعَلَى عُدَاةِ الدِّينِ مِنْ عَزَمَاتِهِ
وَإِذَا قَضَى بِالسَّلَامِ كَيْفَ يُرِيدُهُ
وَيُيَادِرُ الْحُكْمَ الْمُطَاعَ مُؤَمِّلًا
هَذَا وَأَمَّا كُلُّ عَبْدٍ رَاغِبٍ
يَكْفِي الْمَحْيَا الْيُوسُفِي وَمَا عَسَى
الْبُحْرُ لَا تُحْصَى صِفَاتُ هِبَاتِهِ

مُلْكًا وَتَأْيِيدًا وَعِزًّا قَاهِرَا
بَأْسُ يَرُوعُ بِهِ الْعَدُوُّ الْكَافِرَا
كَانَ الْكُفُورُ يُطِيعُ مِنْهُ أَوَامِرَا
مِنْ رَاحَتِكَ فَوَاضِلًا وَمَآثِرَا
مِنْكَ الرِّضَى فِيهِ عَفْوًا قَادِرَا
يُثْنِي عَلَيْهِ نَاطِمًا أَوْ نَآثِرَا
لَأَسِيْمَا إِنْ كَانَ عَذْبًا زَاخِرَا

= ابن علي بن عبد الله بن علي القيسي العرادي، عرّف به ابن الخطيب في الإحاطة، وذكر أنه وُلد عام 731 هـ وتوفي عام 755 هـ وهو دون العشرين، وكان أبوه أمين العطارين في غرناطة وقال إن فقده كان خسارة للشعر، وقد يكون أبو القاسم العرادي أحياناً للمذكور أو قريباً له، الإحاطة

كَمْوَاهِبٍ مِنْ جُودِ مَوْلَانَا الَّذِي
 إِنَّ الْمُلُوكَ وَإِنْ تَعَاظَمَ مُلْكُهُمْ
 وَإِذَا الْعَبِيدُ الْقَاصِدُونَ لِبَابِهِ
 مَا طَلَعَةُ الصُّبْحِ الْمُنِيرِ كَوَجْهِهِ
 فَبَوَاجِبِ مَوْلَايَ يَدْعُو عَبْدُكُمْ
 حَتَّى يُقْبَلَ فِي ثَرَى أَقْدَامِكُمْ
 وَمَعَاذَ مَوْلَانَا الرَّؤُوفِ بَعْدِهِ
 الْعَدْلُ أَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَحَلُّهُ
 يُرْجَى وَلِيًّا فِي الْخِلَافَةِ نَاصِرًا
 فِيهِ ارْتَفَعُوا فَوْقَ السَّمَاءِ مَظَاهِرًا
 نَظَرُوا إِلَيْهِ رَأَوْا مُحِيًّا بَاهِرًا
 مَهْمَا تَجَلَّى النُّورُ مِنْهُ سَافِرًا
 مُتَضَرِّعًا فِي كُلِّ حَالٍ شَاكِرًا
 عَبْدًا خَدِيمًا وَارِدًا أَوْ صَادِرًا
 أَنْ يَتْرَكَ الدَّهْرَ الْمُرَوِّعَ جَائِرًا
 فَلْتَرْحَمُوا عَبْدًا كَسِيرًا حَائِرًا

وَمِمَّا رَفَعَ لِمَقَامِهِ الْكَرِيمِ أَسْمَاهُ اللَّهُ
 الشَّرِيفُ الْمُرْفَعُ أَبُو عَامِرِ بْنِ أَبِي
 مَنْصُورٍ الْحُسَيْنِيِّ الْمَكِّيِّ (186)

ظَفَرْتَ بِالْيَمَنِ وَالْإِقْبَالِ وَالْأَمَلِ
 وَدُمْتَ فِي نِعَمٍ تَتَرَى مُجَدَّدَةً
 يَا خَيْرَ مَوْلَى تَوَلَّى الْأَرْضَ قَاطِبَةً
 أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي تُرْجَى لِنُصْرَتِنَا
 إِذَا حَلَلْتَ بِأَرْضٍ لَمْ تَدْعُ سَقَمًا
 لِلَّهِ يُوسِفُ الْمَوْلَى مَكَارِمُهُ
 مُقَدَّسُ الذِّكْرِ فِي حِلْمٍ وَفِي كَرَمٍ
 أَبْدَى طَرِيقَ الْهُدَى وَالْحَقِّ فَاتَّضَحَّتْ
 وَأَصْبَحَ الدِّينُ مَنْصُورًا بِنُصْرَتِهِ
 دَلَّتْ عَلَى عَدْلِهِ فِينَا دِيَانَتُهُ
 أَحْيَى مَا ثَرَهُمْ أَسْمَى مَنَاقِبُهُمْ
 وَالنَّصْرَ وَالْفَتْحَ وَالْإِنْسَاءَ فِي الْأَجَلِ
 عَلَى التَّعَاقُبِ فِي الْأَسْحَارِ وَالْأَصْلِ
 مَا لِلشَّرِيفِ سِوَاكُمْ فِي الزَّمَانِ وَلِي
 بِالْهِنْدُوَانِيَّ وَالْعَسَالَةِ الذُّبُلِ
 فَأَنْتَ فِيهَا كَمِثْلِ الْعَارِضِ الْهَطْلِ
 جَلَّتْ عَنِ الْوَصْفِ وَالتَّشْبِيهِ وَالْمِثْلِ
 مُطَهَّرُ الدَّلِيلِ مَحْفُوظٌ مِنَ الزَّلَلِ
 شُمُوسُهُ فَاهْتَدَيْنَا أَوْضَحَ السَّبِيلِ
 وَالسَّعْدُ سَاعَدَهُ وَالْدَّهْرُ فِي جَدَلِ
 وَالْمَجْدُ يَرْوِيهِ عَنْ أَسْلَافِهِ الْأَوَّلِ
 أَبْدَى شَمَائِلُهُمْ كَالشَّمْسِ لَمْ تَحِلْ

(186) لم نقف على ترجمته.

رَوَى الْأَنَامُ بَعِثَ جَادَ صَبِيَّهُ
حُسْنَ الثَّنَا يَشْتَرِي إِنْ عَزَّ مَطْلَبُهُ
لَهُ مَكَارِمُ أَخْلَاقٍ وَهِمَّتُهُ
يَسْتَحْدِمُ الشُّهْبَ عَنْ جُنْدٍ وَعَنْ حَشَمٍ
تَبَارَكَ اللَّهُ مَا أَسْمَاهُ مِنْ مَلِكٍ
أَيَّامُهُ أَقْبَلَتْ بِالسَّعْدِ مُشْرِقَةً
مَوْلَايَ عَبْدُكَ قَدْ وَافَاكَ مُنْتَظَرًا
يَرْجُوكَ فِي الْوَعْدِ بِالْإِنْجَازِ إِنْ لَهُ
وَقَوْلُ مَوْلَايَ مَهْلًا فِي تَلَطُّفِهِ
وَالْأَمْرُ يُنْفِذُهُ وَالْوَعْدُ يُنْجِزُهُ
أَنْعَمَ عَلَيْهِ وَجُدْ وَاحْفَظْ تَوَسَّلْهُ
لَا زِلْتَ يَا نَاصِرَ الْإِسْلَامِ تَنْصُرُهُ

يَوَاكِفَ عَمَّ بَعْدَ النَّهْلِ بِالْعَلَلِ
بِمَا حَوَى الْمُلْكُ مِنْ حَلِيٍّ وَمِنْ حُلِّ
كَمَا اقْتَضَتْهُ الْعُلَى تَعْلُو عَلَى زُحَلٍ
إِذَا بَدَا بَدْرُهُ لِلْحَيْلِ وَالْحَوَلِ
وَمِنْ كَرِيمٍ وَمِنْ لَيْثٍ وَمِنْ بَطَلٍ
كَأَنَّهَا الشَّمْسُ حَلَّتْ مَنْزِلَ الْحَمَلِ
مَا أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
تَعْلَقًا بِانْتِسَابٍ لِلْإِمَامِ عَلِيٍّ
يُنَبِّي بِأَنَّ الْمُنَى تَأْتِي عَلَى عَجَلٍ
لَكِنَّهُ «خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ»
بِحَدِّهِ خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ وَالرُّسُلِ
بِرَايَةِ النَّصْرِ بَيْنَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ

وَمِنْ مَرْفُوعَاتِهِ أَيْضًا لِمَقَامِهِ الْكَرِيمِ أَسْمَاهُ اللَّهُ وَأَعْلَاهُ

أَمَوْلَايَ إِنْ الصَّيْفَ جَازَ وَلَمْ أَجِدْ
وَلَكِنْ رَأَيْتُ النَّاسَ ضَمُّوا حَصِيدَهُمْ
فَوَاللَّهِ مَا جَادَ الزَّمَانُ بِحَبَّةٍ
فَوَلَّى زَمَانُ الصَّيْفِ عَنَّا كَأَنَّا
أَمَوْلَايَ أَمْنِي بِإِنْجَازِ مَوْعِدٍ
فَأَمَنْ مِنْ فَقْرِي إِذَا تَمَّ مَطْلَبِي

بَيْنِي دَلِيلًا مَا يَدُلُّ عَلَى الصَّيْفِ
وَمَا ادَّخَرُوا مِنْ حَبَّةٍ لِقَرَى الصَّيْفِ
وَمَهْمَا ذَكَرْتُ الصَّيْفَ طُرِدْتُ بِالصَّيْفِ
رَأَيْنَاهُ كَالْأَحْلَامِ فِي سِنَةِ الطُّيْفِ
بَصَفْحٍ وَعَفْوٍ دُونَ ضَيْمٍ وَلَا خَيْفٍ
أَمَانِي بَعْدَ الْحَجِّ فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ

وَمِنْ الْمَرْفُوعَاتِ لِلْمَقَامِ الْكَرِيمِ

لَدَيْكَ هُوَ الْإِحْسَانُ وَالْعَدْلُ وَالتَّوَدَّى
خُصِصَتْ بِهَذَا الْمُلْكِ إِذْ أَنْتَ أَهْلُهُ

وَأَنْتَ الَّذِي جَلَّتْ لَدَيْهِ الْمَعَارِفُ
وَحُزَّتْ كَمَالًا لَيْسَ فِيهِ مُحَالِفُ

وُقِيَتِ الرَّدَى يَوْمَ الْحُرُوبِ مَعَ الْعِدَى وَأُمِنْتُ مِمَّا مِنْهُ قَدْ خَافَ خَائِفُ
فَيْسَرَ لِي الْمَأْمُولُ فِيمَا طَلَبْتُهُ فَشَأْنُكَ إِفْضَالُ بِهِ أَنَا عَارِفُ
فَهَذَا بِفَضْلِ اللَّهِ مَا مِنْهُ مَانِعٌ وَذَاكَ بِحَوْلِ اللَّهِ مَا عَنْهُ صَارِفُ

وَلِمَمْلُوكٍ نِعْمَتِهِ الْكَرِيمَةِ كَاتِبُ هَذَا
بِأَمْرِهِ الْعَلِيِّ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ
فَرْكُونِ الْقَرَشِيِّ يَمْدَحُ مَقَامَهُ الْكَرِيمَ

حَادِيهَا أَيْنَ بِهَا تَذَهَبُ إِذْ لَيْسَ عَنْ وَرْدِ الْمُنَى مَذْهَبُ (187)
هَذَا هُوَ الرَّبْعُ بِهِ لِلظُّبَا وَالْأَنْجَمِ الْمَرْتَعُ وَالْمَرْقَبُ
إِنْ تَسْأَلِ الرَّفْدَ يَجِدْكَ الْحَيَا أَوْ تَسْتَضِيءُ فَالْتُّورُ لَا يُحْجَبُ
لَا يُظْمِئُ الْوَجْدُ الْحُمُولَ الَّتِي سَرَتْ وَمِنْ دَمْعِي لَهَا مَشْرَبُ
شَامَتْ سَنَا بَارِقَهَا كُلَّمَا يَجِيءُ فِي الظُّلُمَاءِ أَوْ يَذْهَبُ
إِنْ هُزَّ فَهَوَ ذَابِلُ مُشْرِعُ أَوْ سُلَّ فَهَوَ صَارِمُ مُذْهَبُ
وَأَذْهَمُ اللَّيْلِ يُجِدُّ السُّرَى يَتَّبِعُهُ مِنْ صُبْحِهِ أَشْهَبُ
قَدْ عَقِدَ الْفَجْرُ لَهُ رَايَةً عَقْدُ الدَّرَارِي تَحْتَهَا يُنْهَبُ
وَجِيرَةُ الْحَيِّ لَهُمْ أَوْجُهُ نُورُ الضُّحَى بِحُسْنِهَا مُعْجَبُ
يَشِبُّ وَجْدُ الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِهِمْ مَهْمَا تَبَدَّى فَوْدُهُ الْأَشْيَبُ
سَعَى بِي الْوَاشِي لَهُمْ عِنْدَمَا قَدْ خَيَّمُوا وَالسَّعَى مَا خَيَّوَا
مَا لِي وَلِلْعَذَالِ مَا شَأْنُهُمْ كُلُّ مُحِبٍّ بِهِمْ مُتَعَبُ
قَدْ عَلِمُوا بِأَنَّ أَهْلَ الْهَوَى كُلُّ عَذَابٍ عَنْدهُمْ يَعْذُبُ
هَلْ أَعَيْنَ فَوْقَنَ أَمْ أَنَّهُمْ تُصْمِي بِهَا قُلُوبَنَا الرَّبْرَبُ
هَذَا وَكَمْ لِلدَّهْرِ مِنْ جَفْوَةٍ لَا تُبْلَغُ الْآمِلُ مَا يَطْلُبُ
كَمْ قَلَبْتُ قَلْبِي فِي جَمْرِهَا وَإِنَّهُ لَحَوْلٌ قُلُوبُ (188)

(187) توجد هذه القصيدة في ديوان ابن فركون 107 — 109.

(188) يقال : رجل قلب حول : يقلب الأمور ويختال الحيل.

دَهْرٌ جَهَامٌ سَخْبُهُ كُفْلًا
فَأَيْنَ مِنْهُ يَا إِمَامَ الْهُدَى
حَدَائِقُ الْأَدَابِ مُذْ أُمَحَلْتُ
وَلَمْ يَجِدْ لِلْجُودِ غَيْثٌ بِهَا
لَكِنَّ مَوْلَايَ لَهُ رَاحَةٌ
لَا عَجَبٌ مِمَّا جَفَا أَوْ جَنَى
كَمْ مَنَعَ الْمَرْغُوبَ لِي مَانِحًا
كَمْ صَدَّنِي عَنْ مَطْلَبِي ظَالِمًا
كَمْ حَمَلَ الْمُعْرَمَ مَا لَا يَفِي
كَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بَتُّهَا سَاهِرًا
وَبَدَّرَهَا كَأَنَّهُ بَيْنَهَا
يُوسُفُ الْمَوْلَى الَّذِي عِنْدَهُ
يُوسُفُ النَّاصِرُ بَحْرُ النَّدى
فَالْهَامِيَانِ رَحْمَةً لِلْوَرَى
وَالْتَّيْرَانِ فِي ظِلَامِ الدُّجَى
وَالطَّيْعَانِ لِعَلَى مُلْكِهِ
وَالْمَاضِيَانِ مِنْهُ يَوْمَ الْوَعَى
وَالْأَشْرَفَانِ بِحُلَى ذِكْرِهِ
وَالنَّاصِرَانِ مَنْ لِمُرَوَانِهَا
ذَلِكَ مَلِكٌ أَصْلُهُ مَكَّةُ
أَنْصَارُ دِينِ اللَّهِ آبَاؤُهُ
مَوْلَى يُنِيلُ الْخَلْقَ إِرْفَادُهُ

(189) رَضْوَى وَغُرَّبَ : جَبَلَانِ مَعْرُوفَانِ.

(190) هُوَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ الْخَزْرَجِيِّ، وَبَحْرُ النَّدى : فِي نَسْخَةٍ : بَدْرُ الْهُدَى.

(191) النَّاصِرُ الْمُرَوَّانِيُّ هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الثَّالِثُ، وَالنَّاصِرُ السَّعْدِيُّ هُوَ يُوسُفُ الثَّالِثُ وَنَسَبَتْهُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ.

يُرْجَى الْحَيَا وَبَرُّقُهُ خُلْبُ
إِلَّا إِلَى عَلَيَّاكَ الْمَهْرَبُ
مَا هَبَّ مِنْهَا نَفْسٌ طَيِّبٌ
فَلَا جَنَابَ عِنْدَهَا مُحْصِبُ
دِيمَتُهَا الْآنَ بِهَا تَسْكُبُ
فَكُلُّ دَهْرٍ شَأْنُهُ مُعْجَبُ
مَا كُنْتُ عَنْهُ دَائِمًا أَرْغَبُ
وَسَدَّ لِي دُونَ الْمُنَى الْمَذْهَبُ
بِحَمْلِهِ رَضْوَى وَلَا غُرَّبُ (189)
تَكَادُ فِيهَا الشُّهُبُ لَا تَغْرُبُ
وَجْهُ ابْنِ نَصْرِ حَقَّهُ الْمَوْكِبُ
لَسَائِلِيهِ الْأَهْلُ وَالْمَرْحَبُ
وَمَنْ لَهُ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ (190) أَبُ
نَوَالِهِ وَالْمَطَرُ الصَّيْبُ
جَبِينُهُ الْمَشْرِقُ وَالْكَوْكِبُ
بَعْدَلِيهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ
عَزَمْتُهُ وَسَيْفُهُ الْمُرْهَبُ
مَذْحِي لِمَوْلَايَ وَمَا أَكْتُبُ
يُنْمَى وَمَنْ لِسَعْدِهَا يُنْسَبُ (191)
وَذَا إِمَامَ دَارُهُ يَثْرِبُ
لِلَّهِ مَوْلَى مِنْهُمْ أَنْجَبُ
إِنْ سَأَلُوا وَالْعَفْوُ إِنْ أَذْنُبُوا

مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ تَقْضِي لَهُ
فَالْجَلْمُ وَالْعِلْمُ لَهُ شِيْمَةٌ
مَآثِرٌ لَيْسَتْ لِمَلِكٍ مَضَى
لَوْ أَبْصَرْتُ مِنْهُ مُلُوكٌ مَضُوا
بِالنَّصْرِ وَالْهَدْيِ وَبِالرُّشْدِ فِي
فِي حَرْبِهِ أَوْ سَلَمِهِ سَيْفُهُ
إِنْ قَطَّبَ الْخَوْفُ وَجُوهَ الْعِدَى
سَوْفَ يُرَى يَفْتَحُ مِنْ أَرْضِهِمْ
وَالْبَيْضُ قَدْ قَامَتْ لَدَيْهِ عَلَى
وَالسُّمُرُ تَرْتَاحُ إِذَا مَا غَدَا
يَا مَلِكُ الدُّنْيَا الَّذِي عَدْلُهُ
بَلَغَتْ عَامَالِي بِمَا نَلْتُهُ
فَلَا يَخِيبُ لِي الْيَوْمَ مَقْصَدُ
مَوْلَايَ خُذْهَا مِدْحَةً قَدَّةً
قَبُولُكَ الْقَصْدُ فَمَنْ نَالَهُ
وَصُفْكَ لَا يَأْتِي بِهِ شَاعِرٌ
فَدُمْتَ لِلْإِسْلَامِ مَا أَصْبَحَتْ

أَنْ يَيْذُلَ الْعُتْبَى وَلَا يَعْتَبُ
وَالْحَزْمُ وَالْعَزْمُ الَّذِي يُرْهَبُ
هَيْهَاتَ لَا تُحْصَى وَلَا تُحْسَبُ
مَآثِرًا عَنْ ذَاتِهِ تُعْرِبُ
آرَائِهِمْ وَالْأَمْنِ مَا لُقِّبُوا
وَسَيِّئُهُ الْمُرْغَبُ وَالْمُرْهَبُ
فَكُلُّ ثَغْرِ ثَغْرُهُ أَشْنَبُ
مَا هُوَ مُسْتَعَصِرٌ وَمُسْتَصْعَبُ
مَنَابِرٍ مِنْ هَامِهِمْ تَخْطُبُ
سِنَانُهَا مِنْ دَمِهِمْ يُخْضَبُ
بِهِ انْجَلَى عَنْ أَفْقِهَا الْعَيْهَبُ
لَمْ يَبْقَ لِي مِنْ بَعْدِهَا مَطْلَبُ
وَلَا مَرَامٌ رُمْتُهُ يَصْعَعِبُ
وَلَفْظُهَا عَنْ مَقْصِدِي مُعْرِبُ
فَوْقَ السَّحَابِ ذَيْلُهُ يَسْحَبُ
سَيَّانٍ مَنْ يُطْنِبُ أَوْ يُسْهَبُ
شَمْسُ الضُّحَى أَنْوَارَهَا تَصْحَبُ

وَقُلْتُ أَمْدَحُ مَقَامَهُ الْكَرِيمِ أَسْمَاهُ اللَّهُ

أَمِنْ بَارِقِ أَعْلَامٍ نَجْدٍ يُصَافِحُ
يَلُوحُ بِآفَاقِ الشَّائِبَا كَأَنَّهُ
كَلِفْتَ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ بِجِирَةٍ
تَذَكَّرْتُ عَهْدًا بِالْحِمَى وَهُوَ نَارِحُ (192)
مُصَافِي وَدَادٍ بِالسَّلَامِ مُصَافِحُ
جَوَانِحُهَا وَجَدًا إِلَيْهِمْ جَوَانِحُ

(192) توجد في الديوان : 110 — 112 وجاء في مقدمتها هناك ما يلي : «وقلت في مدحه أيده الله في أول محرم عام أحد عشر وثمانمائة حسبا يظهر منها».

لَقَدْ قَيَّدَ الْأَبْصَارَ حُسْنُ أَوَانِسٍ
وَمَا هِمَّتْ حَالُ الْبُعْدِ إِلَّا لِأَنَّهَا
وَمَا ارْتَأَحَتْ الرُّكْبَانُ إِلَّا لِأَنَّهَا
وَمَا صَدَحَتْ وَرَقَاءُ إِلَّا لِأَنَّهَا
وَمَا انْعَطَفَتْ إِلَّا غُصُونُ نَوَاعِمٍ
وَمَا حَلَّتِ الْقُلُوبَ الْمَشُوقَ سِوَى حُلَى
وَمَا سَالَ دَمْعُ الْعَيْنِ إِلَّا مُصَرِّحاً
وَمَا ضُمَّنْتَ إِلَّا أَحَادِيثَ خُلَّةٍ
وَمَا طَابَ عَرَفُ الزَّهْرِ إِلَّا لِأَنَّهُ
وَمَا رَاقَ نَظْمُ الشَّعْرِ إِلَّا لِأَنَّهُ غَدَتْ
وَمَا أَشْرَقَ الْإِصْبَاحُ إِلَّا لِأَنَّهُ بَدَتْ
وَمَا رَاعَ نَسْرُ الشُّهْبِ إِلَّا جَمَالُهُ
وَمَا ارْتَأَعَتِ الشُّهْبَانُ إِلَّا لِأَنَّهُ
وَمَا رَعِشَتْ إِلَّا لِتَأْخُذَ حِذْرَهَا
وَمَا اعْتَزَّ دِينَ اللَّهِ إِلَّا لِأَنَّهُ
وَمَا سَيْفُهُ إِلَّا دَمَ الْكُفْرِ سَافِحٍ
هُوَ الْمَلِكُ الْأَعْلَى الْهَمَامُ الَّذِي بِهِ
وَهْلُ يُوسُفَ إِلَّا إِمَامٌ مُؤَيَّدٌ
وَهْلُ يُوسُفَ إِلَّا إِمَامٌ لِعَزْمِهِ
يُعَوِّدُ بِالسَّبْعِ الْمَثَانِي كَمَالُهُ
تَوَاضَعَ لِلَّهِ الْعَظِيمِ وَقَدْرُهُ
يَنْبَغُ مِنَ الْأَمْدَاحِ طِيبُ ثَنَائِهِ
يَفِيضُ عَلَى الْعَافِينَ جُودٌ يَمِينُهُ
لَقَدْ أَمَلُ الْقُصَادُ مِنْهُ مَثَابَةً

لَهُنَّ قُلُوبُ الْهَائِمِينَ مَسَارِحُ
قُلُوبٌ تَلَاقَتْ وَالْجُسُومُ نَوَازِحُ
يَمُرُّ بِهَا لِلشَّوْقِ غَادٍ وَرَائِحُ
تُطَارِحُنَا بَثُّ الْهَوَى وَتُطَارِحُ
وَمَا التَّفَتُّ إِلَّا ظَبَاءُ سَوَانِحُ
بِهَا الْجَفْنُ فِي رَوْضِ الْمَحَاسِنِ سَارِحُ
بِمَا ضُمَّنْتَ مِنْ حُبِّهِنَّ الْجَوَانِحُ
أَتَيْحَ لَهَا مِنْ صَاحِبِ الْعَيْنِ شَارِحُ (١٩٢م)
تُمَارِضُهُ مِنْ ذِكْرِهِنَّ نَوَافِحُ
لِنَاصِرِ دِينَ اللَّهِ فِيهِ الْمَدَائِحُ
عَلَى الشَّمْسِ مِنْ وَجْهِ ابْنِ نَصْرِ مَلَامِحُ
فَحُتَّ جَنَاحُ مِنْهُ لِلْغَرْبِ جَانِحُ
تَعَالَى لَهُ قَدْرٌ عَلَى الشُّهْبِ طَامِحُ
وَقَدْ رَاقَ صُبْحٌ مِنْ مُحِيَّاهُ لَائِحُ
يُدَافِعُ أَحْزَابَ الْعِدَى وَيُكَافِحُ
وَمَا حِلْمُهُ إِلَّا عَنِ الذَّنْبِ صَافِحُ
تَجَلَّتْ مِنَ الدَّهْرِ الْخُطُوبُ الْفَوَادِحُ
لَهُ تَخَضُّعُ الصَّيْدِ الْمُلُوكُ الْجَحَاجِحُ
تَلِينُ صُرُوفُ الْخُطْبِ وَهِيَ جَوَانِحُ
وَتُتْلَى عَلَيْهِ الْمُحْكَمَاتُ الْفَوَاتِحُ
لَهُ فَوْقَ آفَاقِ النُّجُومِ مَطَامِحُ
فَتَسْرِي بَرِّيَاهُ الرِّيَّاحُ اللَّوَاقِحُ
فَتُرَوِّي النَّدَى عَنْهُ السَّحَابُ الدَّوَالِحُ
لَهَا الْقَصْدُ مَبْرُورٌ بِهَا السَّعْيُ نَاجِحُ

كَأَنَّ عَطَايَا يُوسُفَ وَاهِبِ النَّدَى
كَأَنَّ سَجَايَا يُوسُفَ مَلِكِ الْهُدَى
كَأَنَّ مَذَاكِي يُوسُفَ يَوْمَ حَرْبِهِ
كَأَنَّ عَوَالِي يُوسُفَ قُضِبُ دَوْحَةِ
سَتَّغُزُو الْأَعَادِي وَالْبُرُوقُ صَوَارِمُ
وَتَمْلِكُ أَرْضَ اللَّهِ غَرْبًا وَمَشْرِقًا
حُسَامُكَ مَسْلُوكٌ وَسَهْمُكَ صَائِبُ
وَرِفْدُكَ مَمْنُوحٌ وَعَفْوُكَ شَامِلُ
وَهَا أَنَا يَا مَوْلَايَ قَصْدِي مُبْلَغُ
وَرَبْعِي مَعْمُورٌ وَأُفْقِي نَيِّرُ
فَخُذْهَا كَمَا شَاءَ الْبَيَانُ عَقِيلَةً
وَمَا أَنَا فِي نَظْمِي مُجِيدٌ وَإِنَّمَا
وَهْلُ طَائِرِ الْفِكْرِ الَّذِي أَمَلِ النَّدَى
وَكَيْفَ تُضَاهِي فِي النِّظَامِ مَكَائِنِي

غَوَادٍ غَوَادٍ بِالنَّوَالِ رَوَائِحُ
كَوَائِبُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ لَوَائِحُ
سَفَائِنُ فِي بَحْرِ النَّجِيعِ سَوَائِحُ
تُظَلُّ وَمَشْبُوبُ الْهَوَاجِرِ لَافِحُ
يَحْفُ بِهَا لِلشُّهْبِ رَامٍ وَرَامِحُ
وَهْلُ مَانِعٍ مِنْ ذَاكَ وَاللَّهُ مَانِحُ
وَجُنْدُكَ مَنْصُورٌ وَسَعْدُكَ فَاتِحُ
وَبَشْرُكَ مَبْذُولٌ وَفَضْلُكَ وَاضِحُ
بِمَا كُنْتُ أَرْجُوهُ وَتَجْرِي رَابِحُ
وَرَوْضِي مَمْطُورٌ وَزَهْرِي نَافِحُ
إِلَيْكَ بِهَا طَرْفُ الْبَلَاغَةِ جَامِحُ
قَبُولُكَ زَنْدُ الْفِكْرِ مِنِّي قَادِحُ
إِلَى الْوَرْدِ صَادٍ وَهُوَ بِالْمَدْحِ صَادِحُ
لَدَيْكَ وَلَمْ يَمْدَحْكَ قَبْلِي مَادِحُ

وَقُلْتُ أَمْدَحُهُ أَيَّدَهُ اللَّهُ وَحَلَّدَ مُلْكُهُ

مَقَامُكَ لِلْقَصَادِ كَهْفٌ وَمَلْجَأُ
وَجُودُكَ بَحْرٌ لِلْعَفَاةِ فَإِنْ جَرَتْ
وَوَالِلَهُ مَا أَذْرِي وَوَجْهُكَ لَائِحُ
إِذَا اسْتَفْتَحَ الْمَدَاحُ يَوْمًا كَلَامَهُمْ
وَلَا حَتَّ لِدِينِ اللَّهِ مِنْكَ مَحَائِلُ
كَذَلِكَ سَحْبُ الْأَفْقِ يُرْجَى انْسِكَابُهَا

وَلِلَّامِلِ الْمُحْتَاجِ وَرَدُّ مُهْنًا⁽¹⁹³⁾
بِهِمْ سَفْنُ الْأَطْمَاعِ بَابُكَ مَرْفَأُ
أَنْوَرُ الضُّحَى أَمْ نُورُهُ يَتَلَأَلُ
فَكُلَّ بِمَا تُبْدِي سَعُودُكَ يَبْدَأُ
تَدُلُّ عَلَى النَّصْرِ الْعَزِيزِ وَتُنْبِئُ
إِذَا مَا اسْتَنَارَ الْبَارِقُ الْمُتَلَأَلِيُّ

(193) توجد في الديوان : 124 — 125 وقد جاء في مقدمتها : «وقبل ذلك أمر لي أيده الله بتنفيذ الغزاة بحضرته العلية وسائر البلاد النصرية وأبطأ الظهير الكريم بذلك في العلامة فقلت في منتصف ربيع الآخر عام أحد عشر وثمان مائة».

إِذَا لَمْ يُلْحَ بِدُرِّ الدُّجَنَةِ مُشْرِقاً
 وَإِنْ بَخَلَ الْعَيْثُ الْمِلْثَ بِجَوْدِهِ
 فَلَا قُطْرَ إِلَّا وَهُوَ يَنْغِيكَ مَالِكاً
 فَتُورُ الْهُدَى لِلْمُجْتَبَى غَيْرُ عَافِلٍ
 إِذَا ذُكِرَ الْمَوْلَى الْخَلِيفَةُ يُوسُفُ
 وَحَسْبُ مُجِيدِ النَّظْمِ وَالنَّشْرِ أَنَّهُ
 لِأَنَّ أَبَا الْحَجَّاجِ مَوْلَايَ حُجَّةً
 إِذَا احْتَفَلْتَ هَالَاتُ أَفِقٍ فَإِنَّهَا
 وَمَنْ ذَا يُبَالِي بِأَلْهَوَاجِرِ تَلْتَظِي
 يُنَادِي نَدَاهُ وَالظَّلَالُ مُرِيحَةً
 وَمَنْ أَنْحَلْتَهُ «صَحَّ هَذَا» بِوَعْدِهَا
 تَحُطُّ أَيْدُ الْعَرَاءِ مِنْهَا عَلَامَةٌ
 هُوَ الْمَلِكُ الْأَرْضَى الَّذِي عَزَمَائِهِ
 يَصُولُ وَمَشْهُودُ النَّصَالِ كَانَتْهَا
 وَبِالسَّعْدِ قَبْلَ السَّيْفِ إِنْ شَهِدَ الْوَعَى
 فَيَرْتَاخُ فِيهَا الرُّمَحُ وَالرَّوْعُ عَابِسُ
 بِهِ فِي ثَبَاتِ الْعِزِّ وَالْحَزْمِ يُقْتَدَى
 مُجَاهَدَةُ الْأَنْصَارِ قَامَ بِعِيْنِهَا
 رَأَى الْمُصْطَفَى مِنْ سَعْدِهِمْ أَنَّ نَجْلَهُ
 كَفَى بِكِتَابِ اللَّهِ مَدْحاً لِأُسْرَةٍ
 وَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ
 إِذَا الْخَزَرَجُ الْأَعْلَوْنَ عُدَّ فَضْلُهُمْ
 أَمْوَلَايَ لَا يَأْتِي بِوَصْفِكَ شَاعِرُ
 وَكَيْفَ يَرُومُ الْمَدْحَ وَالْحَمْدَ كَاتِبُ
 وَلَكِنْ يَا مَوْلَايَ أَمْرُكَ نَافِذُ

فَوَجْهَكَ أَهْدَى مِنْهُ نُوراً وَأَضْواً
 فَجُودُكَ آفَاقَ الْبَسِيطَةِ يَمْلَأُ
 وَلَا قُطْرَ إِلَّا عَنْ سَحَابِكَ يَنْشَأُ
 وَتَارُ الْقَرَى لِلْمُجْتَدِي لَيْسَ تَحْباً
 بِهِ يُخْتَمُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُيَدَّ
 يُقَصِّرُ فِيمَا يَسْتَجِيدُ وَيُنْشِئُ
 إِذَا عُدَّ الْأَعْلَامُ فَهُوَ الْمُبْدَأُ
 لِمَجْلِسِهِ مِنْهَا الْمِهَادُ الْمُوطَأُ
 وَنَائِلُهُ يُرَوِي إِذَا هِيَ تُظْمِئُ
 أَلَا أَوْرِدُوا مَا شِئْتُمْ وَتَهَنَّأُوا
 فَبِالنَّاصِرِ الْمَوْلَى يَصْحُ وَيَبْرَأُ
 يُقْبَلُهَا وَهُوَ الْوَجِيهُ الْمَهْنَأُ
 بِهَا كُلُّ قَصْدٍ نَاجِحٍ يَتَهَيَّأُ
 تَذُوذُ عَنِ الْأَرْجَاءِ مَنْ يَتَجَرَّأُ
 يَكْفُ عَنِ الدِّينِ الْحَنِيفِ وَيَذَرُّ
 وَيَخْطُبُ فِيهَا السَّيْفُ وَالْخَطْبُ يَفْجَأُ
 إِذَا تَخَفِقُ الرَّايَاتُ حِيناً وَتَهْدَأُ
 هُمَامٌ بِأَمْلَاكِ الْعِدَى لَيْسَ يَعْبَأُ
 بِمَكَّةَ يُعْنِي عَنْ كَثِيرٍ وَيُجْزِي
 بِطَبِيبَةٍ مِنْهُمْ طَابَ أَصْلُ وَمَنْشَأُ
 لَهُ قَوْلُ صِدْقٍ مِنْ مُحَالٍ مُبْرَأُ
 فَمَنْ غَامِرٌ أَوْ مَنْ سُلَيْمٌ وَطِئُ
 وَلَوْ أَنَّ الطَّائِي وَالْمُتَّبِئُ
 وَذِكْرُكَ يُتْلَى فِي الْكِتَابِ وَيُقْرَأُ
 فَمَا بَالُهُ فِي مَطْلَبِ الْعَبْدِ يُنْطِئُ

إِذَا لَمْ يُؤْمَلْ مِنْ جَنَابِكَ مَلْجَأً
وَلَمْ يَجْنِ مِنْ رَوْضِ الْمُنَى زَهْرَ رَفْدِهِ
وَسَهْمُ رَجَائِي صَائِبٌ كُلَّمَا رَمَى
تَوَالِكَ عَذْبٌ لِلْوُرُودِ وَكُلُّ مَنْ
وَمَا رَاقَ مِنِّي النَّظْمُ إِلَّا لِأَنَّهُ
بَقِيَتْ لِدِينِ اللَّهِ تَنْصُرُ أَهْلَهُ
إِلَى أَيْنَ يَا مَوْلَى الْخَلَائِفِ يَلْجَأُ
فَأَيُّ ظِلَالٍ لِلنَّدى يَتَفَيَّأُ
بِهِ الْمَدْحُ فَأَعْجَبَ كَيْفَ يَرْمِي وَيُحْطِئُ
يُؤْمَلُهُ عَنْ وَرْدِهِ لَا يُحَلَا
بِخَرِ نَوَالٍ مِنْ يَمِينِكَ لَوْلُو
وَتَحْفَظُهُمْ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ وَتَكَلَا

وَقُلْتُ كَذَلِكَ فِي مَدْحِهِ أَيْدُهُ اللَّهُ وَشُكْرُ
نِعَمِهِ، وَتَقْرِيرٍ مَا أَسْدَى مِنْ مَوَاهِبِ كَرَمِهِ

أَلَا يَا مَشُوقاً يَمَمَ الرَّبْعِ وَالْمَعْنَى
عَظُمَتْ عَلَى سَلَمَى الرِّكَابِ مُسَلِّماً
وَكَُنْتُ كَمَا شَاءَ التَّشْنِي بِقَدِّهَا
وَيَا طَالَمَا صَدَّتْ وَلَمْ يَثْنِ مَعْطِفاً
وَأَمَّا وَقَدْ لَاحَ الْمُحْيَا وَحُسْنُهُ
وَقَدْ مَابَ سَرِينَا بِالرَّكَائِبِ مَوْهِنَاً
تَحْوِضُ بِنَا بَحْرَ السَّرَابِ ظِعَائِنُ
وَلَمْ أُنْسَ بِالْحَيِّ الْجَلَالِ وَقُوفَهَا
وَهَلْ شَعَفِي بِالْبَانِ إِلَّا لِأَنَّهُ
هِيَ الظُّبْيُ جِيداً وَالْقَضِيبُ تَأُوداً
بَنِيْرٍ مَرَّاهَا وَحُسْنِ قَوَامِهَا
فَيَالَيْتَ مِنْهَا الطَّيْفُ قَدْ زَارَ فِي الدُّجَى
أَطَارَ فُؤَادِي الشَّوْقُ بَعْدَ بَعَادِهَا
عَجِبْتُ لَهَا إِذْ أَتْلَفْتُهُ بِبُعْدِهَا
هَيْنِئاً فَوَجَّهُ الْحُسْنِ حَيَّاكَ بِالْحُسْنَى (194)
فَأَهْدَتْ جَوَاباً رَائِقَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى
تَرَاهَا عَلَى تَعْذِيبِهَا عَذْبَةَ الْمَجْنَى
وَلَدْتُ وَقَدْ جَادَبْتُهَا غُصْناً لَدْنَا
فَمِنْ طَلَعَةٍ تُجَلَّى وَمِنْ دَوْحَةٍ تُجْنَى
وَتَجْمُ الدُّجَى بِالْأَفْقِ لَمْ يَعْرِفِ الْوَهْنَا
فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى الْبَحْرَ وَالسُّفْنَا
وَسُكَّانُهُ الْمَعْنَى فَمَا لِي وَلِلْمَعْنَى
بِهِ شَبَهٌ مِمَّنْ كَلِفْتُ بِهَا مَعْنَى
تَشْنِي مَلِكاً دُونَ شَرْطٍ وَلَا اسْتِشْنَا
إِذَا مَا تَبَدَّتْ تُحْجِلُ الْبَدْرَ وَالْغُصْنَا
وَمَنْ لِي بِهِ وَالسَّهْدُ قَدْ أَلْفَ الْجَفْنَا
فَلَمْ يَتَّخِذْ فِي الصَّدْرِ وَكراً وَلَا وَكْنَا
وَمَا اتَّخَذَتْ لَمَّا نَأَتْ غَيْرُهُ سَكْنَا

(194) توجد كذلك في الديوان : 126 — 127 وقدم لها بما يلي : «ولمّا وجه إلى الظهير الكريم قلت أشكر نعمته في اليوم العشرين من ربيع المذكور».

لَقَدْ عَذَّرْتَنِي ثُمَّ ضَنْتُ بِوَصْلِهَا
وَقَدْ رَجَمَ الْوَاشِي ظُنُونًا كَوَازِبًا
وَأَبْدَعُ شَيْءٍ طَائِرُ الدُّوْحِ صَادِحًا
أَذِنْتُ لَهُ وَالسَّمْعُ بَابٌ لِسَجْعِهِ
وَطُوقٌ بِالْأُنْدَاءِ جِيدًا كَأَنَّهُ
هُوَ الْمَلِكُ الْأَعْلَى هُوَ النَّاصِرُ الَّذِي
فَحَسِبُ مُلُوكِ الْعَرْبِ وَالشَّرْقِ أَنَّهُ
إِذَا مَا تَبَدَّى الْبَدْرُ نُورًا وَرِفْعَةً
تُسِيرُ يُسْرَاهُ لِسَائِلِهِ الْمُنَى
فِيَرْدِي أَعَادِيهِ وَيُحْيِي عُفَاتِهِ
حَبَانِي بِالْأَمَالِ وَالْمَالِ رِفْدُهُ
مَدَائِحُهُ كَانَتْ وَسَائِلَ لِلْغَنَى
أُمُولَايَ قَدْ بَلَّغْتَنِي كُلَّ مَطْلَبٍ
وَلَمْ لَا وَقَدْ وَافَتْ عَلَامَتُكَ الَّتِي
وَجُدْتَ بِمَا قَدْ أَمَلُ الْعَبْدُ مُنْعِمًا
وَشَرَّفْتَ عَبْدًا قَدْ أَتَاكَ مُسْلِمًا
تَوَالِكَ كَافٍ كَافِلٌ كُلَّ سَائِلٍ
يَمِينًا بِمَنْ حَثَّ الرُّكَائِبَ فِي مَنَى
وَمَنْ قَدْ سَرَى لَيْلًا لِتَكْلِيمِ رَبِّهِ
لَمَّا سَاجَلَ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ وَلَا الْحَيَا
وَدُونُكَهَا بِالْحَمْدِ رَاقٍ جَمَالُهَا
فَأَتْنِي عَلَيْكَ الْعَبْدُ بَدْءًا وَعَوْدَةً

وَأَعْجَبُ شَيْءٍ عَاذِرٌ بِالْمُنَى ضَنًّا
فَمِنْ عَاذِرٍ قَدْ ضَنَّ أَوْ عَاذِلٍ ظَنًّا
يُذَكِّرُ بِالْمَعْنَى وَيُيَدِّعُ إِنْ غَنَى
فَتَابَ وَلَمْ يَعْرِفْ حِجَابًا وَلَا إِذْنَا
حَبَا يُوسُفًا مَوْلَايَ بِالْمَدْحِ فَاسْتَعْنَى
مَعَالِي عَوَالِيهِ مُوسِسَةَ الْمَبْنَى
يُؤْمِلُهُ الْأَقْصَى مِنَ الْخَلْقِ وَالْأَدْنَى
أَرَى قَدْرَهُ أَسْمَى وَطَلَعَتْهُ أَسْنَى
وَتَبَسُّطُ يُمْنَاهُ لَامِلِهِ الْأَمْنَا
بِمَكْرَمَةٍ قَدْ سَنَّ أَوْ غَارَةٍ شَنَّا
فَأَغْنَى وَعَنْ تَسْئَالٍ مَنْ دُونَهُ أَغْنَى
فَلِلَّهِ مَا أَغْنَى وَلِلَّهِ مَا أَغْنَى
بِفَيْضِ نَوَالٍ جُودُهُ يُخْجِلُ الدُّرْنَا
لَهَا الْحُسْنُ فِي شَفْعِ الزِّيَادَةِ بِالْحُسْنَى
فَشُكْرًا لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ مَقْصِدِ أَسْنَى
يَرَى الْيُمْنَ فِي تَقْبِيلِ رَاحَتِكَ الْيُمْنَى
لَهُ فِي الْوَرَى مَعْنَى تَنَاسَوْا بِهِ مَعْنَا (١٩٤م)
وَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ وَالْحَجَرَ وَالرُّكْنَ
إِلَى أَنْ تَدَلَّى قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى
يَلُوحُ وَيَهْمِي مِنْهُ حُسْنًا وَلَا مَنَّا
وَبِالْمَدْحِ فَاقَتْ كُلَّ غَانِيَةٍ حُسْنًا
إِلَى أَنْ ثَنَى صَرَفَ الزَّمَانِ بِمَا أَتْنَى

وَقُلْتُ أَمْدَحُهُ مُحَمَّسًا أُبَيَاتًا
لِلوَزِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْخَطِيبِ (195)

لَيْنَ رَحَلُوا عَنِّي صَبَاحًا وَوَدَّعُوا فَنَارُ الْجَوَى طَيِّ الْجَوَانِحِ أَوْدَعُوا
فَقُلْتُ وَمَا لِي فِي التَّصَبُّرِ مَطْمَعُ
نَوُوا سَفَرًا عَنِّي الْعِدَاةَ وَأَزْمَعُوا
فَيَأْتِيَتْ شِعْرِي بَعْدَهُمْ كَيْفَ أَصْنَعُ
لِذِكْرِهِمْ عُدَّ وَالْحَدِيثَ بِهِمْ أَعَدَّ فَلَوْمْ وَشَاتِي فِي الصَّبَابَةِ لَمْ يُفِدْ
فَيَا عَاذِلِي مَنْ جَدَّ فِي الْعَتَبِ لَمْ يُجِدْ
وَيَا لَأَيْمِي أَكْثَرَتْ فِي اللَّوْمِ فَاتَّقِدْ
فَهَازِي رُقَى فِي عِلَّتِي لَيْسَ تَنْفَعُ
مِنَ الشَّوْقِ أَهْدِيهَا إِلَيْكُمْ رَسَائِلًا وَأُبْدِي لَدَيْهِمْ مِنْ غَرَامِي وَسَائِلًا
وَدَمْعِي لَمْ يَبْرَحْ عَلَى الْحَدِّ سَائِلًا
لِغَيْرِ جُفُونِي قُلْ إِذَا كُنْتُ قَائِلًا
سَحَابَةٌ صَيِّفٌ عَنْ قَرِيبٍ تَقَشَّعُ
سَرَوْا بِرِكَابٍ لِلظَّلَالِ مُرِيحَةٌ وَكَمْ مِنْ نُصُوصٍ فِي هَوَاهُمْ صَرِيحَةٌ
وَالسُّنُّ دَمْعٌ مِنْ جُفُونِي فَصِيحَةٌ
وَمَا لِي لَا أُبْكِي بَعَيْنِ قَرِيحَةٍ
عَلَى فُرْقَةٍ الْأَحْبَابِ تَهْمِي وَتَهْمَعُ
أَيَا عَاذِلِي كُنْ فِي الْمَحَاسِنِ عَاذِرِي فَقَلْبِي مِنْهَا بَيْنَ نَاهٍ وَآمِرِ
فَهَا أَنَا صَابٍ فِي آلِهَوَى غَيْرُ صَابِرِ
فَوَادِي أَعْيَى صَدْعُهُ كُلَّ جَابِرِ
وَهَلْ جَبِرَتْ يَاقُوتَةٌ تَتَصَدَّعُ

(195) لا توجد قصيدة ابن الخطيب الخمسة إلا في هذا المجموع، وعنه نشرها الدكتور محمد مفتاح في ديوان ابن الخطيب 2 : 665 — 666.

ذَكَرْتُ رُبُوعاً بِالْحِمَى وَمَعَاهِدَا وَأَتْلَفْتُ قَلْباً بِالصَّبَابَةِ جَاهِدَا
 فَأَصْبَحَ عَنْ نَهْجِ التَّصَبُّرِ حَائِدَا
 لَضِيعَتْ قَلْبِي ثُمَّ أَصْبَحْتُ نَاشِداً
 وَقَدْ قِيلَ أُولَى بِالْخَسَارِ الْمُضِيعُ
 لَعَلَّ هَيَامِي لِلْأَجْبَةِ شَافِعِي فَمَا كُنْتُ لَمَّا فِيهِ خَاطَتْ مَطَامِعِي
 لِأَكْتَمَ وَجْداً أَظْهَرْتُهُ مَدَامِعِي
 أَبُوحُ بِمَا أَخْفَيْ وَلَيْسَ بِنَافِعِي
 وَلَكِنَّهَا شَكَوَى إِلَى اللَّهِ تُرْفَعُ
 لَقَدْ أَتْلَفْتُ قَلْبِي الْمَشُوقَ يَدُ النَّوَى فَأَصْبَحَ يُذَكِّي فِي جَوَانِحِهِ الْجَوَى
 هَوَاكَ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ بِهِ ثَوَى
 أَمَّا لِكَ رَقِي كَمْ أَرَانِي فِي الْهَوَى
 أَذِلُّ كَمَا شَاءَ الْعَرَامُ وَأُخْضَعُ
 لِقَلْبِي فِي أَيْدِي الْعَرَامِ تَقَلُّبُ يُدَادُ عَيْنَ الْعُقْبَى وَإِنْ كَانَ يُعْتَبُ
 فَهِيَ أَنَا ذَا أَرْجُو رِضَاكَ وَأَطْلُبُ
 وَهَبْ أَتْنِي أَذْنِبْتُ وَالْعَبْدُ مُذْنِبُ
 فَلِي حَسَنَاتٌ فِي ذُنُوبِي تَشْفَعُ
 عَلَى الْبُعْدِ كَمْ أَهْدَيْتُهَا لَكَ مِدْحَةً عَسَاكَ تُسْنِي بِالتَّقَرُّبِ مِنْحَةً
 وَإِنِّي إِذَا أَذَكِّي بِعَادُكَ لَفَحَةً
 وَدَادِي كَمِثْلِ الْعَنْبَرِ الْوَرْدِ نَفْحَةً
 إِذَا أَحْرَقْتُهُ جَفْوَةً يَتَضَوُّعُ
 بِقُرْبِكَ ظِلُّ الْعِزِّ فَوْقِي وَارِفُ وَبُعْدُكَ فِيهِ دَمْعُ عَيْنِي وَاكِفُ
 فَهِيَ أَنَا رَاجٍ فِي هَوَاكَ وَخَائِفُ
 وَرَأَيْكَ بَيْنَ الْجِلْمِ وَالْحُكْمِ وَاقِفُ
 عَلَى أَنَّ بَابَ الْجِلْمِ عِنْدَكَ أَوْسَعُ
 أَيْتُ عَلَى حُكْمِ الصَّبَابَةِ مُغْرَمَا وَقَاطَعُ دَهْرِي فِي عَسَى وَلَعَلَّمَا

مَشُوقاً مُعْنَى مُسْتَهَاماً مُتَيِّماً
أَعَاتِبُ ذَهْرِي أَمْ أَكْفُ فَإِنَّمَا
هُوَ اللَّهُ يُعْطِي مَا يَشَاءُ وَيَمْنَعُ
مُنْعُتُ الْمُنَى حَتَّى الْخَيَالِ لِحَالِمِ
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَرَفُ الزَّمَانِ مُسَالِمِي
أَسْلَمُ أَمْرِي فِي الْوُجُودِ لِعَالِمِ
أَحَاطَ بِأَمْرِي مِنْهُ مَرَأَى وَمَسْمَعُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي حُكْمِهِ الدَّهْرُ مُنْصِفِي
وَلَمْ يُدِنْ أَيَّامَ الرِّضَى وَالتَّعْطُفِ
سَارَفَعُ أَمْرِي لِلْخَلِيفَةِ يُوسُفِ
فَيَحْكُمُ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ وَيَصْدَعُ
هُوَ الظِّلُّ ظِلُّ اللَّهِ تَضْفُو سُورُهُ
سَحَابُ نَدَى بِالْجُودِ مَا جَتِ بُحُورُهُ
شَهَابُ هُدًى يَجْلُو الدُّجَنَةَ نُورُهُ
وَلُجَّةُ جُودٍ مَوْجُهَا يَتَدَفَّعُ
هُوَ الْبَذْرُ فِي أَفْقِ الْخِلَافَةِ مُعْتَلِ
فَلِلَّهِ مِنْ بَحْرِ وَبَذْرِ مُكْمَلِ
وَلِلَّهِ مِنْ غَيْثٍ وَلَيْثٍ وَمَعْقِلِ
لِمَنْ يَجْتَدِي أَوْ يَعْتَدِي أَوْ يُرَوِّعُ
ضَفَا فَوْقَ أُمْلَاكِ الْبَسِيطَةِ ظِلُّهُ
فَهَا هُوَ غَيْثٌ قَدْ تَتَابَعَ وَبُلُّهُ
وَدِيْوَانُ مَجْدٍ قَدْ تَوَاتَرَ نَقْلُهُ
حَدِيثُ الْمَعَالِي عَنْهُ يَرُوى وَيَسْمَعُ
وَحِيدٌ لَهُ فِي الرُّوعِ تَعْنُو الْوَفْهُ
هُوَ الدَّهْرُ تَقْضِي فِي الْعُدَاةِ صُرُوفُهُ
إِذَا انْتَضَيْتِ آرَاؤُهُ وَسُيُوفُهُ
لِحَرْبٍ فَقُلْ أَيُّ الْحُسَامَيْنِ أَقْطَعُ

إِمَامٌ تَعُمُّ الْقَاصِدِينَ هِبَاتُهُ بِهِ الْخَطُّ وَالْخَطِي رَاقَتْ صِفَاتُهُ
فَقَدْ أَبْدَعَتْ يُمْنَاهُ أَوْ كَلِمَاتُهُ

وَإِنْ وَقَعَتْ فِي حَادِثٍ عَزَمَاتُهُ
فَقَدْ أَمِنَ الْإِسْلَامُ مَا يَتَوَقَّعُ
أَنَاصِرَ دِينِ اللَّهِ دُمْتَ مُؤَيِّدًا لِعَهْدِ الصَّحَابِ الْأَكْرَمِينَ مُجَدِّدًا
فَمَنْ ذَا يُضَاهِي مِنْكَ ذَاتًا وَمَحْتَدًا

سَبَقَتْ كَمَا اسْتَوْلَى الْجَوَادُ عَلَى الْمَدَى
فَلَا سَابِقَ فِي شَأْنٍ مَجْدِكَ يَطْمَعُ
رَمَيْتُ بِسَهْمٍ لِلْبَلَاغَةِ مُنْفَذٍ فَرَوْضُ نِظَامِي مِنْ سَحَابِكَ قَدْ غَذِي
أَنَابِكَ مِنْ رَبِّ الزَّمَانِ تَعَوُّذِي

وَأَنْتَ حُسَامُ الْمُلْكِ نَاصِرُهُ الَّذِي
تَذُودُ الْعَدَى عَنْ جَانِبِيهِ وَتَمْنَعُ
بِجُودِكَ حَاشَى أَنْ أَرَى الدَّهْرَ مُعْرِضًا وَسَيْفُ نِظَامِي فِي يَمِينِي مُنْتَصَا
وَلَفْظِي تَشْرِيفِي بِمَدْحِكَ قَدْ قَضَى

وَمِثْلُكَ يُرْجَى لِلْقَبُولِ لِلرَّضَى
وَعَبْدُكَ أَيْضًا لِلصَّنِيعَةِ مَوْضِعُ

وَشَفَعْتُهَا بِهَذِهِ الْمُوشَّحَةِ
فِي مُعَارَضَةِ مُوشَّحَةِ قَدِيمَةٍ

لِلْحَيَا فِي رِيَاضِهِ الْبَاسِمِ

سَالَ دَمْعٌ سَفُوحُ

فَانْتَنَى فِيهِ وَهُوَ نَشْوَانُ

كُلُّ غُصْنٍ مَرْوَحُ

مَا لَهُ فِيهِ تَبَسُّمُ الزَّهْرِ مِنْ دُمُوعِ الْعَمَامِ
حِينَ تَبْدُو كَأَنَّهَا الزَّهْرُ فِي سَمَاءِ الْكِمَامِ

فَلَنَا الظِّلُّ فِيهِ وَالنَّهْرُ نَافِعًا لِلْأَوَامِ

عَجَبًا فَهُوَ مَوْرِدُ الْحَائِمِ

يَعْتَدِي أَوْ يَزُورُ

وَفَوَادِي لِلْمَوْرِدِ ظُمَانُ

بَعْدَ طُولِ التَّزْوِجِ

عَجَبًا لَا يُنِيلُنِي قَصْدِي زَمَنِي إِذْ حَكَمَ

وَأَتَصَارِي بِمُنْجِرِ الْوَعْدِ وَغِيَاثِ الْأَمَمِ

وَبِمَثْوَى الْإِنْعَامِ وَالرَّفْدِ وَمَحَلِّ الْكَرَمِ

وَبِمَوْلَى ثَنَاهُ لِلنَّاسِمِ

كَرِيحٍ تَفْزُوحِ

وَلَدَى رَاحَتِيهِ هَتَّانُ

فَالْيَمِينُ الْجُنُوحِ

مَطْلَبِي الْيَوْمَ لِي يُوفِّيهِ يُوسُفِيُّ الْجَمَالِ

وَيُنِيلَ الَّذِي أَرْجِيهِ مِنْ بَعِيدِ الْمَنَالِ

مَلِكُ الدَّهْرِ مَنْ غَدَا فِيهِ مُحَرَّرًا لِلْكَمَالِ

فِيهِ الْمُلْكُ جِسْمُهُ نَاعِمِ

كَوْنُهُ فِيهِ رُوحِ

وَلَعَيْنِ الْكَمَالِ إِنْسَانُ

هُوَ مَهْمَا يَلُوحِ

كَفَّ عَنِّي حَوَادِثَ الدَّهْرِ بِنَدَى كَفِّهِ

وَأَزَالَ الْخُطُوبَ بِالْقَهْرِ وَاعْتَدَا صَرْفِهِ

فَلِسَانِي بِالنَّظْمِ وَالتَّنْثِيرِ كُلَّ عَنٍّ وَصَفِّهِ

هُوَ نَجْمٌ بِأَفْقِهِ عَاتِمِ

لِسَنَاهِ وَضُوحِ

وَلَدَيْهِ لِلدَّهْرِ إِذْعَانُ

وَهُوَ طَرْفُ جَمُوحِ

أَسْهَرُ اللَّيْلِ أَنْظِمُ الْمَدْحَا فِي نَدَاكَ الْجَسِيمِ
 كَحَمَامٍ يُرَدِّدُ الصَّدْحَا فِي رِيَاضٍ وَسِيمِ
 أَوْ مَشُوقٍ يُرَاقِبُ الصُّبْحَا (196) قَائِلًا لِلنَّيْدِيمِ
 نَبَّهَ الصُّبْحُ رَقْدَةَ النَّائِمِ
 فَأَنْتَبِهَ لِلصَّبُّوْخِ
 وَأَذِرْ قَهْوَةً لَهَا شَانُ
 ذَاتَ عَرْفٍ تُفْوْخُ

وَقُلْتُ وَقَدْ شَرَّفَ مَمْلُوكُهُ بِالْوُقُوفِ عَلَى
 النَّظْمِ الْمُتَقَدِّمِ فِي السَّفَرِ الْأَوَّلِ عَلَى هَذَا
 الرُّوْيِ لِمَوْلَانَا نَصْرَهُ اللَّهُ وَأَيَّدَهُ

بَذَرُ بِقُبَّتِكَ الْعَرَاءِ مَطْلَعُهُ
 حَمَرَاوُهُ هَالَةً تَبْدُو أَشِعَّتْهَا
 فَأَنْتَ يَا مَلِكَ الْإِسْلَامِ نَاصِرُهُ
 وَأَنْتَ فَوْقَ الْمُلُوكِ الصَّيْدِ مَنْزِلُهُ
 فَإِنْ دَجَا لَيْلٌ رَوْعٍ أَنْتَ مَلْجَأُهُ
 لِلْجُودِ تَمْنَحُهُ لِلدِّينِ تَمْنَعُهُ
 لِلسَّعْدِ تُحَرِّزُهُ لِلْوَعْدِ تُنْجِزُهُ
 يَا طَالِبًا مَعْهَدًا لِلرَّفْدِ تَنْزِلُهُ
 تَبَارَكَ اللَّهُ مُبْدِيهِ وَمُطْلِعُهُ (197)
 لِأَفْقَهَا مَرْقَبٌ بِالْعِزِّ تَفْرَعُهُ
 مِنْ كُلِّ حَادِثَةٍ فِي الدَّهْرِ تَمْنَعُهُ
 وَتَحْتَ طَوْعِكَ مُلْكُ الْأَرْضِ أَجْمَعُهُ
 وَإِنْ تَفَاقَمَ أَمْرٌ أَنْتَ مَفْرَعُهُ
 لِلسَّيْفِ تُسْرِعُهُ لِلرَّمْحِ تُشْرَعُهُ
 لِلصَّدْرِ تُشْرَحُهُ لِلْقَدْرِ تُرْفَعُهُ
 إِرْبَعٌ قَلِيلًا فَقَدْ حَيَّتْكَ أَرْبَعُهُ

(196) هكذا في الطرة، وفي المتن: أَوْ مَشُوقٍ يَرَدِّدُ الصَّدْحَا.

(197) توجد في الديوان: 152 — 153 مع المقدمة التالية: «وقلت وقد وجه إلى أبياتا من نظمه أيده
 الله على هذا الروي والعروض، وإذا وقعت لليد تثبت على وجه التشریف إن شاء الله في عشي
 يوم الخميس الثامن لربيع الآخر عام أحد عشر وثمان مائة». والسفر الأول المشار إليه مفقود أما
 قصيدة يوسف الثالث التي نظم ابن فركون قصيدته على رويها فهي التي أولها (الديوان: 137):
 يَا آلَ يَوْسَفَ لِي فِي قَصْرِكُمْ قَمَرٌ قَدْ طَلَّ مِنْ فَلَكَ الْأَزْوَارِ مَطْلَعُهُ
 والقصيدتان معاً على روي قصيدة ابن زريق المشهورة.

بَنَاصِرِ الدِّينِ قَدْ لَاحَتْ مَعَالِمُهُ
وَيُوسُفَ شَرَفِ الْمُلْكِ الْعَزِيزُ بِهِ
فَقِصْرٌ قَاصِرٌ عَنْ جُودِ رَاحَتِهِ
كَلَّمْتَ يَا مَلِكَ الْأَمْلَاكِ مِنْ كَتَبٍ
فَمَا اعْتَذَارِي لِمَوْلَى لَمْ يُحِطْ خَجَلًا
كَمْ حَلَّ فِي كَيْدِ الْمَمْلُوكِ مِنْ ظَمًا
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كَمْ رَأَتْ حَدِيقَتُهُ
هَذِي صَلَاةَ صَلَاتٍ وَالنَّدَاءُ لَهَا
وَكَمْ عَجَائِبَ أَبْدَاهَا النَّظَامُ بِهَا
وَلَا كَعَذْرَاءَ مِنْ مَوْلَى الْمُلُوكِ أَتَتْ
إِذَا بَدَا طَرَسُهَا لِلَّهِ كَمْ حَكَمٍ
بَحْرُ الْمَكَارِمِ أَبْدَى مِنْ بَدَائِعِهِ
فَلَفْظُهَا الدُّرُّ وَالزَّهْرُ الْأَنِيقُ إِذَا
مَالَتْ بِنَا طَرَبًا أَوْ لَوَعَةً فَحَكَتْ
لَهَا النَّسِيبُ إِذَا مَرَّ الْخَلِيُّ بِهِ
يُبْدِي الَّذِي قَدْ أَكْتَتَهُ جَوَانِحُهُ
مَاذَا يَقُولُ بَلِيعٌ فِي مَحَاسِنِهَا
لَكِنَّ يَأْتِي بِمَا تُبْدِيهِ فِكْرَتُهُ
لَا تُنْكِرُوا نَفَحَاتِ الزَّهْرِ مِنْ مَدْحِي
مَدْحٌ يَرُوقُ ذَوِي الْأَلْبَابِ نَاطِمُهُ
قَدْ سَالَمَتْهُ اللَّيَالِي إِذْ عِنَايَتُهُ
بَقِيَتْ لِلْمَدْحِ أَوْ لِلْحَمْدِ مُنْفَرِدًا

وَرَأَى فِي أَفْقِ الْعُلْيَاءِ مَصْنَعُهُ
فَأَيْنَ قَيْصَرُهُ صَيْتًا وَتَبَعُهُ
وَتَبَعَ فِي مَضَاءِ الْعَزْمِ يَتَّبِعُهُ
عَبْدًا يُنَادِيكَ مِنْ بَعْدِ فَتَسْمَعُهُ
سَمِعِي بِلَفْظِ غَدَا فِي الْقَلْبِ مَوْقَعُهُ
إِذْ لَمْ يُمَتِّعْ بَعْدَ اللَّفْظِ مِسْمَعُهُ
وَكَمْ عَلَى ظَمًا رَوَاهُ مَشْرَعُهُ
إِنْ كَانَ وَثَرًا فَمَوْلَى الْخَلْقِ يَشْفَعُهُ
قَدْ رَأَى مِنْ زَهْرِ الْآدَابِ أَيْنَعُهُ
بَابَ الْقَبُولِ أَمَامَ الْعَبْدِ تَشْرَعُهُ
وَكَمْ بَدَائِعَ مِلءَ الْعَيْنِ تُودَعُهُ
دُرًّا يَرُوقُ بِجِيدِ الْمُلْكِ أَنْصَعُهُ
مَارَاقَ أَضْوَاهُ أَوْ رَقَ أَضْوَعُهُ
كَأَسَ الْمُدَامِ أَمَامَ الْقَوْمِ مُتْرَعُهُ
يَعُودُ وَهُوَ شَجِي الْقَلْبِ مُوَلَعُهُ
وَضُمَّتْهُ مِنَ الْأَشْوَاقِ أَضْلَعُهُ
وَأَبْلَغُ الْقَوْلِ فِيهَا لَيْسَ يُقْنَعُهُ
وَفَضْلُ مَوْلَايَ فِي الْإِعْضَاءِ يُطْمَعُهُ
فَرُوضُ فِكْرِي نَدَى كَفِّكَ يُمْرِعُهُ
يُذِيعُهُ فِي إِمَامٍ لَا يُضِيعُهُ
قَدْ أَمَّنَتْهُ فَلَا دَهْرٌ يُرَوِّعُهُ
بِهِ وَدُمْتَ لِشَمْلِ الدِّينِ تَجْمَعُهُ

وَأَزْتَجَلْتُ مَعَ هَذِهِ وَقَدْ شَرَّفَ عَبْدُهُ
بِالْوُقُوفِ عَلَى الْبَيْتَيْنِ الْمَكْتُوبَيْنِ
أَيْضاً فِي السَّفَرِ الْأَوَّلِ قَبْلَ هَذَا

أَمِنْهَا سَرَى طَيْفٌ إِلَيَّ حَبِيبُ
أَتَى وَظِلَامُ اللَّيْلِ يَسْحَبُ ذَيْلَهُ
وَهَيْهَاتَ يَشْفِي الْقَلْبَ طَيْفُ خَيَالِهَا
إِذَا قُرْبَ الْإِصْبَاحِ غَادَرَ بَعْدَهُ
أَبَانَ غَرَامِي يَوْمَ بَانَ عَنِ الْحِمَى
فَازْهَبْ صَبْرِي وَالْفُؤَادَ وَسَلَوْتِي
أَلَا فِي سَبِيلِ الْحُبِّ قَلْبٌ مُقَلَّبٌ
أَلَا إِنَّهَا الذِّكْرَى وَإِنْ بَعْدَ الْحِمَى
وَإِنَّ الَّتِي قَدْ هَمْتُ وَجِداً بِحُسْنِهَا
لَتُخْجِلَ بَذَرَ الْأَفَقِ وَهُوَ مُتَمِّمٌ
فَلَوْلَاكِ يَا أُخْتَ الْعَزَالَةِ لَمْ أَهَمْ
إِذَا لَمْ الْمُشْتَقَّ وَجِداً عَلَى النَّوَى
عَجِبْتُ لِمِثْلِي كَيْفَ أَصْبَحَ بِالْحِمَى
عَلَى أَنَّ لَفِظِي لَوْلُو مُتَنَاسِقٌ
إِذَا أَعْمَلْتُهُ فِي الطُّرُوسِ يَرَاعَتِي
نَسِيبِي مَدِيدٌ غَيْرَ أَنِّي قَصْرْتُهُ

وَلَيْسَ سِوَى نَجْمِ السَّمَاءِ رَقِيبُ (198)
وَلِلْبَرْقِ ثَغْرٌ فِي دُجَاهُ شَنِيبُ (198)
وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْخَيَالَ كَذُوبُ
فُؤَادِي يَصْبُو وَالْدُّمُوعُ تَصُوبُ
وَقَدْ بَانَ مِنْ فُؤَدِ الظَّلَامِ مَشِيبُ
فَلَمْ يَتَّقِ إِلَّا مَذْمَعٌ وَنَحِيبُ
مَشُوقٌ لِتَذْكَارِ الْعُهُودِ طَرُوبُ
تُجِدُّ لَدَيَّ الْوَجْدَ حِينَ تَثُوبُ
وَبِالْقَلْبِ مِنْهَا لَوَعَةٌ وَوَجِيبُ
وَتُزْزِي بِغُصْنِ الْبَانِ وَهُوَ رَطِيبُ
وَلَا رَابَ قَلْبِي مِنْ هَوَاكِ مُرِيبُ
فَلَيْسَ سِوَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ طَبِيبُ
يُنَادِي وَمَا بِالْحَيِّ مِنْكَ مُجِيبُ
لَدَى النَّظْمِ عَذْبٌ لِلْوُرُودِ شَرُوبُ
يَرُوقُ مَدِيحٌ أَوْ يَرِقُّ نَسِيبُ
عَلَى مَنْ لَهَا الْبَدْرُ الْمُنِيرُ نَسِيبُ

(198) هذه القصيدة موجودة أيضا في الديوان : 154 — 155 وهي مسبوقة فيه بالتقديم التالي : «ووجه

إلى أيده الله بيتي شعر أولهما : وكم عائد، وأمرني بالتصدير لهما والتذييل عليهما فقلت بحسب

الغرض في الانحطاط عن الجزالة وفي قريب من التاريخ» أما البيتان المشار إليهما فهما :

وكم عائد زادت عيادته الأسى ولو عُدَّتْ قَرَّتْ أَعْيُنُ وَقُلُوبُ

فذكرك حظ النفس في كل لحظة فيأليت حظ العين منك قريب

وهما في الديوان : 11 وقبلهما ما يلي : «كذلك في التزاور من المرتجل».

(198م) بعد هذا البيت بيت محو وهو موجود في الديوان.

وَمَدْحِي عَلَى مَنْ جَادَ قَبْلَ سُؤَالِهِ
فِيهِمِي نَدَاهُ كُلَّمَا بَخِلَ الْحَيَا
فَتُسَعَفُ قُصَادٌ وَتُقْضَى مَارِبٌ
يَنْمُ مِنَ الْأَمْدَاحِ طَيْبٌ ثَنَائِهِ
أُمُولَايَ عُذْرًا إِنَّ وَصْفَكَ مُعْجِزٌ
وَلَكِنِّي أَرْجُوكَ فِي كُلِّ حَالَةٍ
فَكُلِّ مَرَامٍ أَتَبْغِيهِ مُبْلَغُ

وَقُلْتُ أَهْنِءَ مَقَامَهُ الْكَرِيمَ بَعِيدِ الْفِطْرِ مِنْ عَامٍ أَحَدٍ عَشَرَ وَثَمَانِي مِائَةً

أَمِنْ بَارِقٍ فِي الدُّجَا أَوْمَضَا
كَأَنَّ تَأَلَّقَهُ مَوْهِنَاً⁽²⁰⁰⁾
كَأَنَّ الدُّجَى سَلَّ زَنْجِيَّه
كَأَنَّ سَنَى الزُّهْرِ أَزْهَارُ رَوْضِ
كَأَنَّ طَوَالِغَ شُهْبَانِهَا
كَأَنَّ بِهَا الْقَلْبَ قَلْبٌ مَشُوقٌ
كَأَنَّ بِهَا النَّسْرَ قُصَّ الْجَنَاحُ
كَأَنَّ أَخَاهُ أَخُو لَوْعَةٍ
كَأَنَّ السُّهَى خَبِرَ هَاجِسُ
كَأَنَّ الْهَلَالَ عَلَى أَذْهَمِ
كَأَنَّ ثُرَيَّا رَاحَةً خَوْدِ
كَأَنَّ الظَّلَامَ غَدَا رَاحِلًا
كَأَنَّ سَنَى الصُّبْحِ وَجْهَ ابْنِ نَصْرِ

حَنَنْتَ إِلَى ذِكْرِ عَهْدٍ مَضَى⁽¹⁹⁹⁾
شِهَابٌ إِلَى الرَّجْمِ قَدْ قُيِّضَا
حُسَامًا عَلَى أَفْقِهِ وَانْتَضَا
مِنْ الثُّورِ بِالنُّورِ قَدْ عُوضَا
طَلَائِعُ شُهْبٍ مَلَانُ الْفَضَا
تَقَلَّبَ فِي جَمَرَاتِ الْعُضَا
لَهُ عِنْدَمَا رَامَ أَنْ يَنْهَضَا
فَلَا هُوَ أَغْفَى وَلَا غَمَضَا
بَصْدِرِ أَبِي السَّمْعِ أَنْ يُرْفَضَا
مِنْ اللَّيْلِ سَرَجٌ وَقَدْ فُضِّضَا
تَعَوَّذُهُ خَمْسُهَا إِذْ أَضَا
أَمَامَ الضُّحَى رَحْلُهُ قُوضَا
إِمَامِ الْهُدَى الْمَلِكِ الْمُرْتَضَا

(199) وردت في الديوان : 190 — 192.

(200) موهنا أي في نحو نصف الليل.

إِمَامٌ يَكْفُ صُرُوفَ الْخُطُوبِ
 مَظَاهِرُهُ فِي الْعُلَى تُجْتَلَى
 فَأَعْلَى بِهِ اللَّهُ دِينَ الْهُدَى
 وَإِنَّ مُحْيَاهُ مَهْمَا بَدَا
 فَيُوسِفُ شَيْدَ مَعْنَى الْعُلَى
 أَنْصِرَ دِينَ الْهُدَى أَشْبَهَتْ
 فَقُمْتَ بِمَا قَعَدَ الدَّهْرُ عَنْهُ
 تَجُودُ إِذَا ضَنَّ صَوْبُ الْحَيَا
 وَتُعْرِضُ عَنَّا دِيَاجِي الْخُطُوبِ
 وَضَلَّتْ عُذَاتُكَ لَمَّا غَدَا
 فَتَرْجُوكَ لِلْسَّلَمِ أُمْلَاكُهَا
 لَكَ الصَّدْقُ فَادْعُ وَلِيَّ الْهُدَى
 وَأَعْرِضْ عَنِ الْكُفْرِ أَوْ قُلْ لَهُ
 صِفَاحِي لِلصَّفْحِ إِرْجَاؤُهَا
 وَمَا لِحُلُومِي أَنْ تُسْتَحَفَّ
 هُوَ الْحَقُّ مَوْلَايَ فَاصْدَعْ بِهِ
 وَنَاصِرُهَا وَابْنُ أَنْصَارِهَا
 فَمَا فَوْقَ السَّهْمِ إِلَّا رَمَى
 لَكَ انْعَظَفَتْ جَامِحَاتُ الْأَمَانِي
 وَأَذْرَاعُ حَرْبِكَ عَنْ نَفْعِهَا
 وَرِيحُ الصَّبَا نُشْرًا بَيْنَهَا
 سَتَفِضِي إِلَى الْهَلِكِ أَعْدَاءُ مَنْ
 نَبَا سَيْفُهُمْ وَكَبَا طَرْفُهُمْ
 فَهَا أَفُقُ أَنْجُمِهِمْ لِائْتِقَاضِ
 لِأَعْجَزَتْ مَنْ هُوَ آتٍ كَمَا

وَيَقْضِي الزَّمَانَ بِمَا قَدْ قَضَى
 مَقَاصِدُهُ فِي النَّدَى تُرْتَضَى
 وَكَمْ حُجَّةٌ لِلْعِدَى أَدْحَضَا
 أَعَادَ ظِلَامَ الدُّجَى أَبْيَضَا
 وَيُوسِفُ مَبْنَى الْعِدَى قَوْضَا
 عَزَائِمُ مِنْكَ الطُّبَا فِي الْمَضَا
 وَدَاوَيْتَ بِالْجُودِ مَا أَمْرَضَا
 وَتُقْبِلُ وَالِدَّهْرُ قَدْ أَعْرَضَا
 بِنُورِ هُدَى مِنْكَ قَدْ أَعْرَضَا
 بِكَفِّكَ سَيْفُ الْهُدَى مُنْتَضَا
 وَتَخْشَاكَ فِي الرَّوْعِ أَسْدُ الْعَضَا
 إِلَى مَا ابْتَغَى وَإِلَى مَا ارْتَضَا
 أَصْرَحَ سَعْيُكَ أَمْ عَرَضَا
 وَعَزَمِي لِلْبَاسِ قَدْ قُضِيضَا
 وَمَا لِقَبُولِي أَنْ يُعْرِضَا
 مَرَامًا تَسْنَى وَحُكْمًا مَضَى
 مَقَامُكَ مُسْتَنْفَرًا مِنْهَضَا
 وَلَا قَلَدَ السَّيْفِ إِلَّا نَضَا
 كَمَا تَعْطِفُ السَّابِقَ الرَّيْضَا
 يَرُوقُ اجْتِلَاءُ الْوُجُوهِ الْوِضَا
 تُثِيرُ جَدَاوِلَهَا الْفَيْضَا
 إِلَى رَبِّهِ أَمْرُهُ فَوَضَا
 وَمَنْ لِلْمَقِيدِ أَنْ يَنْهَضَا
 وَغَايَةُ آمَادِهِمْ لِائْتِقَاضَا
 بَعْدَكَ أَنْسَيْتَ مَنْ قَدْ مَضَى

دُيُونُ الْمَعَالِي بِهِ تُقْتَضَى
إِلَيْكَ الْمَوَدَّةَ قَدْ أَمَحَضَا
كَمَا شَاءَ إِخْلَاصُهُ وَاقْتَضَى
بِمُقْتَبِلِ النَّصْرِ لَمَّا انْقَضَى
وَجَفُنُ الرَّدَى عَنْكَ قَدْ اغْمَضَا
نَدَاكَ مَتَى جَادَهُ رَوْضَا
وَحَاشَى عُهُودَكَ أَنْ تُنْقَضَا
لَمَّا أَحْكَمْتَ مِنْهُ أَيْدِي الْقَضَا
أَبَى لِحُجَاجِي أَنْ يُخَفَّضَا
نَدَاكَ الْمُؤْمِلُ مِنْكَ الرِّضَا
سِوَاكَ الْوَسَائِلُ لَنْ تُعْرَضَا
لَأَيَّامِ مُلْكِكَ فِيهِ انْقَضَا

وَهُنْتُ عِيداً أُنَى بِالْمُنَى
وَوَدَّعَ شَهْرُ الصِّيَامِ الَّذِي
وَوَدَّ الْمُقَامَ بِمَثْوَى الْعُلَى
وَلَكِنَّهُ عَائِدٌ عِيدُهُ
يَقِيْتُ لَأَمْثَالِهِ سَالِمَا
أَمْوَلَايَ لِي أَدَبٌ رَوْضُهُ
مَعَاذَ قَدَاجِي بِهِ أَنْ تَخِيبَ
وَمَا الْعَهْدُ إِلَّا الَّذِي لَا انْتِقَاضَ
وَلَيْسَ جُنَاحٌ عَلَى الدَّهْرِ إِذْ
فَانِّي مَمْلُوكُكَ الْمُرْتَجِي
الْأَخْضَعُ يَوْماً وَمِنِّي لَدَى
فَدُمُ لِلزَّمَانِ الَّذِي لَا يُرَى

وَقُلْتُ أَهْنُتُهُ أَيَّدَهُ اللَّهُ فِي عِيدِ الْأَضْحَى مِنْ عَامٍ أَحَدَ عَشَرَ وَثَمَانِي مِائَةً (201)

سَنَا بَارِقٍ يَهْدِي الرُّكَّابَ فِي الدُّجَا
غَدَاً مُزْجِياً رَكَبَ السَّحَابِ مُزْعِجَا
فَاسْرِعْ لِلتَّأْوِيلِ مَنْ بَاتَ مُدْلِجَا
أَلَمْ يَانَ لِلْإِصْبَاحِ أَنْ يَتَبَلَّجَا
وَمُرّاً عَلَيْهَا بِالرُّكَّابِ وَعَرَّجَا
يُحْيَا بِمَا يُهْدِي جَنَى وَتَأَرْجَا
فَلِلَّهِ مَا أَبْهَى حُلَاهَا وَأَبْهَجَا

أَثَارَ هَوَاهَا (202) نَزْعاً تَشْتَكِي الْوَجَا
تَأَلَّقَ خَفَّاقَ الْجَنَاحِ كَأَنَّهَا
أَثَارَ وَقَدْ أَخْفَى الظَّلَامُ سَبِيلَهَا
تَقُولُ حُدَاةُ الْعَيْسِ إِذْ غَالَهَا السُّرَى
أَلَا يَا خَلِيلِي انْزِلَاهَا مَعَاهِدَا
فَعَهْدِي بِهَا وَالْحَيُّ فِي عَرَصَاتِهَا
وَصَوَّبُ الْحَيَا حَلَّ الْحُبَا فِي بَطَاحِهَا

(201) توجد أيضاً في الديوان : 193 — 195 .

(202) في الطرة : أي الإبل الغريبة التي تجلب إلى بلاد غيرها، ونزعا جمع نازع أي نجبية، وتشتكى الوجا =

كَأَنَّ سَقِيطَ الطَّلِّ مِنْ قُضْبٍ دَوَّجَهَا
مَعَاهِدُ لَا تُخْفِي الصَّبَابَةَ إِذْ غَدَا
وَلِلْوَجْدِ طَرْفٌ مَا كَفَفْنَا جِمَاحَهُ
وَمَا ثَلَّةُ الْأَعْطَافِ لَمْ تَذِرْ قَبْلَهَا
هِيَ الشَّمْسُ يُسْتَجْلَى سَنَاهَا وَقَدْ غَدَا
فَمَنْ لَمْ يُشَاهِدْ وَجْهَهَا وَقَوَامَهَا
وَمَنْ هَامَ بِالْحَسَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَيْثُهَا
وَمَنْ أَمَّ بَحْرَ الْجُودِ وَالْعِلْمِ لَا يُرَى
هُوَ الْيُوسُفِيُّ النَّاصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي
هُوَ الْيُوسُفِيُّ الْعَالِمُ الْعَلَمُ الَّذِي
أَلَا عَدَّ عَنْ ذِكْرِ الْقِيَاصَةِ الْأَلَى
فَهَذَا إِمَامٌ تَابِعَ جَدَّهُ الَّذِي
وَهَذَا الَّذِي مَازَالَ فِي الْأَرْضِ أَمْنُهُ
وَهَذَا الَّذِي مَازَالَ فِي اللَّهِ سَالِكًا
شَمَائِلُهُ تَحْكِي الشَّمَائِلَ رِقَّةً
رَجَوْنَا بِهِ نَيْلَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى
فَمِنْ عَزْمَةٍ تَكْفِي الْعَدَى وَتَكْفُفُهَا
إِذَا مَاجَ بَحْرُ الرُّوعِ خَاضَتْ غِمَارُهُ
وَمَهْمَا دَجَا لَيْلُ الْعَجَاجِ أَرَاكَ مِنْ
وَقَدْ أَسْمَعْتَ غُرَّ الْجِيَادِ صَهِيلَهَا
فَتَحْسِبُ أَنَّ الْحَرْبَ أَبَدَتْ حَدِيقَةَ

= أي الحفا لكثرة السير وقوله سنا فاعل أثار، وباقي البيت ظاهر، والمعنى أن هذا البرق الذي لمع
هيج هذه الإبل على ما بها من الغربة والحفا إلى مربعها ومقرها.

(203) في الطرة : فما القلبُ مرتاحاً ولا اللحظ مرتجى.

(204) في الطرة : في هذا التخلص خفاء وبعد عن الانسجام والمناسبة.

(205) يقال : يوم سحسج لا حر ولا قر، وفي الحديث في صفة الجنة : وهوؤها السحسج.

أَمْوَلَايَ إِنَّ اللَّهَ مَا زَالَ مُلْهِمًا
تَعُوجُ الْأَعَادِي عَنْ لِقَائِكَ كُلَّمَا
فَأَسْمَرَكَ الْحَطِيّ يَلْتَاخُ نَصْلُهُ
فَكَفَّكَ لِلْعَافِينَ تَنْدَى غَمَامَةً
كَذَلِكَ مِنْ شَأْنِ الْعَمَامِ انْسِكَابُهَا
كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ لَيْلٌ وَفَجْرُهُ
كَأَنَّ مِيَادِينَ الطَّرَادِ صَحِيفَةٌ
وَلَكِنَّهُ مَعْنَى سُعُودِكَ مُوَضِّحٌ
لَكَ الْعِلْمُ يَهْدِي كُلَّ مَنْ ضَلَّ رُشْدَهُ
لَكَ الْعِزُّ إِذْ أَمْضَيْتَ أَحْكَامَهُ فِيهِ
وَقَدْ عَادَ عِيدٌ كَانَ مِنْ قَبْلُ مُطْلِعًا
لَقَدْ حَلَّ يَوْمٌ قَدْ أَرَانَا حَقِيقَةً
مَدَدْتَ لِتَقْبِيلِ الْخَلَائِقِ رَاحَةً
وَهَلْ بَعْدَ أَنْ قَبِلْتُ كَفَّكَ ءَامِلًا
رَدَدْتَ سِهَامَ الدَّهْرِ حَتَّى تَقْصِدْتَ
فَدُونَكَ يَا مَوْلَى الْوَرَى مِنْ مَدَائِحِي
أَتَيْتُ بِهَا كَالزُّهْرِ وَالزُّهْرِ فِي الرَّبِّ
حَيَاءٌ مِنَ التَّقْصِيرِ بِالطَّرْسِ حُجِّبَتْ
فَهَيْئَتُهُ عِيدًا كَرِيمًا وَمَوْسِمًا
قَبْلُغْتَ مَا تَرْجُوهُ بَدْءًا وَعَوْدَةً

لَأَجْمَلَ صُنْعٍ جَاءَ بِالنَّصْرِ مُلْهِجًا
تُقَوْمُهُ رُمْحًا وَتَعْلُوهُ أَعْوَجَا (206)
شِهَابٌ هُدًى لَيْلِ الْعَجَاجَةِ مُفْرِجًا
وَسَيْفُكَ يُذَكِّي جَاحِمًا مُتَاجِّجًا
إِذَا مَا تُرِيكَ الْبَارِقَ الْمُتَوَهِّجًا
حُسَامُكَ يَبْدُو خَاضِبًا مُتَضَرِّجًا
يُرِيكَ بِهَا الْحَطِيّ خَطًّا مُشَبَّجًا
وَضُوحَ الشُّجُومِ الزُّهْرِ وَاللَّيْلُ قَدْ سَجَا
وَعَاجَ عَنِ النَّهْجِ الْقَوِيمِ وَعَرَّجَا
نُحُورَ عُدَاةِ الدِّينِ قَدْ أَصْبَحَتْ شَجَا
مُحْيَاكَ وَضَاحَ الْأَسِيرَةِ أَبْلَجَا
مِنْ الطَّلَعَةِ الْعَرَاءِ صُبْحًا تَبَلَّجَا
يَفُوقُ نَدَاهَا الزَّائِحِرَ الْمُتَمَوِّجَا
أَكُونُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الدَّهْرِ مُحَوِّجَا
وَقَدْ كَانَ بَابُ الْقَصْدِ دُونَهُ مُرْتَجَا
ثَنَاءً كَأَزْهَارِ الرِّيَاضِ مُورَّجَا
فَرَاقَتْ وَرَقَتْ بِهَجَّةٍ وَتَارَّجَا
عَلَى أَنَّهَا حَسَنَاءُ تُبْدِي التَّبَرُّجَا
جَمِيلَ الْمُحْيَا رَائِقَ الْحُسْنِ مُبْهِجَا
وَلَا زِلْتُ فِي الْأَمْلَاكِ أَكْرَمَ مُرْتَجَى

(206) في الطرة : أعوج : ذكر أنه فعل كريم كان لبني هلال بن عامر وأنه قيل لصاحبه : ما رأيت من شدة عدوه، فقال : حللت في بادية وأنا راكبه فرأيت سرب قطاً يقصد الماء فتبعته وأنا أعرض من لجامه حتى توافينا الماء دفعة واحدة وهذا أغرب شيء يكون، وإن القطا لشديد الطيران وإذا قصد الماء اشتد طيرانه أكثر من غير قصد الماء ثم ما كفى حتى قال كنت أعرض من لجامه ولولا ذلك لكان يسبق القطا، وإنما قيل له أعوج لأنهم أصابتهم غارة فهربوا منها وكان صغيرا فطرحوه في خرج وحملوه معهم لعدم قدرته على متابعتهم لصغره فاعوج ظهره من أجل ذلك، وإليه تنسب الخيل الاعوجية، ويقال هو أعوج بن لاحق بن داحس بن ذي العقال والله أعلم.

فهارس

فهرس الأعلام

أ

أبو الحجاج : 34، 65، 71، 105.

الحجاج : 71.

أبو الحسن علي بن هذيل : 42، 88.

أبو الحسن الغافقي : 95.

أبو الحسين بن أحمد بن فركون القرشي :

30، 47، 53، 100.

خ

خاقان : 86.

الخزرج : 32، 34، 39، 61، 105، 119.

ملك الروم : 16.

ز

أبو زكريا يحيى بن أحمد بن السراج : 81.

س

سعاد : 23.

سعد : 53، 101.

أبو سفيان : 37.

سلمى : 17، 24، 61، 106.

ص

الصدیق : 96.

ط

الطائي : 105.

ع

عامر : 105.

أحمد : 36، 80.

أحمد بن فركون القرشي : 35، 58، 92.

إفنت الروم : 16.

أم سالم : 78.

الأنصار : 36، 105، 119.

الأوس : 119.

ب

بديع الزمان الهمداني : 81.

بشار : 116.

أبو بكر بن عاصم : 25، 31، 71.

ت

تُبُع : 114.

ج

أبو جعفر بن أبي حامد بن الحسن النباهي :

67.

أبو جعفر العريبي : 78.

ح

حاتم : 74، 80.

حاجر : 69.

حازم : 81.

حبيب : 116.

حبوس : 52.

أبو عامر بن أبي منصور الحسيني المكي : 98.
أبو العباس الحسيني : 26، 33، 86.
أبو عبد الله بن الخطيب : 108.
أبو عبد الله الشران : 29، 44، 89.
أبو عثمان الأثيري : 69.

عدنان : 37.
علي (الإمام) : 99.
علي : 36.

ق

أبو القاسم بن حاتم : 75.
أبو القاسم بن سالم : 27، 94.
أبو القاسم العرادي : 96.
قحطان : 36، 55.
قس : 70.
قيس : 53، 61.
قيس بن سعد : 101.
القياصرة : 86، 119.
قيصر : 114.
قال قيلة : 80.

هـ

آل هاشم : 80.
آل هود : 52.

ي

أبو يحيى ابن الوزير أبي بكر بن عاصم : 28،
39، 71.
يوسف : 31، 33، 36، 38، 46، 48،
54، 55، 58، 59، 61، 62، 64، 68،
69، 70، 73، 74، 75، 76، 78، 81،
84، 87، 88، 90، 92، 93، 94، 96،
98، 101، 103، 104، 105، 107،
110، 114، 117.
اليوسفي : 16، 18، 19، 24، 25، 36،
48، 63، 64، 65، 94، 97، 112،
119.
يوشع : 45، 68.

ك

كسرى : 86، 119.

م

المتنبي : 105.
محمد : 72.
أبو محمد بن مليح : 26، 37.
مروان : 101.
المصطفى : 41، 80، 105.
المقداد بن الأسود : 74.

فهرس الأماكن

- أحد : 56.
الأندلس : 35، 38، 52، 82.
بدر : 56.
بغداد : 38.
بيت الله : 67، 107.
الحمى : 102، 109.
الخليل : 67.
دار السلام : 72.
رامة : 69.
الرقمتان : 15، 78.
سليم : 105.
سوس : 52.
الشام : 38.
الشرق : 107.
شنيل : 31، 83.
طيبة : 34، 56، 105.
طيء : 105.
عراقيين : 52.
الغرب : 107.
غرناطة : 31، 72.
القدس : 67.
اللولى : 69.
المشارك : 19.
المشرق : 36، 101.
مصر : 31، 48، 83.
المصلّى : 15.
المغارب : 19.
المغرب : 36، 101.
مكة : 36، 56، 101، 105.
المنحنى : 69.
منى : 56.
نجد (غرناطة) : 47.
نجد : 102.
النيل : 31، 48، 83.
أهند : 28.
الوادي المقدس : 59.
يثرب : 101.

فهرس القوافي

الصفحات	البحر	القافية	صدر القصيدة
104	الطويل	مهنأ	مقامك للقصاد كهف وملجأ
69	الطويل	عفاء	لقد قر عين الدين دون مرأ
24	الوافر	لانجأب	أحقا أن رحلت فلا إياب
100 -	السريع	مذهب	حاديها أين بها تذهب
115	الطويل	رقيب	أمنها سري طيف إلي حبيب
17	الطويل	كتاب	كفى شجنا أن لا أرى وجه حيلة
26	البسيط	الإشارات	مولاي قد عمت الأرض البشارات
20	الطويل	ممايه	أحقا يعود الشمل بعد شتاته
118	الطويل	الدجا	أثار هواها نزعاً تشتكي الوجأ
102	الطويل	نازح	أمن بارق أعلام نجد يصفح
64	الكامل	تطمح	ما للبدور منيرة تتوضح
15	الطويل	يلوح	ومما يهيج الشوق مني والبكا
111	موشح	سفوح	للحيا في رياضيه الباسم
73	الكامل	حسادها	نامت وأودعت الجفون سهادها
64	الكامل	عبده	للناصر الملك المؤيد رغبتني
30	الكامل	المقاصدا	هنيئاً به من عالم الكون وافداً
33	الطويل	تمهدا	أماناً ويمن في البسيطة قد بدا
23	الوافر	سعاد	حفا إجفان مقلتي السهاد
29	الطويل	وعوده	هلال بأفق الملك لاحت سعوده
37	المديد	قيادي	ملك الحب العتيق فؤادي
53	الطويل	يُجدي	يمينا لقد جاز الأسى منتهى الحد
27	الوافر	معيد	أضاء القطر بالقمر السعيد
28	البسيط	بهرأ	الله أكبر وجه النصر قد سفرا
97	الكامل	قاهرأ	قسما بمن أولى المقام الناصراً
26	الكامل	الأمصار	بشرى أتت ضاءت بها الأقطار
24	الوافر	الديار	نأت سلمى وشط بها المزار

الصفحات	البحر	القافية	صدر القصيدة
83	الكامل	قاهِرُهُ	قد أيقن الإسلامُ أنك ناصِرُهُ
50	البسيط	القدرِ	بعداً ليوم الخميس من صفرِ
84	الطويل	العصرِ	صَبَا النَّصْرُ قد هَبَّتْ بنصر بني نصرِ
31	الطويل	الزهرِ	هناك كما راق العيون سنى الفجرِ
86	مجزوء المجتث	ناصرِ	يا ناصر الدين يا من
62	المديد	اشتَهَرُ	علم القلب تجلى وظَهَرُ
18	الكامل	الترجيسِ	مدت تصافحنا أناملُ سوسن
51	مجزوء الرمل	الخميسِ	إن للهَمَّ خميسُ
44	الطويل	أَيْنَعَا	سراجُ الهدى من أفقِ مُلكك أُطْلِعَا
67	الرجز	الأربُعُ	عمري لقد وفَتِ الدموعُ الهَمُّعُ
108	الطويل	أودعوا	لئن رحلوا عني صباحا وودعوا
113	البسيط	مُطْلِعُهُ	بدرٌ بَقْبِتِكَ الغراءِ مَطْلِعُهُ
99	الطويل	المعارِفُ	لديك هو الاحسانُ والعذلُ والندى
54	الطويل	تتعرَّفُ	زمان التداني بالأمانى مسعِفُ
87	الطويل	بأَضْعَافِ	مظاهرُ مولاي الخليفةِ يوسفِ
47	الكامل	موقِفِ	قف بالمعاهد ساعة واستوقِفِ
99	الطويل	الصيفِ	أمولاي إن الصيف جاز ولم أجذُ
88	الطويل	أَتعلَقُ	ألا يا أمير المؤمنين ومن أنا
19	الرمل	الأفِقِ	يومنا يوم صبح مشرق
87	الطويل	أَتَتَلَقُ	أقول وقد ابصرتُ مولاي جالِسا
93	الخفيف	حَيَالَا	حجبوا عني لَمَّا رأوني أَفَنَى
64	الطويل	الحُلَا	تجلى مُحِيَاك الكريمُ بهَالَةِ
89	الطويل	لِيَا	قضي مُذْنَفِي أن لا أرى عنه سَالِبَا
58	الطويل	مَنَازِلُهُ	وَقُوفُكَ بِالرَّيْعِ الذي أنت سَائِلُهُ
22	الكامل	بسؤالِهِ	تشتاقكم نفس المشوق الوَالِيهِ
91	الرجز	للآمالِ	مولاي يا ذا الكرامِ الشامِلِ
25	الخفيف	الكمالِ	طلع اليوم في سماءِ المعالي
98	البسيط	الأجَلِ	ظَفِرَتْ بِالْيُمْنِ والاقبالِ والأملِ
95	البسيط	الأملِ	يا غرَّةً طَلَعَتْ كالشمسِ في الحملِ

الصفحات	البحر	القافية	صدر القصيدة
81	الكامل	وسهله	بشرى تجلت للزمان وأهله
94	الكامل	دليل	أما سبيلك فهو خير سبيل
87	الطويل	الأجل	ومما شجاني أنني غير تارك
39	المتقارب	واعتدل	لقد بلغ الملك أقصى الأمل
66	مخلع البسيط	أصيل	والله ما اعتلت النواسيم
42	الطويل	وأنجم	بدا في سماء الملك بدر متم
92	الطويل	المتبسم	أيا مطلقاً أنواره تُتوسم
75	المنسرح	محتشم	أهل بدرأ فالدهر مُبتسم
16	الطويل	يتحكم	رضيت بما يقضي الجمل ويحكم
96	الطويل	والعلم	لمولاي حلم لا يقاس به حلم
69	الكامل	غرام	عج بالمطي على المحل السام
78	الطويل	البواسم	أمن بارق قد لاح بين النواسيم
71	مخلع البسيط	لِمام	أسهرني الوجد وطول العرام
59	الطويل	أمنأ	إذا نحن بالوادي المقدس خيمنا
106	الطويل	بالحسنى	ألا يا مشوقاً يمم الربيع والمغنى
35	الكامل	شأنها	من للخلافة واقتبال زمانها
61	الطويل	الريأ	ألا بأبي عرف النسيم الذي حيا
62	الطويل	العليا	عبيدك يا مولاي يا ملك الدنيا
77	الخفيف	حياضاً	مدد البحر للجداول فاضاً
116	المتقارب	مضى	أمن بارق في الدجا أومضاً